



Biblioteca Alexandria

8119122

الرَّوْضَةُ الْغَنَاءُ
فِي
دَمَشَقِ الْفِيحَاءِ

سلسلة التوثيق والحفظ
٤

الروضۃ الغناء في دمشق الفيحاء

تأليف
نعمان قساطلي

دار الرائد العربي
بيروت • لبنان
ص.ب. ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٢٩٩ هـ = ١٨٧٩ م

الطبعة الثانية
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

فاتحة الكتاب

حمداً لمن جعل الارض للانسان سكناً . واولاه ان يعمرها منازل ومدناً .
فاصبحت مدائنه على سطحها كالنجوم الزهر في القبة الزرقاء . والازهار النضيرة في
الروضة الغناء . حمداً نضوع اريجته فعطر الاكوان . وجماله نسيات التسبيح الى
العقول فصاح لسان حال الكل سبحان سبحان

اما بعد فيقول العبد الفقير نعمان بن عبد بن يوسف القساطلي دمشقي
انه لما كانت دمشق اقدم مدينة لم ينخفض قدرها الى الآن ولم ينحط عمرانها مع
ما اتت بها من تقلبات الزمان مما دل على عناية صديقية اوجبت لها التفضيل على
غيرها من المدائن اتدبني علائقي الوطنية ان افحص عن اخبارها وكلما كنت
استقري ما قيل في حقها في صحف الاخبار والتاريخ كنت استغرب ما يقال فيها
اذ كان بعضه ايجازاً مغللاً وبعضه في بعضها اطناباً ملاً فزادني ذلك ترشلاً
للاستقصاء وحماني على ان اتبع ما قيل فيها وما يقال بتدقيق يستلزمه حسن
الدليل ولما كان كثيرون يتمنون ان يقفوا على ملخص اخبارها وآثارها ومشتملاتها
وليس لهم مورد لذلك يروي الغليل تجشمت كل المصاعب لتلخيص ما جاء في
حقها في كتاب يشفع لي عند ذوي العرفان فتم بحولہ تعالی لي المراد وجاء بايجاز
بقتضيه المقام وقد سميت بالروضة الغناء في دمشق الفيحاء وما انا في ما اوردته
فيه بمعتقد كالي ولا معتصم من اخلاي على اني بحسارة اقول انه حوى زينة اقوال
الرواة العدول دون عدول يحيى به تعصب ديني او ميل غرضي وقد جعلته
خدمة لوطني العزيز ملتصاً من ذوي الانتقاد العفو عن القصور
والنقصير . متوسلاً اليه تعالی ان ينفع به قارئيه فانه اكرم

مسؤول وخير مأمول وهو حسبي

واليه ائيب

المقدمة

في جغرافية الشام

الشام . بلاد واقعة بين ٣٠° ٣٤' و ٣٧° ٣٠' من الطول الشرقي و ٣١° ٣٠' و ٣٤° ٣٠' من العرض الشمالي وقد سماها الاقدمون سوريا وقسموها الى قسمين الاول سوريا والثاني فلسطين واما الرومانيون فسماها القسطن معاً سوريا ولما استولى العرب المسلمون على هذه البلاد في نحو سنة ست مئة واربعة وثلاثين مسيحية الموافقة سنة ٤ هجرية سموها شاماً وذكر علماءهم اسباباً كثيرة لتسميتها بذلك نورد بعضها : قال الحافظ السهيلي في كتابه التعريف والاعلام : الشام بالسريانية الطيب سُميت بذلك لطيبها وخصبها وقيل سُميت بسام بن نوح واسمها بالسريانية والعبرانية شام وقيل سُميت شاماً لانها عن شمال الكعبة كما سُميت اليمن يمناً لانها عن يمينها وقال صاحب القاموس سُميت بذلك لان قوماً من بني كنعان نشأوا اليها اي تياسروا وقيل لان ارضها شامات بيض وحمراً وسوداً الى غير ذلك من الآراء والشام مؤنثة وقد تُذكر وفيها لغات الشام والشام والشام وقد قسم بعضهم الشام الى خمس شامات : الاولى غنق والرملة وعسقلان وبيت المقدس . الثانية الاردن وطبرية والنعور واليرموك وبيسان ومد ينها الكبرى طبرية . الثالثة القوطة ودمشق وسواحلها ومد ينها الكبرى دمشق . الرابعة حمص وحماه وكفرطاب وقنسرين وحلب . الخامسة انطاكية والعواصم اومصيصة وطرسوس (١)

(١) لما استولى عليها العثمانيون قسموها الى اربعة اقسام دعوا ايات الاولى ايلة حلب والثانية ايلة دمشق والثالثة ايلة صيدا والرابعة ايلة القدس الشريف وظلت هكذا الى حين تشكلت ولايات الممالك العثمانية في ايام السلطان عبد العزيز فاضيف الى شمالها بعض المدن ومن ثم قسمت بلاد سوريا الى ولايتين الاولى ولاية حلب والثانية ولاية سورية ومركزها دمشق وكل ولاية قسمت الى متصرفيات والمتصرفية الى قيمقيات ومديريات وفي سنة ١٨٦٣ انسح القسم الجنوبي عن سوريا وهو متصرفية القدس الشريف وصار تعلقه بالباب العالي راساً لكثرة مشاكله واتساع الولاية

ويحدُّ هذه البلاد شمالاً آسيا الصغرى وشرقاً العراق والبادية وجنوباً جزيرة
من بلاد العرب ويقال له تيه بني اسرائيل وغرباً بجزر الروم وهي ذات جبال
شامخة مرتفعة اعلاها قم الميزاب فوق طرابلس ارتفاعه ١١ الف قدم وجبل
الشيخ واعي قمه يبلغ ارتفاعها ١٠ آلاف قدم وادية منخفضة جداً لا يكاد
يوجد لها نظير في العالم اعتمها وادي الشريعة الذي يبلغ انخفاضه عند بحيرة
لوط ١٢٢٠ قدم عن سطح البحر وسهول شاسعة جيدة التربة وبحيرات كثيرة
عذبة الا واحدة منها ماؤها مر ولا يشبه له على سطح الكرة وهي بحيرة لوط. وانهار
عديّة واشجار لا تحصى من انواع كثيرة بعضها مشرّ وبعضها عقيم وحيوانات داجنة
وبرية كثيرة الانواع ومعادن متنوّعة منتشرة في انحاء البلاد واكثرها لم ينزل
بكرًا. وهواؤها بالاجمال جيّد حسن بقوي الا بدان وخصوصاً في الجبال اما تجارتها
فمتمدّة الى جميع اقسام الممالك العثمانية وصادراتها من الحرير والحبوب بانواعها
ومن الاثمار والعنص وبعض العنقاير والصابون والصدف والانسجة الدمشقية
والحليّة والحمصيّة وغير ذلك ووارداتها المصنوعات الافرنجية والبهارات
والتنبك والجلود وما اشبه ولاهها اطول باع في مصنوعات كثيرة
اما سكانها فاقوياء البنية بيض الالوان مؤلفون من انواع عديّة يتدبنون
باديان مختلفة وبعض اديانهم لا وجود له في غيرها كالديانة الدرزية والنصيرية
والاسمعيّة ولورمنا وصف هذه البلاد بالتفصيل لشيئنا مجلدات ولكن اذا كان
كلامنا عليها ليس الا لتبيان اهمية البلاد التي منها دمشق لزمنا ان نقول
باختصار ان سوريا من اقدم بلاد العالم وفيها قامت اكثر المذاهب الدينية
واهمها اليهودية والمسيحية اللتان امتدتا في كل العالم. وكانت هذه البلاد في
الازمان الغابرة ذات شهرة عظيمة وعمران فائق وتداولتها اهم ومالك عديّة
فكانت اولاً وطناً للكنعانيين وغيرهم من نسل حام وسكن نسل سام في نواحيها
ثم اتاها بنو اسرائيل وطردوا الكنعانيين من اراضي فلسطين وتسلط عليها ملوك
اشور ثم ملوك بابل ثم ملوك مادي وفارس ثم ملوك مصر اليونانيون ثم استقلت

برهة من الزمان ثم اضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم استفتحها العرب في اثناء سنة ٦٣٢ م ثم تملكها التتر ثم فتح الصايبيون جزءا كبيرا منها ثم استرجعها منهم ملوك مصر المماليك ثم فتحها السلطان سليم العثماني وفي سنة ١٨٣٢ فتحها محمد علي باشا والي مصر تحت قيادة ولد ابراهيم باشا ثم استرجعها الانكليز بالاتحاد مع بعض دول اوربا العظيمة سنة ١٨٤٠ وسلموها للسلطان عبد الحميد العثماني ولم تنزل تحت تملك العثمانيين الى يومنا هذا . ومنذ الاجيال المتوسطة عبت بها الخراب فلعبت اصابعه باكثرها ولجودة موقعها الطبيعي حفظت اسمها ولم تنزل تذكر كبلاد ذات اهمية عظيمة

فصل

في موقع دمشق والقابها وعدد سكانها

دمشق . هي اكبر مدن سوريا وفلسطين وموقعها في اواسط سوريا حيث الطول الشرقي ٣٠' ٢٦° والعرض الشمالي ٣٠' ٢٣° وهي الى الشرق بانحراف الى الجنوب من مدينة بيروت تبعد عنها ١١٢ كيلومترا عبارة عن ١٦٨ الف ذراع وتبعد عن جنوبي حمص اربع مراحل وتعلو عن سطح البحر ٣٤٠٠ قدما ومحيطها تسعة اميال وتيف

وهذه المدينة كثيرة المياه والبساتين وموقعها في سهل خصيب في غوطة تعد من افضل جنات الدنيا والى شمالها جبل قاسيون يزيد بها بهاء ونضارة فتصبح كجنة تجري من تحتها الانهار فيها كل انواع الفواكه والبقول وكل ما نشته به نفس الانسان من ما كول ومشروب ومشوم ونزهة وانشراح ونظرا الى ذلك والى ما انطبع عليه اهلها من حسن السجايا ولطف الطباع حسبت جنة في الارض وفضلت باشياء كثيرة على ما سواها من البلدان وقد شهد لها بذلك اهل الذوق والآداب في كل عصر وان كما قال محمد بن آياس في كتابه بدائع الزهور . وقال العلامة الدكتور فان ديك في المرآة الوضوية ناقلا عن ابي الفداء منزهات

الارض اربعة . سغد سمرقند . وشعب بوان . ونهر الأبله و غوطة دمشق . اما
سغد سمرقند فهو نهر تحف به اشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها
ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخاً . واما شعب بوان من نواحي نيسابور فهي
مقدار فرسخين وفيه انهار مندفة واشجار مثمرة طيبة . وفيه يقول ابو الطيب المتنبى

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
ابوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

واما نهر الأبله فهو من اعمال البصرة وهو على اربعة فراسخ منها وعلى جوانبه الاشجار
الطيبة الثمار . واما غوطة دمشق فهي افضل الجميع ومقدارها ثلثون ميلاً وعرضها
خمسة عشر ميلاً وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع
على ارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها

وقال ابن بطوطة لودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً وتقدمها جالاً
وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها وقال ابو الحسين بن جبير رحمه
الله واما دمشق فهي جنة المشرق . ومطلع نوره المشرق . وخاتمة بلاد الاسلام
التي استقر بناها . وعروس المدن التي اجنليناها . قد تجلت بازاهير الرياحين
وتجلت في حلال سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين .
وترينت في منصفها اجل تزيين . وتشرفت بان اوى المسيح عليه السلام وامه اليها
الى ربوة ذات قرار ومعين . ظل ظليل . وماء سلسبيل . تنساب مذانبه انسياب
الاراقم بكل سبيل . ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل . وقد سميت ارضها كثيرة
الماء . حتى اشتاقت الى الظماء . فتكاد تناد بك بها الصم الصلاب . اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد احذقت البساتين بها احداق الهامة
بالقمر . والاكمام بالثمر . وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر . قال
عرقاء دمشقي الكلبي :

الشام شامة وجنة الدنيا كما انسان مقاتها الغضيفة جلق
من أسها لك جنة لا تنضي ومن الشقيق جهنم لا تحرق

البنا الأهل

في تاريخ دمشق

فصل

في مذاهب المؤرخين في من بني دمشق

لم ينفق المؤرخون على من بني هذه المدينة المحسوبة من أقدم مدن العالم
الباقية الى يومنا. وقد تفرقت واختلفت مذاهبهم بذلك فذهب يوسيفوس بناء
على رواية عن مؤرخ دمشقي قديم اسمه نيقولاوس ان بانيها دامشقيوس بن
كنعان. وذهب غيره ان بانيها جبرون بن عاد بن ارم وكان بناؤها على عهد
من رخام وقيل وجد فيها من آثار بناء جبرون اربع مئة الف واربعون الف
عمود من الرخام وان الاشارة اليها في القرآن الشريف بقوله ارم ذات العماد.
وقال آخرون بان بانيها اليعازر غلام ابراهيم الخليل وارتأى آخرون ان
بانيها دمشق غلام اسكندر الكبير ورووا ان الاسكندر بعدما بنى السد ورجع
من المشرق يريد المغرب بلغ الشام وصعد على عقبة دمر فابصر موضع دمشق
وكان الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيضة ارز فلما رآها فكر
كيف يبني فيها مدينة وكان له غلام اسمه دمشق وكان امينه على جميع ملكه.
قالوا فترل الاسكندر على ثلاثة اميال من دمشق وامر بحفر حفيرة واعادة ترابها
اليها فحُفرت فاعيد التراب فلم تمتلئ الحفرة فقال ان بني ههنا مدينة لا يكفي اهلها
زرعها فرحل حتى اذا وصل الى حوران ورأى سعتها وتربها المحمرا امر بحفر
حفيرة فحُفرت واعيد التراب اليها ففضل منه كثير فقال لغلامه دمشق ارجع الى
ذلك الوادي واقطع الشجر وابن على حافته مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح ان
تكون مدينة وهذا الموضع بجرها الفاضل بغلتها فيني دمشق المدينة واقام بها حتى
مات. ولم اقول غير هذا لاني عن حقيقة الامر ولا تؤدي الى المراد وكلامها
متناقضة وما باني هذه المدينة والوقت الذي بنيت فيه الا من الاسرار التي عجز

الباحثون عن كشفها الى الآن . وربما لاسعة عند المتأخرين للوصول الى ذلك
اذ لا دليل واضح ولا بيينة جلية تكشف عما وراء ذلك الستار. ونحن نقول ان غاية
ما عرفناه عن هذا الامر ان المدينة قديمة العهد وجدت قبل زمن ابراهيم
الخليل بناء على شهادة التوراة (تك ١٤: ١٥) حيث يقال ان ابراهيم تبع اسرى
لوط بن اخيه الى حوبة الواقعة شمالها وهذا جرى في سنة ١٦٢٠ قبل المسيح وعابده
تكون دمشق قد بنيت منذ أكثر من ٣٧٩١ سنة واذ كانت في زمن ابراهيم مدينة
مشهورة فنقدر ان نقول من باب الظن انها وجدت قبل ذلك الوقت بمئات
من السنين وان خطأ الظن فالارجح ان يقال ان البعازر غلام ابراهيم او اسلافه
وضعوا اسمها ولحسن موقعها وجودها ما حولها من الاراضي وكثرة مياهها خطت
خطوات التقدم بسرعة حتى صارت وقت حادثة لوط مدينة تُذكر والله اعلم

فصل

في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون

اخبار هذه المدينة في الايام الغابرة أكثرها غاض وما انصل اليها منها قليل
واهم حوادثها في الملك ابي فخر بن بصرى ذكرتها في التوراة وأكثرها له علاقة
بمملكة اسرائيل التي لولاها لما راينا خيراً أكيداً لدمشق في معظم هذه الملك فلذلك
عولنا على نقل اخبارها عنها الى ان ملكها ملوك اشور

انه بعد ما ذكرت دمشق في التكوين في زمن ابراهيم الخليل توارت
اخبارها ولم تذكر الا الى ايام داود ملك اسرائيل عندما امتلكها وجعل اهلها
عبيداً له على انه يستدل انها في هذه الملك كانت مستقلة تدعى ارام دمشق (ارام
لفظة عبرانية معناها ارتفاع ويطلق على بلاد مرتفعة وسميت دمشق بارام دمشق
تميزاً لها عن غيرها من الارامات كآرام بين النهرين ورام صوبه وغيرها) وذكر
في ٢ ص ٨ ان داود عندما حارب هدد عز ملك صوبه جاء ارام دمشق
لنجد هدد عز ففرضب داود جيوش ارام وجعل محافظين من قبله في ارام

دمشق فصار الاراميون عبيداً له يقدمون الهدايا وكانت هذه المدينة قاصرة سياسياً على نوع الى ايام سليمان بن داود ففي ذلك الوقت خرج رزق احد عبيد هدد عز ملك صوبه عن طاعة سيده واتي مع قومه وملك في دمشق فصارت من وقتئذ عاصمة مملكة ارام وكان رزون عدو سليمان والمات ولي بعده حزبيون ثم خلفه ابنه طبريون وكان معاصراً لابيا ملك يهوذا ولما مات خلفه ابنه بنهدد الاول وكان معاصراً لاسا ملك يهوذا وفي بداعة ملكه كان الصلح والسلام والمخالفة بينه وبين بعشا ملك اسرائيل غير انه لم تطل الملك الا اغرى اسابنهدد بالاموال فنتقض موثيقه مع حلبه وجرّد جيوشه على حدود مملكة اسرائيل المحاذية لمملكته ففتحها ورسم على ملك اسرائيل ان يبني سوقاً في السامرة عاصمة مملكته على اسم بنهدد فكان كما اقترح وجرى ذلك بين سنة ٩٤٠ وسنة ٩٣٠ ق م. وبعد بنهدد الاول ولج الملكة بنهدد الثاني فكانت عداوة بينه وبين ملكة اسرائيل ففي سنة ٩٠١ حمل عليها وتقدم حتى احاطت السامرة بجيش عظيم وتهدد اخاب ملك اسرائيل اعظم تهديد وطلب منه ما يضعب احتماله فكاد اخاب يجيب على ان شيوخ الشعب ابوا والرب ساعدهم باعجوبة فتقوا على عدوهم وخرج اليه ملكهم اخاب فانتصر عليه وافنى جيوشه ونكبه وبلادته اعظم نكبة وانتهى الصلح بان يرد بنهدد ل اخاب ما اخذه ابوه من مدن اسرائيل وان يبني اخاب اسواقاً في دمشق كما بنى والد بنهدد اسواقاً في السامرة لما تغلب على اسرائيل .

وسنة ٨٩٧ ق م عاد الاراميون وحاربوا مملكة اسرائيل ففازوا وقتل في الحرب اخاب ملك اسرائيل وكانت الحرب بين بنهدد وملك اسرائيل الجديد خليفة اخاب على قدم رساق وفي نحو سنة ٨٩٠ ق م انتقدت نيرانها وزاد لهيبها فانكسروا اسرائيل امام بنهدد فماتهم الى السامرة ووضع عليها الحصار وضابقتها فازداد بها الويل واشتد الجوع حتى ان ارام النساء واشدهن حنوا اكلن اولادهن وبلغت قيمة ربع القاب^(١) من زبل الحمام خمسا من الذضة وقيمة راس الحمار

(١) القاب من المكيل افة و٢٣ درهما

ثمانين من الفضة^(١) واخيراً اذ ضاق الحال وكاد الاهالي يهلكون جوعاً خلصهم الله باعجوبة حيث استولى وهم على الاراميين ففروا وتركوا المحصار. وبعد ذلك اتى اليسع النبي الى دمشق وتنبأ بموت بنهدد وبان حزائيل ابنه يكون خليفة له ولما مات بنهدد خلفه ابنه حزائيل وكان جباراً عنيداً قاسياً فتح فتوحات كثيرة وحارب يهوآحاز ملك اسرائيل كل ايامه واستولى على بعض بلاده ولما مات خلفه ابنه بنهدد وكان دون ابيه في الجبروت حاربه يواش بن يهوآحاز ثلث دفعات وتغلب عليه واسترجع مدن اسرائيل منه. ولما جلس يربعام بن يواش على كرسي اسرائيل ازهرت المملكة في ايامه ورجعت الى رونتها وقد فتح دمشق واخضعها للملكية ثم تواري ذكر دمشق. ويظن انها ظلت خاضعة لملوك اسرائيل او انها امتنعت عن محاربتهم وفي ايام فتح ملك اسرائيل وآحاز ملك يهوذا الذي جلس على عرش اورشليم سنة ٧٤١ ق م كان ملك على دمشق اسمه رصين فتحالف مع فتح ضد آحاز وقصد محاربتة واذ علم آحاز احتياجه الى مساعدة استنصر بتغلك فلاسر ملك اشور ضد عدويه فلباد واتى وحارب دمشق واخذها وسبها الى قير وقتل رصين ملكها ثم اتى آحاز الى دمشق للقاء تغلك فلاسر ملك اشور فرأى المذبح الذي في هيكل دمشق واذ اعجبه ارسل الى رئيس الكهنة في اورشليم ليحمل مثله ويقدم الذبائح عليه (اما هيكل دمشق فقديم العهد وكان عظيماً ومخصصاً لعبادة رمون اله الاراميين ثم صار كنيسة ثم جامعاً وهو الجامع الاموي المعروف الآن وسياتي بسط الكلام عليه في بابي) وبقيت دمشق في حوزة الاشوريين الى سنة ٧٢١ ق م فاستولى عليها شلمنصر ملك بابل ثم بعد ذلك عصي سكان دمشق مع جميع اهالي سوريا على بختنصر الملك وامتنعوا عن أداء الضرائب فاستشاط غيظاً وارسل جنده الى سوريا تحت قيادة عبده اليفا فتمكن منها واخرب كثيراً من مدنها وقتل ما لا يحصى من سكانها ثم سار الى بقعة دمشق وكانت ايام الحصاد فاحرق جميع المراعي والحقول واباد المواشي وسي

(١) الثمانون من الفضة نحو ثمان ليرات انكليزية او نحو ١٠٥٠ غرشاً عثمانية

مدن مملكة دمشق وقتل شبانها وارجعها الى طاعة سيده بمخاض مع جميع
مالك سوريا وهكذا رجعت دمشق تخضع للملك بابل (مخلصاً عن سفر يهوديت
ص ١ و ٢) ولما سقطت بابل بسيف كورش ملك مادي صارت دمشق تابعة
له وفي سنة ٣٣١ ق م استولى الاسكندر المقدوني على سوريا فصارت دمشق
اليونانيين وبعد موت الاسكندر ظلت سوريا محكومة من اليونان في مصر ثم لما
تقوى سلوقس واسس المملكة اليونانية السورية وجعل عاصمتها انطاكية سنة ٣١٢
كانت دمشق تابعة لمملكة السلوقيين وظلت خاضعة لليونانيين سنة ٢٤٨
وفي سنة ٦٤ قبل المسيح اتاها ببايوس احد قواد الرومانيين وفتحها مع انطاكية
وكل سوريا واخضعها للرومانيين وبقيت تحت سلطنتهم نحو ٧٠٠ سنة الى ان
فتحها العرب المسلمون سنة ٦٣٤ م الموافقة ١٢ هجرية

ولما ساد الرومانيون على دمشق حصلت على التقدم وامتنعت مطايا النجاج
فصارت اعظم مدن سورية وفلسطين الا انطاكية وكان عمال الرومانيين بها
من عرب غسان فساسوها بادى امرهم مع ما يتبعها احسن سياسة (١)

(١) عرب غسان كانوا عرب الشام في ايام ولاية الرومانيين على سوريا اصلهم من اليمن
من آل جفنة من بني الازد بن غوث بن نبت بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن
سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه فقبيل لهم
آل غسان وكان بالشام عرب من سلج يقال لهم الضباعة كانوا من ملوك الطوائف الذين
قتل اسعد الحميري من كان منهم باليمن وقتل ازدي كسرى من كان منهم بارض العجم
فقوي عليهم آل غسان واخرجوهم من ديارهم وحلوا مكانهم فتقووا فاتخذهم ملوك الروم عمالاً
لم على عرب الشام ودخلت دمشق في حوزتهم مدة وقبيلوا الديانة المسيحية وتدينوا بها واول
من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن مزينة فمات بعد ما قتل ملوك سلج دانت له قضاة
فعمظت دولته وبني في الشام مصانع كثيرة ومات وملك بعده ابنه عمرو وبني في الشام
عدة اديرة منها دير صالي ودير ايوب ودير هند ثم ملك بعده ابنه ثعلبة وهو الذي بني
صرح الغدير في اطراف حوران ما يلي البلقاء وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده
ابنة الحرث وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي بني القناطر واذرع
والقسطل ومدة ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه الحرث وهو ابن مارية ذات القرطين
الذين يضرب بها المثل في التناقص وكان مسكنه في البلقاء فبني بها الحفير ومصنعه وقصر

وفي سنة ٥٩ ق م في بداية تولى الرومانيين عليها حدث فيها مقتلة عظيمة
فقتل بها كثير من اليهود واما سببها فهو ان بعض وجوه اليهود رغبوا في ان
يكونوا اعياناً في الديوان الروماني فابي السوربون ذلك فثار اليهود في دمشق
وقتلوا خلفاً كثيراً من الاهالي فغضب كلود يوس فيملكس الوالي وامر جنده فقتلوا
ايبرومعان وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه المنذر الاكبر ومات بعد ان ملك
ثلاث سنين فهلك بعده اخوه النعمان خمس عشرة سنة ونصفاً ثم اخوه المنذر الاصغر ثم
اخوه جبلة ثم اخوه الابهيم ثم اخوه عمرو وكان شديد التكبر ذمياً قبيح السيرة انشا في
دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شائخة منها قصر الفضاء وصفات العجلات وقصر
منار وصور في بعض هذه القصور مجالسة وجلساء دولته واشكال صورته فكانت منزهات
لا يوجد مثلها وكان قد جعل لنفسه في كل ليلة جارية عذراء من السبايا التي تصيبها خيلة
المغيرة في البلاد على العصاة من اهلها فلم يزل ذلك دابة حتى وقعت عنده في السبي اخت
عمرو بن الصعق العدواني فلم يشعر الا واخوها قد وقف به وهو يقول

يا ايها الملك المهيب اما ترى صبحاً وليلاً كيف يخلفان
هل تستطيع الشمس ان يوتى بها ليلاً وهل لك بالصباح يدان
فاعلم وايقن ان ملكك زائل وكما تدب تدان عقد رهان

فوقعت هذه الايات في قلبه وقل له قد امنك الله على كل من لك عندي وامن كل
الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك السنة من ذلك اليوم وبني دير ضخم ودير
النبوة وملك ستاً وعشرين سنة وشهرين ثم ملك بعده جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر وهو
الذي احرق الحيرة فسمي بالخرق وبنوه سمو آل محرق وملك بعده اخوه النعمان الاصغر
ابن المنذر الاكبر وبعده ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذي بنى قصر السويداء وقصر
حارب ولم يكن عمرو ابوالنعمان ملكاً بل كان من كرام العشيرة وفيه يقول النابغة الذبياني
علي عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وكانت مدة ملكه سبعاً وعشرين سنة فمات وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي قاتل
المنذر بن ماء السماء وله يوم عين اباغ الذي فنك به بني الحمو ونرا . كان ينزل بصفين وبعد
ان ملك ست عشرة سنة ملك بعده النعمان بن الابهيم بن الحرث وملكه احدى وعشرون سنة
وملك بعده اخوه الحرث ثم ابنه النعمان وهو الذي اصلى صهاريج الرصافة وكان قد اخربها
بعض ملوك الحيرة الغنبيين وملك بعده ابنه المنذر ثم ملك بعد المنذر اخوه عمرو بن
النعمان ثم اخوها حجر ثم ابنه الحرث ثم ابنه جبلة ثم ابنه الحرث وهو الذي اوقع بيني كنانة وكان
يسكن احياناً في الجابية واحياناً في عمان التي تعرف بالبلقاء وكان ابتداء ملكه في عصر

مقتلة عظيمة من اليهود ونهبوا منازلهم واحرقوها سنة ٢٠ ق م في ايام اوغسطس
 قيصر قدم اليها هيرودس الكبير ومنها سار الى بانياس وفي اثناء ذلك رجع
 اليهود وبنوا منازلهم وبعد صعود المسيح بقليل قدم اليها حنانيا الرسول
 وبشر فيها بالنصرانية فأمن على يده بعض من سمعته ونحو سنة ٢٧ او ٢٨ للمسيح
 قدم اليها ايضا بولس الرسول كما نقرأ في سفر اعمال الرسل ص ٩ وذلك يوم
 النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكانت بينها مغابرة في الشرف وكان الحث كثير الغزو
 والغارات على قبائل العرب وكان كريما جوادا كثير المواهب فكانت العرب تدعوه
 الوهاب وقيل لم يسمع من الشعراء بباب احد من الملوك في عصره ما كان يسمع ببايو وكان
 حسان بن ثابت الانصاري منقطعاً اليه وله فيه مدائح كثيرة
 ومات الحث وملك بعده ابنه النعمان وكان شديد الاجتهاد في انتشار النصرانية في
 البلاد اكثر من اجداده وكان ملكا عاد لا شجاعا فاضلا كثير الخير قليل الشر حسن الصورة
 والسيرة وكان يحب العلماء والفضلاء ويقدمهم على اشرف الناس وكان يكنى بابي كرب
 ويلقب بقطام وبعده ملك الایهم بن جبلة بن الحث وهو صاحب تدمر وقصر بركة
 وذات اثمار وكان له عامل يقال له القين بن جسر بنى له بالبرية قصرا عظيما قيل انه قصر
 برقع وملك بعد الایهم اخوه المنذر وقيل ان ملكه كان سنة ٦٢٠ م وكان ملكه ثلث
 عشرة سنة ثم ملك اخوها شرحبيل ثم ملك بعده اخوه عمرو ثم ابن اخيه جبلة بن الحث
 وكان ملكه اربع سنين وملك بعده جبلة بن الایهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان وكان
 طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس
 واللاذقية وسماها باسمه وقيل انه اسلم في خلافة عمر بن الخطاب فسار الى مكة يريد الحج
 بمئتين وخمسين من اصحابه فلما قرب من المدينة قلد اعناق خياله بقلائد من الذهب والنضة
 ووضع تاجه على راسه فلما باغ عمر قدمته التقاه بين عنده ورفع مقامة حتى كان يوم
 الطواف فبينما جبلة بطوف بالبيت محرما متزرا اذ وطى رجل من فزارة طرف ازاره
 فانخل عنه الازار حتى بدت عورته فغضب جبلة من ذلك ولطم الفزاري لطمه هشم بها انفة
 فنعلق به الرجل وانطلق الى عمر ودمه بسيل على وجهه فقال له عمر انت بين ان
 يلطمك الرجل كما لطمته او ينفدي اللطمة منه فقل جياة افلا يفضل عندكم ملك على سوقة
 قال كلاب كلالها في الحق سواء . فانف جبلة من ذلك ولما جنة الليل خرج بقومه حتى
 لحق بالشام فارتد عن اسلامه فكتب عمر لعامله بالشام ابي عبيدة بن الجراح ان يستئيب
 جبلة فان تاب والا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج هاربا الى ملك الروم واقام عنده .
 وقيل كانت مدة ملك ملوك غسان ست مئة سنة . اه

كان حاكمها الحمارث ٢ كوا ١١: ٢٢ الخ

وعندما صارت الدولة الرومانية نصرانية امتدت النصرانية في دمشق حتى ان ثيودوثيوس الملك امر بنزع عبادة الاصنام منها ومن غيرها من ممالكه وفي ايام ابيه ارخادايوس تهدم جزء من هيكل دمشق فرمته وحول الهيكل كله الى كنيسة على اسم يوحنا المعمدان ولم تضره حتى صار كل اهله مسيحيين على ان اكثر اليهود لبثوا على دينهم

وفي سنة ٥٤٠ م غزاها الفرس وخرّبوا كثيراً من ابنتها ولكنها لم تلبث ان عادت الى مجدها وصارت عملاً من اعمال الرومانيين وعمّاهم فيها بنو غسان كما تقدم وكانت دمشق في كل اعصرها عظيمة قوية مشيئة الحصون ففي عصر اليونان والرومان كانت في غاية الاتقان على شكل مستطيل بيضوي يحاطة بسور عظيم منيع ويحرقها من الشرق الى الغرب الزقاق المستقيم وطوله نحو ميل وكان على جانبيه رواقان قائمان على اعمدة بين العمود والآخر بضع اذرع وقد ظهرت اثار هذه الاعمدة في سنة ١٨٦٢ وهم يحفرون اسس القشاة التي بنوها في حي النصارى. والظاهر انها كانت ممتدة الى باب توما الذي هو احد ابواب المدينة الشمالية وهذه الاعمدة اثار في اكثر شوارعها ما يدل على انها كلها كانت على نسق واحد وقد قال من زار تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة بان الثنتين على هندسة واحدة وكان لدمشق ثمانية ابواب من جهاتها الاربع قال بعضهم

دمشق في اوصانها جنة خلد راضيه

اما ترعى ابوابها قد جعلت ثمانية

ولم تزل اثار السور القديم مع الابواب الى يومنا هذا وقيل في عيون الثوار يخ وكان لليونان على كل باب عيد في السنة وهم الذين وضعوا الارصاد على حركات الكواكب وبنوا لهم معبداً في الموضع الذي هو اليوم الجامع . اه . ولما قويت الديانة المسيحية صارت دمشق مركز ابرشية عظيمة وكان راعيها يلقب برئيس اساقفة فينيقية الثانية وتحت يده اثنا عشر اسقفاً

فصل

في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية
عظم شأن الرومان المسيحيين وعلا قدرهم وحلت مهابتهم في قلوب الشعوب
وفازوا بالظفر بادئ امرهم فانصفوا بالرعية واجروا العدل واتخذوا الحق
حاكماً في امورهم ثم ما لبثوا ان اسكرهم الفوز فتكبروا وتعظفوا ونبدوا
العدل ظهيراً وانصبوا على الملاهي والمنكرات ونقاعدوا عن الواجبات ومالوا
عن جادة الصواب وظلموا في الرعية وقادوا الاحكام والمناصب اغير اهلبا
وجعلوا الرتب بضائع تجارية تقتنى بالاثمان فوسعوا للمرشدين ابواب الجور
والاعينساف فتضعفت احوال الرعية وفسدت اخلاقها ونفرت من حكامها
فضاعت سطوة المحكام وانحط قدرهم ولم يستطيعوا الثبات امام الجنود الاسلامية
كما سيأتي

ففي السنة الحادية عشرة للهجرة الموافقة سنة ٦٣٢ م بايع المسلمون ابا بكر
الصديق خليفة فقام باعباء الخلافة وكان يرغب في تعميم الاسلامية واتساع نطاق
الفتوحات فدعا قومه الى ذلك فلبوه لانهم كانوا يودون الجهاد ويؤثرونه على
ما سواه . ففي السنة الثانية من خلافة سيدهم سار الجيوش لفتح بلاد الشام وعقد راية
قيادتها لابي عبيدة عامر بن الجراح ثم انجده بخالد بن الوليد فسارت الجيوش نحو
بلاد الشام واخذت تفتح المدن والبلدان وتجري العدل والانصاف في ما تستولي
عليه . فقام عند العرب ان الروم جنباء لا يشبهون في النزال فطمعوا في بلادهم
واستهونوا حربيهم وتاكدا الفوز عليهم فوجهوا نظرهم بسرعة لفتح المدن الكبيرة
العظيمة فجد خالد بن الوليد السير حتى بلغ بصرى (هي في حوران وعلى خراباتها
الآن قرية صغيرة تُعرف ببصرى اسكي شام اي الشام القديمة) وكانت عساكر
الروم قد حشدت بها بكثرة وتولى قيادتها رجل اسمه رومانوس فخرج هذا من
المدينة واتى خالداً واجتمع به ثم اسلم عن يده واتفق معه على ان يسلمه المدينة
مجيئة نكاية للرومان ولكنه في بادئ الامر يتظاهر بمحاربتهم . ولما عاد الى المدينة

اخذ يطيب بقوة الحاملين ويظهر الميل اليهم فخذلة قومه والزموه بيته وولوا عرضاً
 عنه رجلاً من مشاهير قوادهم فثقب رومانوس سور المدينة على حين غفلة وخرج
 الى معسكر العرب واتى بزمرة من الجنود وادخلهم المدينة فتمكنوا من فتح ابوابها
 فدخاها العرب ظافرين وعاملين السيوف باهاها حتى اجبروهم على الاستمان
 فامنوهم واستولوا على مد ينتهم ووضعوا بها محافظين من قبيلهم
 قال الواقدي. وبعد ان فتح خالد بصرى سار بجنوده قاصداً دمشق فكتب
 لابي عبيدة عامر بن الجراح يستدعيه الى معونته وكتب لابي بكر يعلمه بما قصد .
 قال ولما كان خالد سائراً الى دمشق كان الناس يلتجئون اليها اسراباً اسراباً خيفة
 الاعداء فاضحى فيها خلق كثير من جملتهم ١٢ الف فارس ولما عرف هرقل ملك
 الروم بزحف العرب على دمشق راعه الخبر فجهز لوقته احد قواده واسم ككلوس
 بخمسة آلاف فارس وارسله اليها فبلغها بوقت قصير ولحسن حظ العرب
 وقعت البغضاء والمناظرة بين ككلوس وعزازير والى المدينة وقصد ككلوس خلع
 عزازير عن الولاية فلم يتم له الامر وبعد النزاع تقربا من بعضها وفي القلوب ضعائن
 كامنة وانفقا على ان يتولى كل واحد منها امر المحاربة يوماً بالتناوب (هذا جرى
 وخالد في محل اسمه الدبر ينتظر اجتماع الجنود الاسلامية) ومن ثم صار الروم
 يخرجون كل يوم من باب الجابية ويبعدون عن المدينة مقدار فرسخ منتظرين
 ابا عبيدة غير حاسبين حساباً لخالد ففي احد الايام لم يشعروا الا وانقض عليهم خالد
 بن الوليد من جهة الثانية فيادروا كالجراد فتدرع خالد وخطب على قومه قائلاً:
 لهذا يوم ما بعدك يوم وهذا العدو قد بخيلك فدونكم والجهاد فانصروا الله
 نصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين قد قدموا عليكم
 مع ابي عبيدة عامر بن الجراح فمشددت قلوب جنوده ودبت فيها النخوة العربية
 وبعد ذلك استقبل خالد جيش الرومانيين وصرخ صرخة هائلة فحل وحل معه
 شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن ابي بكر وضرار بن الازور فارجموا العساكر
 الرومانية فتبع خالد ككلوس قائدهم فلما اوشك ان يظفر به فر من وجهه فوقف

خالد ودعا للبارزة فتمنع خوفاً وذهب الى عزازير يطلب منه مبارزة خالد فابي
فالتزم كلوس ان يرجع ويبارزه فخرج ومعه ترجان اسمه جرجس ولما اجتمعا اخذا
يتهددان بعضهما اشد التهديد ثم هرب الترجان وترك البطلين في ساحة الوغى
فاخذا يتصارعان ويتجادان ولم يتيسر لخالد طعن خصمه وهو منبط الجواد فانحرف
عليه وتمكن من اطواقه وجذبه فسقط على الارض فتوارد بعض فرسان العرب
وامسكوه واوثقوه واذا رأى كلوس ذاته اسيراً او عز الى خالد ان يطلقه دافعاً
الجزية فابي

ثم ان خالداً صم على الهجوم على جيوش اعدائه فانعمه ضرار وقال له استرح
وانا احمل فابي الا الحيلة بنفسه وفي اثناء ذلك استدعا كلوس وهو في الوثاق
وناجاه يقتل عزازير فقال له سافلتك واياك ومن مثلكما في العقيدة

ولما وقع كلوس اسيراً كان قد اتى جرجس الترجان قومه فاخبرهم بشجاعة
خالد وشدة بأسه فلاموه وحاولوا قتله وقالوا لعزازير ان كلوس اسير وخالد يتقدم
فابرز لقتاله وخلص قومك فسمع عزازير الكلام وتعدد بلاهة حربه وركب
جواده وسار وكان عزازير من مشاهير فرسان قومه واشدهم شجاعة وقوة واكثرهم
معرفة في فن الحرب وابوابها وكان عارفاً باللغة العربية فلما التقى بخالد تحدثا
وتهددا على غير طائل واخيراً قال عزازير لخالد اعطيك الف مثقال ذهباً
وعشرة آلاف ديباج وخمسة من جواد الخيل ان قتلت كلوس واتيتني براسه
فقال خالد هذه ديتة فا تعطيني عن نفسك فغضب عزازير واخذ يتهدده واذا
لم يكن بداً من القتال حملاً وتجاولاً برهه فكاد خالد يستظهر على عزازير ففر عزازير
فتبعه خالد وكان جواده بطيء السير فظن عزازير الخوف في خالد فتربص له
واعادا المقاتلة فلم يفر احدهما بصاحبه فترجل خالد فطع به عزازير وجال
حواله بسيفه وضربه به فاخطاه فضرب خالد قوائم جواد عزازير فسقط عزازير
وعمد الى الهرب فادركه خالد والتقطه فبادر الروم لتخليص رئيسهم من اسره
وعند ما وصلت جنود العرب بغتة مع ابي عبيدة فعدل الرومانيون عن الحيلة. ثم في

اليوم الثاني نهض خالد وابو عبيدة ورتبا الجيوش الاسلامية وحملها على الروم واستظهروا عليهم فولوا الادبار ففتحهم المسلمون عاملين السيوف فيهم حتى ادخلوا اكثرهم المدينة من الباب الشرقي فحينئذ اغلقت ابواب المدينة فانقسمت الجيوش الاسلامية وعددها نحو ثلثين الفا وخمس مئة الى قسمين الاول تحت قيادة ابي عبيدة نزل امام باب الجابية والثاني تولى قيادته خالد بنفسه ونزل امام الباب الشرقي وهكذا حصرت دمشق وتعسر على الروم الخروج والدخول وسدت امامهم المسالك . ثم ان خالدًا احضر القائد بن كلوس وعزازير الى امام اسوار المدينة وعرض عليها الاسلام فابيا فامر ضرارًا بن الازور البطل المشهور فضرب عنقها فلما انظر ذلك اهالي دمشق ارتاعوا فكتبوا الى انطاكية الى الملك هرقل يخبرونه بما جرى على القائد بن وبنزول العرب على باب الجابية والباب الشرقي ويطلبون منه ان يجادهم سر بعماء ولا فيسلمون المدينة وسلموا الرسالة لرسول دلوه من اعلى السور في ظلمة الليل فلما وصلت الرسالة الى الملك هرقل بكى على مصاب بلاده ثم جمع قواده ونلاها عليهم وقال يا قوم لقد انذرتكم من هولاء العرب فاتخذتم كلامي هزماً فاعلموا انهم خرجوا من بلاد قفراء الى بلاد خصيبة كثيرة الاشجار والثمار فاغرتمهم نضارتها حتى لا يزدجرون عنها لما هم فيه من العزم وشدة الباس ولولا الفضيحة لتركتم الشام ورحلت الى القسطنطينية ولكني ساستعين الله واخرج لقتالهم اه . فقال القواد وهل بلغ من قدر العرب حتى تخرج اليهم بنفسك ايها الملك فقال ومن تبعث اليهم قالوا بوردان صاحب حصص فانه افرس فرساننا واعرف قوادنا بفنون الحرب وقد اشتهر في حروب الفرس . فبعث الملك واحضر وردان وقاده قيادة اثني عشر الف فارس وارسله لفتح دمشق وقال له عندما تبلغ بعلمك انفذ الى من باجناد بن واوصهم ان يقطعوا المدد عن العرب

وفي اثناء ذهاب رسول دمشق الى الملك شدد العرب الحصار على دمشق وكانوا يجهون عليها مدة عشرين يوماً بمجالات شديدة وفي اليوم الحادي

والعشرين اتى نادي بن مرة واخبر خالدًا بان الروم هجنتهمون بعد دغبير في اجناد بن وقصد هم الحيلة على العساكر الاسلامية فذهب خالد لوقت من امام الباب الشرقي واتى ابا عبيدة امام باب الجابية وحدثه بما بلغه وقال له اني اري من الصواب ان نرحل من هنا ونقاتل الروم باجناد بن فان نصرنا الله عدنا لقتال هؤلاء القوم فانكرا ابو عبيدة هذا الراي وقال الاجدر بنا ان نوجه شذمة من الجند تحت قيادة احد الابطال المجريين فان رفعنا الحصار عن دمشق يستولي اهلها على مراكزنا فنسي خاسرين فاستصوب خالد هذا الراي وسير خمسة آلاف فارس مجريين تحت قيادة ضرار بن الازور لمحاربة الاعداء في اجناد بن فلما بلغ هذا الجيش بيت لهيا التقي بعساكر الروم وكانوا اكثر منه عددًا فهاهم وهم على الرجوع خوفًا وكان خالد قد قال لهم اذا وجدتم الاعداء اكثر منكم فكروا اليناراجمين فلما التقوا بالروم عزموا على الرجوع خيفة الالقاء بانفسهم الى التهلكة فقاومهم ضرار وقال استممن يرجعون واييت الأ الضرب بسيفي حتى الهلاك وافضل الهلاك على الهزيمة. فوافقه رافع بن عميرة الطائي وقال مخاطبًا الجنود اربا قوم وما الخيفة وما هولاء العالج انما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تنزل طائفتنا نلقى الجمهور الكثيرة واليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم طالوت عند انبائهم بجالوت ربنا افرغ علينا صبرًا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) ولما سمع الجنود هذا الكلام تشددت عزائمهم وتشجعوا ونادوا القتال القتال فكن بهم ضرار في بيت لهيا ولما اتصل بهم الروم حمل ضرار مع جنوده فدارت رحى الحرب وازداد انقاد نيرانها وكانت موقعة دموية قتل بها خلق كثير من الجانيين من جملتهم همدان بن فائد عسكر الروم ووقع ضرار اسيرًا بعد ان جرحه همدان فليحق خبر اسر ضرار بخالد فتكدر واستشار ابا عبيدة فاجمعوا على ان خالدًا يلحق بجيش ضرار فسار بنخبة من جيشه واقام على الباب الشرقي ميسرة بن مسروق العبسي وكان بطلاً مشهوراً وجعل تحت قيادته الف فارس

ولما انصل خالد بجند ضرار راي بينهم فارساً يجمل على الاعداء حملات
تزعزع الجبال الرواسخ فاستدعاه واستكشفه عن امره . فاذا هو خولة بنت
الازوراخت ضرار الماسور تقوم باخذ الثار . ثم ان خالدًا حمل مع رجاله على
الكتائب الرومانية وشتتوها وارسلوا سرية تحت رياسة رافع بن عميرة الطائي
استرجعت ضراراً من اسر العدو وعادوا الى دمشق مشددين عليها الحصار
ولما بلغ الملك هرقل ما اصاب جيش وردان جهز جيشاً عرمرماً مولفان
تسعين الف مقاتل وارسله لاجناد بن وارسل لوردان يوليه قيادة الجيش وامره
ان يقطع اتصالات العرب فبلغ خبر هذا الجيش اذان خالد بن الوليد وهو على
الباب الشرقي في دمشق فاجتمع بابي عبيدة فقرر رايهما على ان يجعرا الجنود من
جميع الجهات في اجناد بن فرعما الحصار عن دمشق وسارا قاصدين اجناد بن
فكان خالد على مقدمة الجيش وابو عبيدة على المؤخرة مع الغنائم والاموال ومعه
الف مقاتل وعند ما اخذوا في السير خطب خالد بالجنود قائلاً لايها الناس انكم
سائرون الى جيش عظيم فايظوا همكم وان الله وعدم النصر وقرأ عليهم قوله .
كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . وكان من امرهم ان
التقوا بالروم في اجناد بن واقتتلوا اقتتالاً عظيماً دارت الدائرة فيه على الروم
وقتل منهم خمسون الفاً على ما قيل وذلك في جمادى الاولى سنة ١٢ هـ (واجناد بن
سهل بين الرملة وبيت جبرين)

وفي يوم الخميس في ٢ جمادى الاخرة كتب خالد لابي بكر يخبره بما كان
ويعلمه بانه راجع الى دمشق ثم رجع الى دمشق فوجدها قد ازدادت تحصناً
فنزل في دير خالد المنسوب اليه ويبعد عن المدينة نحو ميل واخذ يرتب كيفية
الحصار وبعد ان اتم الامر قسم جيشه المؤلف من خمسة عشر الف مقاتل على ما
قيل على ابواب المدينة فجعل ابا عبيدة على باب الجابية وي زيد بن ابي سفيان
على الباب الصغير (باب الشاغور) وشرحبيل بن حسنة على باب توما وعمرو بن
العاص على باب الفراديس وعبس بن هييرة على باب الفرج ونزل خالد على

الباب الشرقي وضرار بن الازور كان يطوف حول المدينة بالفي فارس للحراسة وكان في دمشق بطل مشهور اسمه توما كان متزوجاً بابنة الملك هرقل فاقامة الاهالي قائداً عليهم فنظم احوالهم وصعد على سور باب توما المنسوب اليه وزمى قوم شرحبيل بالسهم فقتل منهم خلقاً كثيراً في جملتهم ابان بن سعد بن العاص وكان عريساً تزوج باجنادين وعروبة ابنة عمه من النساء المسترجلات فنذبت بعلمها ونذرت على نفسها اخذ ثاره فتبعت الجيش وكانت ترمي السهم فاصابت حامل الراية الدمشقية فسقطت الراية الى العرب فعظم الامر على توما وخرج من المدينة لاسترجاعها وتبعه شذمة من عسكره واوشك ان يسترد الراية واذا بنبله رمتها بها زوجة ابان فاصابت عينه ففكر راجعاً وتبعه قومه واغلقوا الباب فكتب توما الى الملك هرقل بجمالة الحرب وطلب منه ان يرسل له نجدة وان يدهه يصالح العرب. وفي اثناء ذلك شدد العرب الحصار وقطعوا كل اتصال عن المدينة وداوموا القتال فتضايق الاهالي واي تضايق وطلبوا من خالد المهادنة فابي الأ القتال فضالت رحي الحرب دائرة والنجدات تتوارد على العرب بكثرة حتى تعاظم جيشهم واهالي دمشق لا يرون باباً للفرج فانقسموا فثنتين فثمة رغبت في الاستمان وثمة في الدفاع الى النهاية مفضلة اياه على الذل فتغلب حزب الاستمان واجتمع زعماءه عند باب الجباية وتكلموا مع ابي عبيدة وقطعوا معه شروط التسليم وخرجوا اليه فاكرمهم ثم دخل المدينة ومعه مئة رجل فيهم خمسة وثلاثون صحابياً هذا ما كان من امر ابي عبيدة. واما ما كان من امر خالد فانه اتاه في تلك الليلة عينها قس اسمه يونان نقب سور المدينة من بيته الذي كان بازاء السور بجانب الباب الشرقي واعلمه بما فعل واستمان اليه فامنه خالد وارسل معه مئة رجل من اشداء قومه واوصاهم اذا صرتم في المدينة هالوا وكبروا وافتحوا الباب ففعلوا ذلك والناس غافلون فدخل خالد المدينة عنوة وسار في الطريق المستقيم يضرب بسيفه واهل المدينة على خلف وقد راعهم ما راوه مما لا ينتظرون ولما وصل الى كنيسة مريم (للروم الارثوذكس) التقى بابي عبيدة دون

ان يرى له سيفاً مجرّداً وكان القوم بين يديه يسبرون به باحتفال له فاخذ العجب منه كل ماخذ فيادره ابو عبيدة وقال لربا خالد قد فتح الله المدينة على يدي صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال فقال خالد وما الصلح وقد ففتحها بالسيف وخضبت سيوف المسلمين من دماهم فقال ابو عبيدة اعلم ايها الاميراني ما دخلتها الا بالصلح فقال خالد لوانا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لم حماية فكيف صالحتهم وقد طالت المناقشة بينهما على هذا النمط وكان جيش خالد يقتل وينهب فننادى ابو عبيدة لوانا تكلاه حقرت والله ونقض عهدي وجعل يشير الى الجنود ويقول معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله لا تمدوا ايديكم نحو الطريق الذي جئت منه حتى نرى ما نتفق عليه انا وخالد فلما قال لهم ذلك كفوا عن القتال . فعقدوا مجلس شورى من امراء العرب ومقدميهم فاجتمعوا على ان يقبل خالد بصلح ابي عبيدة الى ان يعلموا الخليفة فينهى الامر فقبل خالد ذلك على انه اصر على قتل توما وهر بيس (هر بيس قائد شجاع كان على نصف المدينة تحت امر توما) فعارضة ابو عبيدة وقال له لا تحتمر ذمتي فاني امنتهم فتقدم توما وهر بيس وطلبا الخروج من المدينة والتسما ان يخرج معهما من يريد من اهلها بامواله فاذن لهما بذلك بشرط ان لا يكون مع كل واحد من المهاجرين سوى قطعة واحدة من السلاح وانهم يكونون في ذمة العرب ثلاثة ايام ولا اثم على العرب اذا لحنوهم او وقعوا بهم بعدها فسار المهاجرون آخذين معهم نساءهم واولادهم وما خفف من مالهم وغلا ثمة وكان خالد وضرار وغيرها ينظرون اليهم شذراً وباسفون على خلاصهم وبعد الثلاثة الايام لحق خالد بهم مع فرقة من اشد رجاله وفي مقدمتهم دليل روماني خان قومه في دمشق وكان عارفاً بالطرق ومخارج البلاد فجدوا السير وادركوا المهاجرين بعد ايام في مرج الديباج عند الجبال الباردة بنواحي انطاكية فقتلوا رجالهم ونهبوا اموالهم وسبوا امرأة توما بنت الملك هرقل ورجعوا ظافرين على ان خالد اورد بنت الملك الى ابيها هدية ورجع الى دمشق . اما مدة ميازة دمشق فكانت سبعين يوماً على ما رواه ابو الفداء

وفي الليلة التي فيها فتح المسلمون دمشق وهي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من
 جمادى الآخرة سنة ١٢ للهجرة توفي أبو بكر الصديق وولي الخلافة عمر بن
 الخطاب فهذا عزل خالدًا وإقام أبا عبيدة على قيادة الجيش العامة في سورية
 واعتبر صلح أبي عبيدة لاهمالي دمشق صحيحاً كما يظهر من الكتاب الآتي وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى
 أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
 على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد فاني وليتكم امور المسلمين فلا تستحي فان
 الله لا يستحي من الحق واني اوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه والذي
 استخرجك من الكفر إلى الايمان ومن الضلال إلى الهدى وقد استعملتكم على جند
 ما هنالك مع خالد فاقيض جندك واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة
 لاجل غنيمة ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ولا تقل اني ارجو لكم النصر فان النصر
 انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك بالتغريب بالقضاء المسلمين إلى الهلكة وغض
 عن الدنيا عينك والى عنها قلبك واياك وان تهلك كما هلك من كان قبلك
 فقد رايت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار
 وقد تقدمك سلفك وانت كذاك منتظر سفرًا ورحيلًا من دار مضت نضارتها
 وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل عنها لغيرها ويكون زاده التقوى
 وراع المسلمين ما استطعت واما الخنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت
 في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين واما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهم
 واما اخنصامك انت وخالد في الصلح او القتال فانت الولي وصاحب الامر
 وان صلحك جرى على الحقيقة انها للروم وسلم اليهم ذلك . والسلام ورحمة الله
 وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين . واما هدية ابنة الملك هرقل فهديتها إلى ابيها
 بعد اسرها تفریط وقد كان يؤخذ في فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من
 المسلمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . اه . وعند وصول هذا الكتاب عمل
 ابو عبيدة بحسبه وسلك القوم كما من أمير المؤمنين وطاعوا قائدهم حتى الطاعة

وسادوا دمشق وضربوا عليها الجزية
وعندما حُصِرَت دمشق كان بها كثير من اليهود قاتلوا مع الرومانيين
وكانوا يرمون العرب بالنبال والحجارة من اعالي الاسوار ولما فُتِحَت دمشق دانوا
للجزية كاهل مدينتهم وقد كان في دمشق اربعة كنائس مشهورة فا كان منها من
الجهة التي دخلها ابو عبيدة بقي للنصارى يقيمون فيه فرائضهم حسب الشروط
وما كان في الجهة التي دخلها خالد بالسيف اخذهُ المسلمون . ٥١ . (ملخصاً عن
الواقدي وغيره)

ولما فتح المسلمون مدن الشام اشترط الاهالي على انفسهم شروطاً وقد موها
لامير المؤمنين عمر بن الخطاب مع عبد الرحمن بن غنم وهي المذكورة في الكتاب
الآتية صورته وتعرف بشروط عمر وبالعهد العمري :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا كتاب لعمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذراريها واموالنا
واهل ديارنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نتحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا
كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحبي منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع
كنائسنا ان ينزلها احد من المسلمين في ايل ولا ونهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن
السبيل وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ايام نطعمهم ولا نوارى في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر
شركاً ولا ندعو اليه احداً ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان
اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا ننشبه بهم في
شيء من لباسهم في قناسوة ولا عمامة ولا نعالين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا
نتكلم بكلامهم ولا نركب السروج ولا نتخذ السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا
نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وان نجزم مقدم رؤوسنا وان
نأزم زيننا حيثما كنا وان نشد زنا نير على اوساطنا ولا نظهر الصايب على كنائسنا
ولا نظهر صالبا ننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم ولا نضرب

نواقيسنا في كنايسنا الاضرباً خفيفاً ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم . قال فلما اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه (ولا نضر باحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئاً ما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق) (وقد روى ذلك الامام البيهقي وغيره اهـ .) (منقولاً عن انس الجليل والمستظرف) وقيل ان عمر امر اهل الذمة بغير ذلك (اهل الذمة النصارى وغيرهم ممن دفعوا الجزية) وهو ان يجوزوا نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يشدوا الزناير والله اعلم . وكيف كان الحال فليست هذه الشروط شريعة لان شروط الفاتحين تتغير بتغير الزمان

وفي سنة ١٥ للهجرة قسم عمر الشام الى قسمين فاعطى ابا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها واعطى الساحل لمعاوية بن ابي سفيان وامره بالخضوع لابي عبيدة . ودامت الحرب في بلاد سورية الى ان خضعت لسلطة المسلمين وفي سنة ١٨ هجرة فشا في الشام طاعون شديد فأتى به ابو عبيدة وخلفه معاذ بن جبل الانصاري فأتى ايضا بالطاعون فخلفه عمرو بن العاص وفي هذه السنة اتى الامام عمر بلاد الشام وقسم مواريث الذين ماتوا ورجع الى المدينة ثم سار عمرو بن العاص الى مصر ليفتحها وفي سنة ٢٠ هـ توفي في دمشق بلال بن رباح مؤذن النبي (صلعم) فدفن في باب الصغير ولما توجه عمرو بن العاص لفتح مصر تولى بعده على دمشق معاوية بن ابي سفيان عامل الساحل وكان يجبي الاموال من البلاد وفي سنة ٢٢ هـ توفي عمر امير المؤمنين قتيلاً رحمه الله في اليوم الاخير من هذه السنة ودفن في اليوم الاول من سنة ٢٤ هـ بازاء النبي (صلعم) في المدينة المنورة وفي اليوم الثالث من موته خلفه عثمان فافر معاوية على الشام وكان معاوية يقيم في دمشق ويدبر مهامها وجعلها عاصمة ولايته فازداد عدد سكانها وعظم شأنها وكان العرب يتواردون اليها من جميع الانحاء وكان مايرغبهم في سوريا وخصوصاً

دمشق كثرة اثمارها ومياهها وجودة تربتها وهوائها واتساع اراضيها ونضارتها
ومع كل رغبة العرب فيها كانوا يقولون زمن خرج الى الشام نقص عمره وقتله نعيمة
وفي سنة ٥٢٧ سار معاوية جنوده بامر الخليفة عثمان (ضه) الى قبرس
فقتل وسبي من اهلها ثم صالحهم على ان يدفعوا كل سنة سبعة آلاف دينار جزية
ورجع الى الشام وفي سنة ٥٣٣ تكلم جماعة في الكوفة ضد عثمان فامر عثمان بابعادهم
الى الشام فاتوا دمشق وما لبثوا ان تطاولوا على معاوية وكادوا يشيرون فتنة
فامر عثمان بارجاعهم من حيث اتوا فارجعوا وفي ١٨ ذي الحجة سنة ٥٣٥ قتل
عثمان (رح) في مكة وخلفه علي (ضه) فثارت الفتن في الممالك الاسلامية ووقع
الخلف بين الناس وابي ان يكون معاوية على الشام لتمكنه منها فوجه اليها بسهل
بن خيف الانصاري ولما وصل تبوك لقيته خيل فقالوا من انت قال امير على
الشام قالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع على عقبك قال وما سمعتم بها جرى
اجابوا بلى ولا نقبل علينا الا معاوية فرجع سهل الى علي وبقي معاوية على الشام
وعاصمة ولايته دمشق

وانقسم الملك بعد قتل عثمان الى قسمين فكان قوم يطالبون بدمه وقوم
ينتصرون لعلي وكانت معاوية عامل دمشق رأس المتخزين لعثمان وكان عمرو
بن العاص في ايام عثمان عاملاً على مصر وعزل عنها فاتي وسكن الشام ولما بلغه
وفاة عثمان كتب الى معاوية بحضه على ان يشار بدم عثمان فبعث اليه معاوية
ان يبائة فابي الا اذا اعطاه مصر طعمة فاجابه كما تروم فقال عمرو:

معاوي لا اعطيك ديني ولم ائل به منك ديناً فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصر افرج صفة اخذت بها شيخاً يضر وينفع
وباغ علياً ذلك فخرج من الكوفة مجنوده وعددها تسعون الف مقاتل
فسار معاوية من دمشق للقائه بمخمسة وثمانين الفا وكان ذلك سنة ٥٣٦ فالتقى
الجيشان بصفين وانقدت بينهما نار الوغى واقاموا بصفين مئة وعشرة ايام جرى
بها تسعون واقعة قتل بها من الجانبين سبعون الفا وكانت الحرب سجالاً ثم كفوا

عن الحرب واتفق معاوية وعلي على التناضي الى الكتاب العزيز وعيننا يوماً لذلك
وحكماً من كل فريق فاجتمع الحكمان واتفقا على خلع علي ومعاوية وان يولي الناس
خلافها من شاءوا وذهبوا ليصرّحا بحكمها امام الجمهور فصرّح اولاً ابو موسى
نائب علي وقال ايها الناس انا لم نر اصالح لامر هذه الامة من امر قد اجتمع عليه
راي وراي عمرو وهو ان نخلع علياً ومعاوية واولا عليكم من رايتموه لهذا الامر
اهلاً . وثني . واقبل عمرو نائب معاوية وقال ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع
صاحبه وانا اخلع صاحبه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان والطالب بدمي واحق
الناس بهقامه فقال له ابو موسى لا وفقك الله غدرت وفجرت وركب ابو موسى
ولحق بمكة حياءً من الناس وانصرف عمرو واهل الشام الى معاوية وسلموا
عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت اخذ امر علي بالضعف وامر معاوية بالقوة
وجرى هذا سنة ٢٧ هجرية

نبذة من تاريخ الدولة الاموية

لحسن اقليم سوريا وكثرة خصبه وغزارة مياهه وحسن هوائه وجودة تربته
لم يقض عليه بالخراب بعد ان جرى فيه من الدم انهيار بل ظل عامراً مسكوناً
واناه العرب افواجاً افواجاً فازداد عدد سكانه ورجع كما كانت في ايام تولي
الرومان عليه كأن لم يحدث به من التغيير الا نقل حكمته لايدي قوم اعدل
من اسلافهم وانتشار الاسلام في انجائه

ولفضل دمشق عما سواها من مدن سوريا وحسن موقعها الطبيعي والتجاري
فازت باعظم نصيب من رفعة الشأن فعوضاً من ان تكون تابعة لغيرها اصيحت
عاصمة مملكة عظيمة وهي مملكة المسلمين الاولى وقد اعنتي بها الامويون فجعلوها من
افخر المدن واعلاها قدراً فرجعت الى عصر الضياء بعد ان شابت ذوائبها
بتقلبات الزمان

اما واضع اسس الدولة الاموية في دمشق فهو معاوية بن ابي سفيان المذكور

أنفا وما لبث ان سلم عليه اهل الشام بالخلافة حتى وضع نصب عينيه اخضاع جميع الممالك الاسلامية فجهز عمرو بن العاص سنة ٥٢٨ وارساله الى مصر فحل عليها وفتحها وكان علي على العراق فجعل معاوية يرسل اليه المغازي وينهب ويخرب ويسبي حتى اقلق الاهالي وسلب راحتهم . وفي سنة ٤٠ سير بشر بن ارطه في عسكر الى الحجاز فاتي بشر المدينة المنورة ودخلها واستكره الناس على البيعة لمعاوية بعد ان سفك فيها الدماء ثم سار الى اليمن وغزاهها وذبح الوفاء من اهلها . وفي اثناء ذلك اتفق ثلاثة من العرب على قتل معاوية والامام علي وعمرو بن العاص لتستريح الامة وانفقوا ان يجهلوا في ليلة واحدة على من اضرروا لهم السوء وهي ليلة ١٧ من رمضان سنة ٥٤٠ فن ذهب الى علي تمكن منه وقتله والذي قصد معاوية اتى دمشق وضربه فجرحه فالتقى القبض عليه واتي به الى امام معاوية فسأله معاوية ما فعلت فقال جئتك مبشراً بقتل علي فقال معاوية وتحاول قتلي وامر به فقتلوه واما الذي ذهب لقتل عمرو بن العاص فوصل الى مصر وقتل غير عمرو غاطماً

وبعد مقتل الامام علي (رح) بايع قومه ابنه الحسن فعلم بذلك معاوية وجهز جيشاً لمحاربتهم فسار الحسن للثائيو باربعين الف مقاتل على انه وقع في جيشه خلف وسرت فيه فتنة فانصل خبرها به فقال لا سبيل لنا على معاوية وانا لعالمون عجزنا في محاربتهم ثم ارسل لمعاوية كتاباً بالتسليم تحت شروط فقبل معاوية الشروط الا قليلاً منها . ثم سار الى الكوفة فبايعه اهلها في ربيع الاول سنة ٥٤١ وفي سنة ٥٤٨ وجه عساكره لمحاربة القسطنطينية فرجعوا خائبين وقد اهلكت الحراريق الرومانية عدداً وافراً منهم وفي سنة ٥٦ دعا الناس لمبايعة ابنه يزيد بولاية العهد فبايعه اهل الشام والعراق على ان اهل الحجاز ابوا ذلك فسار اليهم بالجيوش واجبرهم على المبايعة وكر راجعاً وفي رجب سنة ٦٠ توفي ودفن في باب الصغير وقبره معروف وخلفه ابنه يزيد وقد اسلم معاوية مع ابيه سنة الفتح واستكتبه النبي واستعمله عمر على الشام

اربع سنين من خلافته واقره عثمان اثني عشرة سنة مدة خلافته واستولى بعدها على الشام مدة اربع سنين فكانت مدة امارته فيها ٢٠ سنة وفي سنة ٤١ بايعه الناس بالخلافة التامة فصار امير الممالك الاسلامية كلها وبقي خليفة الى حين موته وكان حلياً حازماً عالماً بسياسة الملك . وقد فتح حروباً ومغازي كثيرة يطول شرحها في سنة ٦٠ هـ لما استولى يزيد على عرش دمشق عزم اهل الكوفة على خلع طاعته وارسلوا ودعوا بالحسين ليبايعوه بالخلافة فانفذ الحسين اليهم بن يبايعوه نيابة عنه فاغضب الامر يزيد واشعل غيظه فارسل وقاتل الحسين وقومه في نواحي بغداد فتغلب جيشه وقتل الحسين واتي بالنساء والاطفال سبايا الى دمشق فارجعهم يزيد الى المدينة المنورة وفي سنة ٦٣ هـ اتفق اهل المدينة على خلع فوجه لهم من دمشق قوماً فتغلب عليهم واعادهم الى طاعته وفي ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ كان يزيد بجوارين من اعمال حمص فد همت المنية بها فنقل الى دمشق ودفن فيها وكانت مدة خلافته اربع سنين وتسعة اشهر

وبويع بعد يزيد ابنة معاوية الثاني وكان ضعيف العزم والراي لا يقدر على ادارة المملكة فتنهى عن الخلافة ومات بعد جلوسه بثلاثة اشهر

ولما مات معاوية قوي عبد الله بن الزبير في مكة فبايعه اهله واهل مصر واكثر الامصار وبعض اهل الشام وكاد يتم له امر الخلافة فاقام على الشام الضحاك نائباً عنه وكان مروان بن الحكم وهو الرابع من خلفاء بني امية بالشام قال اليه اليمانية ومال القيسية الى الضحاك وجرت مشاحنات كثيرة بين الحزبين والتقيما في مرج راهط بغرطة دمشق واقتتلا فانكسر قوم الضحاك فدخل مروان دمشق ونزل بدار معاوية فاتاه الناس ومال اليه عمال الشام واستقر على عرش دمشق وفي الثالث من رمضان سنة ٦٥ خنفته زوجته بنت يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت مدة خلافته تسعة اشهر وثمانية عشر يوماً

وفي يوم وفاة مروان بويع ابنة عبد الملك وكان عالي الهمة استرجع العراق والحجاز واليمن وضرب النقود وهو اول من ضرب السكة في الاسلام توفي في

دمشق في منتصف شوال سنة ٨٦ وله من العمر ستون سنة وكانت مدة خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتمع له الناس ١٢ سنة واربعة اشهر وكان حازماً عاقلاً فقيهاً عالماً

ويوم توفي عبد الملك بويح ابنة الوليد بالخلافة وكان مغرمًا بالبناء فامر ببناء جامع دمشق (هو الجامع الاموي المعروف) واتاه بالصناع من بلاد الروم وبلاد الاسلام فاني جامعاً لامثيل له كلفت نفقته على ما قيل الف الف ريال قال ابو الفداء وكان بجانب الجامع كنيسة سلمت للنصارى بسبب انها في نصف البلد الذي أخذ بالصلاح يوم الفتح وكانت تعرف بكنيسة ماريوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع . انتهى . وقال المسعودي في مروج الذهب وفي سنة ٨٩ هجرية ابتداءً الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد الرسول (صاعم) في المدينة فانفق عليها الاموال الجزيلة وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز قال . وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتداءً الوليد ببناء المسجد بدمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من اهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجهته الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب من ايام سليمان فقرأ فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم اوعا بنيت ما بقي من يسير اجالك لزهدت في ما بقي من طول املك وقصرت عن رغبتك وحبيلك وايمانك بقي قدمك اذا زلت بك القدم واسلمك اهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعي فلا تجاب فلان انت الى اهلك عائد ولا في شغلك زائد فاغنم الحياة قبل الموت والقوت قبل الفوت قبل ان يؤخذ منك بالكظم وبجمال بينك وبين العمل . وكتب في ايام سليمان بن داود . اه) قال ولما تم بناء المسجد امر الوليد بان يكتب بالذهب على اللازورد على حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله امر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي بجانب عبد الله الوليد امير المؤمنين في سنة سبع وثمانين (كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب)

وفي جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ توفي الوليد بدمشق ودُفِن في مقبرة باب الصغير وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة اشهر وقد بنى ابنة كثيرة في دمشق وغيرها

ويوم توفي الوليد كان اخوه سليمان بالرملة فبلغه خبر اخيه فقصد دمشق وبلغها بسبعة ايام فبوع الخلافة واحسن السيرة بالرعية واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وسنة ٩٨ خرج سليمان بجنوده لغزو بلاد الروم فدخل بلادهم ووجه اخاه مسالمة لحرب القسطنطينية فحل عليها وحصرها مدة على غير طائل فرجع عنها وفي صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بلباق من نواحي قنسرين ومدة خلافته سنتان وثمانية اشهر وقبل موته اوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

وفي صفر سنة ٩٩ بويغ عمر بالخلافة وتوفي سنة ١٠١ هـ بدبر سمعان نواحي معرة النعمان فبويغ بعده يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وكانت مبايعته في شهر رجب بعهد من سليمان حيث اوصى ان يزيد يكون خليفة لعمر وبعد ان استقر يزيد على عرش الخلافة في دمشق اربع سنين وشهراً مات اثر موت حبابة محبوبته. قبل ان يزيد خرج بحبابة للتنزه في بيت راس من قرى وادي بردى وكانت تغني له وهو مطروب من غنائها فاتوه برمان من بيت راس مشهور بكبر حبه فشرقت حبابة حبة منه فانت قبل انتصاف النهار فراح حزينا عليها ولحقها بعد سبعة عشر يوماً كدأ وحسرة. ودُفِن بدمشق

ثم بويغ هشام وكان في نواحي الرصافة فاتاه البريد بن خبير مبايعته فأتى دمشق ثم رجع الى الرصافة وفي ٦ ربيع الأول سنة ١٢٥ توفي ودُفِن بالرصافة وكانت مدة خلافته ١٩ سنة وتسعة اشهر وفي ايامه عصت الكوفة بواسطة زيد بن الحسين فتغلب هشام عليها وكان من المشهورين بالسياسة بين بني امية وكان حازماً سديد الرأي غزير العقل مات عن عدة بنين منهم عبد الرحمن مؤسس الدولة الاندلسية في اسبانيا

ثم تولى الخلافة الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكان مولعاً بشرب الخمر كريماً سخياً وفي السنة الثانية من خلافته صار وباة في دمشق وهو خارجها فخرج عاملة بها الى قطنا فعزل يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك موافقة سرية لخاصة فاجتمع له قوم فوثق بهم وقصد دمشق متخفياً فدخلها ليلاً فبايعه اكثر اهلها واجتمع اليه الجند وغيرهم ثم جهز جيشاً لمحاربة الوليد بن يزيد تحت قيادة عامل الوليد نفسه فعلم الوليد وهو بالاعزف من عسان فأتى بجنوده الى البصرة الى قصر النعمان بن بشير وهناك اقبل جيش الوليد وجيش يزيد فانكسر جيش الوليد وقتل الوليد نفسه ففُطع رأسه ورفُج على راس سنان واتي به الى يزيد فامر ان يُطاف به في دمشق وكان قتل الوليد في ٢٨ جمادى الآخرة ومدة خلافته سنة واحدة وثلاثة اشهر

فاستقل يزيد بالخلافة وكان يلقب بالناقص بويج في دمشق في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٢٦ هـ فظهر اهل حمص العصيان ونهبوا والي مد ينتهم وساروا قاصدين دمشق فارسل يزيد جيشاً لردعهم فالتقى العسكران قرب ثنية العقاب فانكسر جيش حمص فرجعت المدينة خاضعة ليزيد ثم عصى اهل فلسطين فخارهم واخضعهم واخذ البيعة منهم في طبرية ثم عصاه اهل خراسان وفي النهاية اظهر له الخلف مروان بن محمد وعمل على خلعه وفي ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٦ توفي في دمشق فقام بالامر بعده اخوه ابراهيم اربعة اشهر بدون ان يقر قرار الخلافة عليه

وسنة ١٢٧ سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم امير ديار الجزيرة الى الشام لخلع ابراهيم بن الوليد ولما وصل الى قنسرين اتفق مع اهلها فساروا معه ووصل الى حمص فاتفق مع اهلها فساروا معه بعد ان بايعوه ولما اقترب من دمشق بعث ابراهيم لمقاتلته بمئة وعشرين الف مقاتل تحت قيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مع مروان ٨٠ الف مقاتل فاقتتل الجيشان من الضحى الى العصر فانكسر جيش سليمان وتمهقر ودخل دمشق ولما عرف ابراهيم

بانكسار جنوده هرب واخفى فذهب سليمان بن هشام قائد الجيوش بيت المال وقسمه على اصحابه وهرب من المدينة فأتى مروان اليها ودخلها واستقر بها ومروان هذا هو ابن محمد بن مروان بن الحكم بويع بالخلافة يوم الاثنين رابع عشر شهر صفر سنة ١٢٧ وهو الرابع عشر من خلفاء بني امية وآخرهم فلما استقر له الحال في دمشق رجع الى منزله بجران وفي ايامه تضعفت احوال المملكة وفسدت ادارتها واخذ نظامها فآل الامر الى سقوطها التام . ففي سنة ولاية مروان عصاه اهل حمص فسار اليهم وكسرهم وخرب جانباً من سور مد ينتهم ثم عصاه اهل غوطة دمشق وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق وضيقوا عليها فارسل لردعهم عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة ابن الوردى فلما وصل الى دمشق رفع عنها الحصار وشنت شمل اهل الغوطة ونهبهم واحرق المنق وغيرها من القرى . ثم عصاه اهل فلسطين فحل عليهم ابن الوردى وشنت شملهم . ثم سار مروان الى فرقيسيا فجمعه سليمان بن هشام بن عبد الملك واجتمع لسليمان من اهل الشام ٧٠ الف مقاتل فعسكر بهم بقنسر بن فسار اليه مروان واقتتلا فانكسر سليمان واتى حمص فال اليه اهلها وعصوا مروان فأتاهم مروان وضيق عليهم فاستامنوا اليه فامنهم

وكان بنو العباس في بلاد خراسان يثيرون الفتنة ضد الامويين قال اليهم الناس هناك فتمكنوا في تلك الاطراف ونقلبوا على عمال مروان ثم امتدوا الى الكوفة فتمكنوا منها فقتلوا شوكتهم ومال اليهم الناس وفضلوهم عن سواهم . وفي سنة ١٢٢ بايع اهل تلك البلاد ابا العباس السفاج بالخلافة وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ولما قوي امر العباسيين جهز مروان جيشاً عدده مئة وعشرون الف مقاتل وسار الى الزاب فائتته عساكر السفاج وعددها عشرون الف مقاتل فقطع مروان الزاب بجنده واجتمع بعسكر السفاج واقتتلا فوقع خلل وخلف في عسكر مروان فالتزم ان ينهزم فقتل وغرق كثير من عسكره . وخسر مهمات

وافرة تقوى بها جيش السفاج وكان ذلك في جادى الآخرة سنة ١٢٢ ثم سار مروان الى الموصل مكسوراً فانكسرها فاهلها فرحل الى حران فتبعه عبد الله بن علي قائد عساكر السفاج فانهمز مروان من حران الى حمص ثم الى دمشق واذ لم يقدر ان يستقر بها رحل الى فلسطين فالى عبد الله الى دمشق وحاصرها اشد حصار وضيق عليها وحاربها بائصال وفي ٥ رمضان سنة ١٢٢ تمكن منها وفتحها عنوة وقتل كثيراً من اهلها من جملة الوليد والى المدينة ثم طارد قوم السفاج مروان وكان يهرب منهم الى ان ادركوه في بصير ببلاد الصعيد فقطعوا راسه في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٢ وارساوه الى السفاج . وبما سقطت دمشق بيد السفاج تمكن من بني امية وقتل منهم خلفاً كثيراً ولم يفتة الاقلائل منهم عبد الرحمن بن مروان مؤسس الدولة الاندلسية . ثم اظهر اهلها الى دمشق العصيان على السفاج فاتاهم قائد جنده واعادهم الى الطاعة وقد لحق بدمشق خراب عظيم بهك الحادثة وتهدم جانب من مبانيها النفيسة التي اقامها الامويون واخذ امرها في الانحطاط وقد تقدمت دمشق في زمن الامويين غاية التقدم واقيم بها من الابنية الجميلة ما يستحق الاعتبار وحصل النصرى على الراحة في ايام بعض خلفائها ودخل بعضهم خدمتها ورفقوا اعظم المراتب وارفعها ومن الذين تقدموا القديس يوحنا الدمشقي ووالده . وكانت الصنائع ناجحة والتجارة رائجة لموافقة مركز دمشق فانها ورثت تدمر واضحت مقصداً للناس من جميع انحاء الممالك الاسلامية الممتدة وكانت مدة الدولة الاموية بدمشق منذ يوم بوبع معاوية بالخلافة الى ان سقطت ٩٦ سنة وعددها من توليها منهم ١٤ خليفة اولهم معاوية وآخرهم مروان الثاني

فصل

في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للسلطان

صلاح الدين الابوي

لما فتح السفاج دمشق جعلها مركز معاملة بعد ان كانت عاصمة مملكة

عظيمة ممتدة في اسيا وافريقيا امتداداً شاسعاً واول والٍ وضعت عليها العباسيون هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح فظل هذا عاملاً على دمشق الى ان مات السفاح وخلفه المنصور فادعى عبد الله الخلافة على الشام فارسل اليه المنصور جيشاً وتغلب عليه واعقله ووضع على الشام غيره

وسنة ١٧٦ هـ ثارت فتنة عظيمة في دمشق بين المصرية واليمينية دامت اربع سنين وسنة ١٨٠ بعث الرشيد بجعفر بن يحيى الى دمشق من اجل هذه الفتنة فانها وسكن الثائرين ورجع . وبعد ذلك ضمت الشام الى ولاية مصر . وسنة ٢١٥ وسنة ٢١٦ هـ حمل الخليفة المأمون على الروم دفعتين فمر بدمشق واقام بها اياماً

وسنة ٢٢٧ هـ وهي سنة وفاة المعتصم وخلافة ابنه الواثق ثارت القيسية بدمشق وعثوا وافسدوا . فاناهم رجا بن ايوب بامر الخليفة الواثق وتغلب عليهم وقتل منهم ألفاً وخمس مئة وسكن الفتنة ورجع . وفي ذي القعدة سنة ٢٤٢ هـ سار الخليفة المتوكل من بغداد نحو دمشق وفي صفر سنة ٢٤٤ وصل اليها ودخلها وعزم على الإقامة فيها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبى اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامار على انطلاق فان تدع العراق وساكنيه فقد تبكي المليحة بالطلاق وبعد ان لبث الخليفة المتوكل مدة بدمشق استوبأها واستثقل ماها فرحل عنها وكان مقامه بها شهرين واياماً

وسنة ٢٥٢ هـ في ايام الخليفة المعتز ولي عيسى بن الشيخ على الرملة ولما راي فتنة الاتراك بالعراق سولت له نفسه الاستقلال في سوريا فتغلب على دمشق واعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام الى الخليفة وبقي على الشام الى خلافة المعتمد على الله فعزل سنة ٢٥٦ هـ وولي عوضاً عنه اماجور فهذا استولى على الشام بعد ان جرى بينه وبين اصحاب عيسى اشد قتال وسنة ٢٦٤ هـ توفي وكان احمد بن طولون قد تقوى في مصر وخلع طاعة العباسيين فطبع في الاستيلاء على

بلاد الشام فسار بجيشه واتي دمشق واستولى عليها ثم استولى على حمص وحماه
وحلب وفتح انطاكية عنوةً وسار الى طرطوس فاشند بها الغلاء فرجع الى الشام
فصارت دمشق وسورية ملكاً للطولونيين الذين استبدوا في مصر

وسنة ٢٧٠ هـ تولى خمارويه عوضاً عن ابيه احمد بن طولون فانتفضت عليه
دمشق فبعث اليها بعساكره فعادت الى طاعته ثم انت عساكر بغداد اطرد
خمارويه وكانت تحت قيادة المعتضد فدخل جند المعتضد دمشق في شعبان سنة
٢٧١ هـ وتبع المعتضد خمارويه الى الرملة وكسره ثم ان خمارويه لم يسمع جنوده وكره
على المعتضد فكسره فتهجر المعتضد ورجع الى دمشق فلم يقبله اهله فرحل عنها
فرجعت الى خمارويه الطولوني . سنة ٢٨١ هـ سار طغج والي دمشق من
قبل الطولونيين بجيش لمحاربة الروم ففتح في بلادهم وسي وعاد الى دمشق وكانت
مقرّاً لخمارويه سنة ٢٨٢ هـ قتل خمارويه بن احمد بن طولون في دمشق قتله
خدمته وباعوا ابنة جيشا وكان صبيّاً سنة ٢٨٢ هـ خلع طغج سيده جيشاً لصباه
بعد مبايعته بتسعة اشهر وباع مكانه اخاه هرون بن خمارويه وبقي طغج حاكماً
في دمشق سنة ٢٨٤ هـ اخذ حال هرون في مصر وانحل نظام مملكته
فاستبد طغج بدمشق

وسنة ٢٨٩ هـ حمل الفرامطة على الشام فكانت حروب بينهم وبين طغج
قال ابن خلدون . وانكسر طغج في كل حروبه مع الفرامطة وسنة ٢٩٠ هـ تقوى
الفرامطة على دمشق فصالحهم اهلهما على مال دفعوه لهم فانصرفوا عنهم وسنة
٢٩٢ ارسل الخليفة المكنفي جيشاً مع محمد بن سليمان الى دمشق فاستولى عليها
ثم سارت عساكر المكنفي الى هرون في مصر فقتل هرون . وظهر في تلك السنة
الخيلجي في مصر وقويت شوكته فذهب اليه احمد بن كيغنج عامل دمشق فطعمت
الفرامطة بدمشق لغياب عاملها فقصدوها ودخلوها ونهبوا وقتلوا بها خلقاً كثيراً
ثم ساروا الى طبرية ونهبوها وساروا عنها قاصدين جهات الكوفة . وسنة ٢١٨
تولى الاخشيد دمشق بامر الخليفة الراضي وكان احمد بن كيغنج على مصر فعزل

فصارت مصر والشام للاخشيد وصار الاخشيدي يقيم في مصر ويقيم على دمشق نائباً من قبله . وسنة ٢٢٧ استولى ابن رائق على الشام وكان معانداً للخليفة في بغداد فاخضع دمشق وحمص وطرد بدران نائب الاخشيدي وسار حتى بلغ العريش فخرج اليه الاخشيدي وجرى بينهما قتال شديد فانكسر ابن رائق الى دمشق ثم جهز الاخشيدي جيشاً وارسله لمحاربة ابن رائق فلاقاه ابن رائق واقتتلا فانهزم عسكر الاخشيدي وقتل اخوه فارسل ابن رائق يعزي الاخشيدي باخيه ويقول له ان اخاك لم يقتل بامرني وهوذا ابني مزاحم مرسله لك فاقتله باخيك ان شئت فرق الاخشيدي وخلع على مزاحم واعاده لابي فانهى الخلف واستقرت الشام لمحمد بن رائق ومصر للاخشيد . وسنة ٢٢٩ سار ابن رائق الى بغداد واستخلف عنه بدمشق ابا الحسن بن مقاتل . وفي ٢٢ رجب سنة ٢٣٠ قتل ابن رائق فبلغ الاخشيدي قتله فسار الى دمشق واستولى عليها ووضع فيها نائباً ورجع الى مصر . وسنة ٢٢٢ استولى سيف الدولة على حلب وحمص وسار الى دمشق والقي عليها الحصار فلم يتمكن منها فرجع عنها وكان الاخشيدي قد خرج لمحاربة سيف الدولة لما سمع بقدمه على دمشق فالتقيا بقتلهم واقتتلا فلم يظفر احدهما بالآخر فذهب الاخشيدي الى دمشق ورجع سيف الدولة الى حلب . وسنة ٢٢٤ مات الاخشيدي في دمشق فولي بعده ابنه ابو القاسم محمود . واذ كان ابو القاسم صغيراً قام بالامر كافور الاسود خادم الاخشيدي وسار كافور بعد موت سيده الى مصر فعرف سيف الدولة بذلك فسار الى دمشق وملكها واقام بها . وخرج يوماً للتنزه في غوطتها ومعه الشريف العقيقي فقال له سيف الدولة ما تصلح هذه الغوطة للرجل واحد فاجابه العقيقي هي لاقوام كثيري العدد فقال سيف الدولة لو اخذتها القواين السلطانية لتهربوا منها فاعلم العقيقي اهل دمشق بذلك فكرهوا سيف الدولة وكاتبوا كافورا يستدعونه فاجاءهم فاخرجوا سيف الدولة من ديارهم فرحل الى حلب واما كافور فرجع الى مصر واقام على دمشق بدران الاخشيدي فاقام فيها بدرسنة وخلفه ابو المظفر بن طغج . وسنة ٢٢٩ توفي

محمد الغازالي العلامة المشهور بدمشق بعد ان لبث بها مدة
 وبقيت سورية تابعة للعائلة الاخشيدية في مصر الى ان استقرت لكافور
 عبد الاخشيد اما حلب وجهاتها فلم ترجع لحكومة مصر بعد ان اخذها سيف
 الدولة وفي ٢٠ جمادى الاولى سنة ٢٥٧ مات كافور في مصر وكان يخطب
 له على المنابر في مكة والحجاز والديار المصرية والشامية خلا حلب وتوابعها
 وعاصر كافورا ابو الطيب المتني وله فيه مدائح كثيرة وهجوس شديد فمن مدائح قوله
 قصيدته التي مطلعها

كفى بك داع ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
 وقصيدته التي مطلعها

من الجاذر في زي الاعارب حمر الحلي والمطايا والجلابيب
 ومن هجوه له قوله

من اية الطرق ياتي مثلك الكرم ابن المهاجم يا كافور والجلهم
 جاز الاولى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك ان الكلب فوقهم

وبعد موت كافور ولي الامر ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد . وفي
 السنة الثانية من ولايته ارسل المعز العلوي جيشا جرارا الى الديار المصرية تحت
 قيادة جوهر غلام الله منصور فاستولى عليها وفي شوال اقيمت الدعوة للمعز وقوي
 جوهر بمصر ولما راق له حالها سير جيشا كبيرا مع جعفر بن قلاج الى الشام فبلغ الرملة
 واستولى عليها بعد حروب ثم رحل الى طبرية فوجد اهله مقيمين الدعوة للمعز
 فرحل عنها الى دمشق فقاتله اهله فظفروهم وملك المدينة ونهب بعضها واقام
 الخطبة للمعز لد بن الله العلوي وقطع الخطبة العباسية وكان ذلك في محرم سنة
 ٢٥٩ وعند اقامة الخطبة العلوية حدثت فتنة بين اهالي دمشق وجعفر القائد
 العلوي ووقعت بينها حروب عنيفة وقطع الاهالي الخطبة العلوية واخيرا عاد
 جعفر واستظهر على الدماشقة واقام الخطبة لسيدته واخضع المدينة حتى الخضوع
 للمعز لد بن الله العلوي وسنة ٢٦٠ وصل الفرامطة الى دمشق وبلغ خبرهم جعفر

نائب المعز فاستهان بهم فوقعوا عليهم بخارج دمشق وقتلوه وملكوا المدينة وامنوا
 اهلها ثم ساروا الى الرملة وملكوها كدمشق فانضم اليهم جماعة من الاخشيدية
 وقصدوا مصرًا واقتتلوا مع المغاربة فانتصر اولاً القرامطة ثم المغاربة فرجع
 القرامطة الى الشام وكبيرهم الحسن بن احمد بن بهرام . وسنة ٣٦٣ هجرية سار
 القرامطة نحو مصر فتغلب عليهم المعز لد بن الله فرحلوا عن الشام فارسل المعز
 القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق فدخلها وعظم حاله بها وكثرت
 جموعه وما لبث الا ووقعت الفتن في دمشق بين المغاربة وعاملهم المذكور
 ودامت الى سنة ٣٦٤ فراق الحال وولي على دمشق ريان الخادم . وسنة
 ٣٦٥ سار افتكين احد موالي معز الدولة الى حمص ثم الى دمشق وانفق مع اهلها
 فاخرجوا اميرهم ريان وفي شهر شعبان قطعوا خطبة المعز لدين الله واستولى افتكين
 على دمشق فعزم المعز العلوي على قتال افتكين فادركته المنية وتولى ابنه العزيز
 عوضاً عنه فجهز القائد جوهرًا الى الشام فوصل جوهر الى دمشق وحصر افتكين
 بها فارسل افتكين الى القرامطة ليعينوه فساروا الى دمشق ولما اقتربوا منها
 رحل عنها جوهر راجعًا الى مصر فتأثر افتكين والقرامطة وانضم اليها خلق
 كثير فادركوه نواحي الرملة فرأى ضعفه فدخل عسقلان فحصره بها واشتد
 الجوع بالمدينة فبذل جوهر لافتكين مالا جزيلًا فرحل افتكين عنه وسار جوهر
 الى مصر واعلم العزيز بما كان فخرج العزيز الى الحرب وسار الى الشام فوصل
 الى ظاهر الرملة فاناها افتكين والقرامطة ودارت بينهم رحى الحرب فانكسر
 افتكين ومن معه وأهل العزيز فيهم القتل والاسر وجعل لمن يحضر اليه افتكين
 مئة الف دينار وهرب افتكين عقب الحاربة حتى نزل بيت مفرج بن دغثل
 فامسكه مفرج واخبر العزيز وقبض منه المال ومن ثم سلم افتكين لرسول العزيز
 اما العزيز فاكرم افتكين واطلق له اسراه واجزل نعمته واخذه معه الى مصر
 وظل بها في نعمة العزيز حتى مات
 وبعد ان اخذ افتكين الى مصر تغلب على الشام قسام احد اتباع افتكين وصار

يخطب للعزير فاقن وفي سنة ٢٦٨ اتى ابو تغلب من الموصل وكان حاكماً ديار
مضر والموصل وحاول فتح دمشق فقاتله قسام ومنعه عنها فسار ابو تغلب الى
الرملة فلقية الفضل قائد العزيز فقتل من معه واسر النساء وقطع راسه وارسله
الى العزيز في مصر . ثم عصت دمشق وبلاد الشام على العزيز فارسل العزيز
جيشاً مع بكتكين لارجاع الشام لطاعته فاستولى بكتكين اولاً على فلسطين ثم
سار الى دمشق فقاتله حاكمها قسام فتغلب بكتكين عليه واخذة اسيراً وارسله الى
مصر وملك بكتكين دمشق واستقر بها فزال الفتن

وسنة ٢٧٢ كتب بيجور والي حمص (من قبل ابي المعالي سعد الدين
صاحب حلب) الى العزيز في مصر ليوليته دمشق فاجابه العزيز الى ذلك وكتب
لعماميه بكتكين ان يسلم دمشق لبيجور ويحضر الى مصر فسلمها له في رجب ورحل
فاستقر بيجور على دمشق واساء السيرة فيها فضجروا اهلها وكرهوه وتشكوا منه فسمع
العزيز تشكيهم . وفي سنة ٢٧٨ ارسل قائده منير الخادم بجيش الى دمشق لي عزل
عنها بيجور ويتولاهما ولما قرب منها خرج اليه بيجور وحاربه عند دار يافانكسر بيجور
ونقمقر وطلب الامان فامنه منير ورحل بيجور عن دمشق فاستولى عليها منير
واستقر على امارتها واحسن السيرة في اهلها . وسنة ٢٨٦ توفي العزيز بالله صاحب
مصر وفي ايامه كانت راحة تامة للنصارى واليهود وقد استخدمهم وقد مهم في
المناصب وولي الامر بعده ابنه المنصور ابو علي الحاكم بامر الله بعهد من والده وكان
عمره يوم ولي احدى عشرة سنة وقام بتدبير ملكه خادماً ابي ارجوان وكان خصياً
ايضاً وعالماً بامور السياسة فضبط الملك وحفظه لسيدته حتى كبر فاستلمه وفي ايام
الحاكم لم يحدث في دمشق ما يستحق الذكر وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء
ادعى الالهوية وتوغل في الكفر وكان تارة يتظاهر بغيره شديداً على دين الاسلام
وطوراً يقتل المسلمين ويقطع الحج ويظلم الناس وادعى علم الغيب واستخدم العواهر
ليدخلن بيوت الناس وياتينه باخبارهم وسنة ٢٩٥ قام ابو ركوة وادعى انه من
بني امية والخلافة له ودعا الناس الى نفسه فاجابوه لكرههم الحاكم فظفر به

الحاكم بواسطة قائده فضل بعد حروب انتصر في اولها ابوركوة وقتلته وحسب ذلك من معجزاته وفي شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٢ صرح علماء بغداد وافاضها علناً بكفر الحاكم . وسنة ٤١١ اتفقت اخت الحاكم ست الملك مع قائد من قواد اخيهما كان اُتهم بها فقتلت اخاها وخلصت الناس من شره فخلفه ابنة الظاهر لاعزاز دين الله وكان ذلك في ٢ شوال سنة ٤١١ وكان حسن السيرة منصفاً بالرعية وظلت دمشق تابعة له وفي نصف شعبان سنة ٤٢٧ خلفه ابنة ابوتيم معد ولقب بالمستنصر بالله وفي براءة حكم المستنصر ارسل صاحب حلب شبل الدولة قائد الذيربي على بلاد الشام فلما واستقر بدمشق

وسنة ٤٢٢ امر المستنصر العلوي اهل دمشق بالخروج عن طاعة الذيربي فاجابوه وطردوا الذيربي فسار الى حماه فعمصاه اهلها فرحل عنهم الى حلب . وفي هذه السنة كثرت مغازي البدوي في بلاد الشام وفقدت امنية الطرقات وسدت المسالك . وسنة ٤٥٥ زلزلت بلاد الشام اشد زلزال فخرّب كثير من بلدانها ومات تحت الردم ما لا يحصى من اهلها وفي نهاية الزلزلة ارسل المستنصر امير الجيوش بدرًا والياً على دمشق فثار به الجند ففارقها . وسنة ٤٦١ ثارت فتنة بين المغاربة والمشاركة فضربت دار بجوار الجامع الاموي بالنار فانصلت النار بالجامع وعجز الناس عن اطفائها فاحترق الجامع ودمرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

وسنة ٤٦٢ هـ فتح السلطان الب ارسلان التتري ديار بكر وحلب ثم سار احد امراء الب وهو يوسف بن ايتي الخوارزمي وفتح القدس والرملة ثم اتى دمشق وحصرها وضيق عليها بدون ان يتمكن منها فرحل عنها خائباً سنة ٤٦٧ . وسنة ٤٦٨ عاودها وقت الحصاد وضيق عليها فسلمها اهلها له فاكها في اوائل ذي الحجة وقطع الخطبة العلوية فيها واقام الخطبة العباسية في ٥ ذي النعفة حتى لم يخطب بها للعلويين فيما بعد فصارت دمشق للسلاجقة

وسنة ٤٦٩ خرج اتسر من دمشق لمحاربة مصر فعاد مهزوماً وفي السنة

التالية طمع العلويون في استرجاع دمشق فأرسلوا عسكرياً لمحاربتها وفتحها
فأنجد أهلها نئش صاحب حلب وهزم عسكرياً المصريين ثم عاد العلويون وأرسلوا
جنودهم إليها سنة ٤٧٨ مع بدر الجمالي فحصرها وضيق عليها ونئش صاحب
حلب فيها يدافع عنها وبعد أن طال الحصار على غير طائل ارتد عنها بدر
راجعاً إلى مصر وكانت حلب عصت نئشاً فسار إليها بعسكره وفتحها وكر راجعاً
إلى دمشق واستقر بها وكان ملك شاه اخو نئش قد عظم أمره وتسلط على كل
الممالك الإسلامية وخطب له على منابرها ولما مات خلفه نئش وخطب له على
المنابر وأقام والياً على دمشق ساوتكين الخادم ثم قوي بركيارق بن الب أرسلان
على عمه نئش وقتله في نواحي اصفهان فجاء ابنه دقاق إلى دمشق واستولى عليها
بعد منازعات يطول شرحها وذلك سنة ٤٨٨ وفي السنة الثانية والتي بعدها
تحركت في أوروبا الحركة الصليبية وتجمع الأفرنج من كل أنحاء بتعريضات
السائح بطرس المشهور وخرجوا لفتح بلاد فلسطين وتخليص الأراضي المقدسة
من أيدي المسلمين

ولما انت الجنود الصليبية سروريا استولت على انطاكية بعد حروب كثيرة
وعنيفة فساء الأمر جميع أمراء المسلمين فرفعوا ما كان بينهم من المناظرة والخصام
والتحدوا على محاربة الأفرنج وسار دقاق مع غيره من الأمراء سنة ٤٩١ لاسترجاع
انطاكية وبعد أن حاربوها رجعوا مهزومين فاخذت فتوحات الصليبيين تمتد .
ثم سار دقاق إلى جبلة وفتحها ووضع عليها ابنه ورجع ورجوعه أخذت من ابنه
فتبع أباه إلى دمشق ثم سار دقاق سنة ٤٩٦ وفتح الرحبة وضمها إليه . وسنة ٤٩٧
توفي دقاق ودفن بها فخطب طغتكين الأتابك أحد المتقدمين لابن دقاق
وكان طفلاً ثم قطع خطبته وخطب لآخي دقاق بلتاش ثم قطع خطبته وعاد
وخطب للطفل وولج هو إدارة الأمور

وسنة ٥٠٣ حل الأفرنج على طرابلس فرحل كثيرون من أهلها واتوا دمشق .
وسنة ٥٠٧ أتى صاحب الموصل دمشق فاستقبله طغتكين إلى سلمية وأتى به إلى

دمشق ثم سارا منها وانضم اليها صاحب سنجار والامير ابازين ايلغازي وذهبوا جميعاً الى قرب طبرية وقاتلوا الافرنج وكسروهم ورجعوا الى دمشق منصورين فدخلوها في ربيع الاول . ودخل طغتكين ومودود صاحب الموصل الجامع الاموي فحل باطني على مودود وهو في الجامع وضربه بسكين فمات بيومه ودفن في دمشق ثم نقل منها الى بغداد وسنة ٥٠٨ الى ايلغازي بن ارتق صاحب مارد بن الى دمشق فاتفق مع واليها طغتكين وكتبوا الى الافرنج واعترضوا بهم وسار ايلغازي نحو بلاده ولما عرف السلطان محمد بن ملكشاه بها فعلا غضب عليها وسير جيوشه سنة ٥٠٩ لمحاربتها فمات الجنود ووصلت الى حماه وهي لطغتكين وفتحها عنوة واقام بها وعساكر الافرنج مع عساكر طغتكين وايلغازي مقبلة بفامية تنتظر تفرق الجيوش الاسلامية ولما اقبل الشتاء تفرق جيش الافرنج واما طغتكين وايلغازي فذهب كل منهما الى محله ثم ان طغتكين نقض عهد الافرنج ورحل بنفسه الى بغداد الى السلطان محمد وقدم له الطاعة وسأله العفو فعفا عنه وفي ذي الحجة سنة ٥٠٨ مات السلطان محمد بن ملكشاه فصار ابنه محمود خليفة . وسنة ٥١٧ ذهب طغتكين وحارب حمص ونهبها ثم استرجع حماه وعاد الى دمشق . وسنة ٥٢٠ الى الافرنج من جهة فلسطين وحملوا على دمشق ونزلوا في مرج الصفير عند قرية شقيب فارس طغتكين وجمع التركمان وغيرهم لمحاربة الافرنج فالتقوا في اواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهمز طغتكين والخيالة وتبعهم الافرنج وسنة ٥٢٢ مات طغتكين وكانت مئة ملكه على دمشق ٢٥ سنة تقريباً وهو من هاليك نئش بن الب ارسلان وكان عاقلاً خبيراً ويلقب ظهير الدين وبعد موت طغتكين ملك ابنه تاج الملوك نوري بعهد منه ولما ولي نوري استوزر طاهر المزدغاني وكان نافذ الكلمة بالرعية . وفي هذه السنة اتى رجل من الاسماعيليين من بغداد اسمه بهرام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه الوزير فتبعه خلق كثير وقوي امن فاعطاه الوزير طاهر بانباس فعظم لذلك امر بهرام في الشام وملك عدة حصون في الجبال وقد جرى بينه

وبين اهالي وادي التيم مقاتلة قتل بها فاقام الوزير عوضاً عنه على بانياس رجلاً
 اسماعيلياً اسمه اسماعيل واقام ايضاً ابا الوفاء الاسعيلي في دمشق بمركز بهرام فعظم
 امر ابي الوفاء وصار المحكم له في دمشق فكاتب الافرنج ان يسلمهم دمشق فيعطونه
 عوضاً عنها مدينة صور فاتفقوا معه على ذلك وعلى ان يكون قدومهم الى دمشق
 يوم الجمعة . فعلم نايج الملوك نوري بالملكية فاستدعى وزيره طاهراً وقتله . وامر بقتل
 الاسماعيليين الذين في دمشق فثار بهم الدماشقة وقتلوا منهم ستة آلاف نفر . وعند
 وصول الصليبيين راوا خلاف ما املوا فحصروا دمشق مدة فلم يظفروا بشيء
 فرفعوا الحصار وعادوا من حيث اتوا . فتناثرهم نوري مسافة وقتل منهم عدة .
 واما اسماعيل الباطني فسلم بانياس للافرنج . وسنة ٥٢٥ وثب الباطنية
 وجرحوا نوري انتقاماً فضعف جسمه وازمته المرض ومات في ٢١ رجب سنة ٥٢٦
 وتولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل بوصية منه . وولي اخوه شمس الدولة محمد
 بعابك بوصية من ابيه . ولما استقر محمد بعابك فتح حصني الراس واللبوة فكتب اليه
 اخوه اسماعيل ليردهما فابي فسار اليه اسماعيل واسترجعها وفتح بعابك بعد حصار
 وحصر قلعتها . ثم اصطالحها وبقي محمد على بعابك ورجع اسماعيل الى دمشق منصوراً .
 وسنة ٥٢٧ سار اسماعيل على غفلة من الافرنج وفتح مدينة بانياس عنوة وحصر
 قلعتها واستلمها بالامان وفي شهر ربيع الآخر وثب على اسماعيل احد ماليك جده
 وضربه بسيف فلم يعمل السيف به فالتى القبض على الضارب واقربها حمله على ما
 فعل فقتله اسماعيل وقتل جماعة من غير تحقيق فعظم ذلك على الناس فنفروا
 منه وحل بغضه في قلوبهم . ثم سار اسماعيل الى حماه وملكها عنوة في عيد رمضان
 وكانت قد اخذت منذ سنة ٥٢٢ ورحل عنها الى شيزر فصالحه صاحبها على
 مال فقام عنها ورجع الى دمشق . وفي محرم سنة ٥٢٨ سار وفتح حصن الشقيف
 وكان بيد الضحاك بن جندل صاحب وادي التيم فعظم ذلك على الافرنج
 واستكبروه فقصدوا بلاد حوران فجمع اسماعيل الجنود وناوش الافرنج واغار على
 بلادهم من جهة طبرية واخيرا تهادنوا معه فرجع الى دمشق . وكان اسماعيل

ظالماً جائراً في الرعية فكرهه الناس واموال التخاص منه. وفي ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٢٩ اتفقوا مع والدته وقتلوه وكان عمره نحو ٢٤ سنة واقاموا بعد اخاه شهاب الدين محموداً وكان يحافظ المدينة معين الدين اترملوك طغتكين ويحسن العمل بالرعية

ولما ولي شهاب الدين اتي عماد الدين زنكي صاحب حلب الى دمشق وضيق عليها فلم يبلغ منها ارباً فاصطلىح مع اهلها ورجع . وفي شوال سنة ٥٢٢ غدر ثلاثة من غلمان شهاب الدين بسيدهم وقتلوه على فراشه في القلعة فاتي اخوه جمال الدين صاحب بعليك وولي امر دمشق بعدك (وفي سنة ٥٢٢ وسنة ٥٢٣ كانت زلازل كثيرة في بلاد الشام اخرجت المدن واهلكت العباد وكان اكثر فعلها في مدينة حلب) فطاع عماد الدين زنكي بدمشق فاتي لمحاربتها ونزل على داريا في ٢٢ ربيع اول واخذ بنازل المدينة وفي اثناء الحصار مرض جمال الدين محمد ومات في ٨ شعبان فولي اخوه مجير الدين فحارب زنكي واضطره الى الرجوع عن المدينة فرحل عنها ونزل بقريه عدرا واحرق قري المريج ورحل الى بلاده . وسنة ٥٤١ سار مجير الدين واسترجع بعليك وكان قد اخذها صاحب حلب . وسنة ٥٤٢ اتى الصليبيون وحصروا دمشق وكان على تدبيرها معين الدين اتر فارسلي اتز الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجح فاتي بعسكره الشام ومعه اخوه نور الدين ونزلوا على حصص فارتاع الافرنج (قال مكسيموس مونروند في المجلد الثاني من كتابه تاريخ الحروب الصليبية عند وصفه حملة الافرنج هذه ما ملخصه : في سنة ١١٤٨ م صار اجتماع احنفالي بعكاء حضره الملك كونراد والسلطان لويس السابع والسلطان بودوين الثالث ملك اورشليم واشراف الصليبيين الحربيون والمدنيون والكنائسيون واجمعوا على ان يمتلكوا مدينة دمشق حيث تراسى لهم ان استيلاءهم عليها يسهل لهم اخذ كل سوريا ويجعلهم مامونين من حروب جديده بينهم وبين المسلمين وفي ايار سنة ١١٤٨ م كانت مهات الحرب معدة ففسار هولاء الثلاثة الملوك وقوادهم وجنودهم ونزلوا في

طبرية ثم اجنأوا الى بانياس وقطعوا جبل الشيخ ووصلوا الى دمشق فنازلوها
 زماناً طويلاً ولكنهم انقسموا واختلفت كلمتهم فرجعوا بالخبيثة بعد ان كاد نصر
 النصر يخفق فوق رؤوسهم

قال ابو الفداء . وكان بين الافرنج (المحاصرين دمشق) ملك الالمان
 فارسل اتز الى افرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلى عن ملك الالمان
 وشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى
 بلاده وسلم اتز قلعة بانياس الى الافرنج حسب شرطهم . ومن خسائر دمشق في هذه
 الحرب احد قوادها المشهورين نور الدولة شاهنشاہ ابن ايوب اخو السلطان
 صلاح الدين الايوبي وفي مدة حصار دمشق كان غلاماً شديداً في كل بلاد
 الشام والعراق وخراسان وبلاد العرب . وسنة ٥٤٤ هـ هبت المنية معين
 الدين اتز وكان هو الحاكم بدمشق فعلاً فندبه الناس وحننوا عليه وحسبوا موته
 اعظم خسارة وبقي على سرير دمشق مجير الدين فاخذ يدبر الامور فتداخل
 الافرنج بدمشق في مدته تداخلاً حبيماً فقوي نفوذهم فيها وصار لهم كلمة
 مسموعة فكانوا يفكرون كل مملوك وسرية بدمشق اما بفدية او بغير فدية ولما
 كانت سنة ٥٤٤ هـ هجرية خشي نور الدين صاحب حلب (وهو السلطان نور
 الدين المشهور) امر نفوذ الافرنج بدمشق وخاف ان يملكوا المدينة فكانت اهلها
 واستألم في الباطن بدون معرفة اميرهم ثم سار بجنوده اليها وحصرها ففتح له
 الالهالي الباب الشرقي فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة
 وطال الحصار فبذل نور الدين لمجير الدين اقطاعاً من جنته مدينة حمص اذا
 سلمه القلعة فقبل مجير الدين وسار الى حمص فلم يعطوا اياها بل بدلها له
 بغيرها فابى وسار الى بغداد وسكن فيها حتى مات وهكذا انتقلت دمشق الى ملك
 نور الدين الذي يلقب بالشهيد فوضع عليها اخاه نجم الدين ايوب ورجع الى
 حلب

وفي ذي الحجة سنة ٥٥٩ هـ فتح نور الدين بانياس وضربها اليه وقد فتح فتوحات

كثيرة غيرها واقام بهغازية يطول شرحها واشتغل بمجاربة الافرنج اكثر حياته
 وفتح كثيراً من بلادهم وحصونهم وفتح جانباً من البلاد المصرية. ثم اتخذ دمشق
 مقراً له وجعلها مركز حركاته وسكن في قلعتها كغيره من ملوكها. وبنى في دمشق
 وغيرها عدة مدارس ونشط بضاعة العلم وخدمها واجرى العدل والانصاف
 بالرعية وابطل المكوس فاكسب حب الاهالي وهيلهم وبواسطته تقوى
 صلاح الدين الايوبي الشهير مؤسس الدولة الايوبية وركنها. ويوم الاربعاء الواقع
 في ١١ شوال سنة ٥٥٦ توفي نور الدين بن بركة دمشق بعلية الخوانيق ودفن في
 مدرسته التي بناها في دمشق ولم تنزل الى الآن وتعرف بالنورية نسبة اليه.
 وقبل موته بتليل كان قد جهز جيشاً لمحاربة صلاح الدين في مصر لانه امتنع عن
 طاعته وصم ان يسير اليه بنفسه وان يترك ابن اخيه على الشام قبالة الافرنج نائباً
 عنه فانصرم عمره بغتة. وله مآثر ستري بعضها مذكوراً في ترجمته في باب الترجحات
 ولما مات نور الدين قام باعباء الملك ابنة الملك الصالح اسمعيل وعمه
 احدى عشرة سنة فاقام في دمشق وكان مدبره في الامور الامير شمس الدين محمد
 بن عبد الملك المعروف بابن المقدم. وقد اطاعة صلاح الدين بمصر وخطب له
 فيها وضرب السكة باسمه على ان صاحب الموصل خلع طاعته وذهب وامتك
 بلاد الجزيرة. وسنة ٥٥٧ حسن صاحب حلب للملك الصالح اسمعيل بحجاب
 فانقاد اليه وتوجه اليها واقام فيها وكان في حلب سهد الدين كمشتكين متخرباً
 من الملك فخافه امره دمشق فراسلوا السلطان صلاح الدين صاحب مصر
 ودعوه ليملك عليهم فاجاب طابهم

فصل

في تاريخ مدة استيلاء الأيوبيين على دمشق

عندما دعا امره دمشق صلاح الدين بن ايوب ليملكه عليهم عوضاً
 عن الملك الصالح اسمعيل سار اليهم بسرعة ومعه سبع مئة فارس ولما وصل الى

دمشق خرج اليه من بها من العساكر والامراء والتقوه بالترحاب وملكوه البلد
على ان القلعة عصت عليه وبها من قبل الملك الصالح اسمعيل خادم اسمه
ريحان فراسله صلاح الدين واستماله واستلم القلعة منه ودخلها واخذ ما بها من
الاموال والذخائر فثبت قدمه بدمشق فقرر امورها واستخاف عليها اخاه سيف
الاسلام طغتكين بن ايوب وسار الى حصص في مستهل جادى الاولى فاستوز
عليها وعلى حماه وغيرها . ثم سار نحو حلب فاتاه عسكرها ومن انضم اليهم فتغلب
عليهم ايضا وتقدم نحو مد ينتهم وحصرها وضيق عليها . ولما كاد ان يتمكن منها
صالحه الصالح اسمعيل على ان يبقى الذي فتحه صلاح الدين بيده وما بقي يكون
للصالح . فاقبل صلاح الدين الابان تكون الخطبة والسكة باسمه فقبلتا . ورجع عن
حلب ظافرا . وفي شهر شوال سنة ٥٧١ سار صلاح الدين وحارب عسكر الموصل
وكسره عند تل السلطان . ثم رجع الى حلب وكانت قد امتنعت عليه فضيق عليها
فصالحه اهله فرحل عنها في ٢٠ محرم سنة ٥٧٢ . وسنة ٥٧٤ حدث وباء عظيم في
البلاد مات به كثيرون من سكان دمشق . وبعد هذا عزل صلاح الدين اخاه
سيف الاسلام عن ولاية الشام ووضع مكانه ابن اخيه عز الدين فرخشاہ . وسنة
٥٧٧ سار البرنس دي شالتيليون صاحب الكرك لفتح الحجاز فجمع عز الدين
جنوده وسار من دمشق فكسره البرنس فعاد الى دمشق

وفي ٥ محرم سنة ٥٧٨ سار السلطان صلاح الدين من مصر قاصدا الشام
فاجتمع الناس لوداعه وكان كل يقول شيئا في الوداع وفراقه وكان من
الحاضرين معلم لبعض اولاد السلطان فقال

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

فانقبض السلطان من ذلك وتذكر المجلس ولم يعد صلاح الدين بعد

ذلك الى مصر . وسار فوصل الى دمشق في ١١ صفر

وفيما كان صلاح الدين قاصدا الشام اجتمعت الافرنج عند الكرك

اي عارضوه في طريقه فانتهز فرخشاہ نائب السلطان في دمشق الفرصة وسار بجنده

وفتح الشقيف وما يجاوره من البلدان وارسل يبشر السلطان بذلك . ومكث السلطان بدمشق الى ربيع الاول ثم سار بجنوده ونزل قرب طبرية وشن الغارة على بلاد الافرنج كبايناس والغور وجنين وعاد راجعاً الى دمشق . ثم سار الى بيروت وحصرها واغار على بلادها ورجع الى دمشق وسار منها الى الجزيرة وقطع انفرات وفتح الرها وغيرها من المدن كقرقيسيا وماكسين والخابور . وحاصر الموصل ولم يفتحها فسار عنها الى سنبار وفتحها ثم سار الى حران . وفي سنة ثمان وخمسين من دمشق مات عاملها عز الدين فرخشاه فولى عوضاً عنه شمس الدين محمد بن عبد الملك المندم . (وفي هذه السنة مات في دمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وكان اماماً فاضلاً في العلوم الدينية قدم الى دمشق واقام بها وانف للسلطان عقيدة كان السلطان يقربها اولاده الصغار) . ثم دخلت سنة ٥٧٩ والسلطان يغزو ويفتح ففي العشر الاول من محرم فتح آمد ورحل الى الشام ففتح تل خالد من اعمال حلب ثم فتح عينتاب ورحل عنها وحصر حلب فسلمه صاحبها بشرط ان يعوضه عنها بغيرها وكان ذلك في صفر فقال احد الفضلاء متفائلاً

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب
ولبت السلطان بحلب سنة وقرر امورها لولده الملك الظاهر غازي وسار الى دمشق ولبث فيها قليلاً وتجهز لغزو الافرنج فسار وعبر الاردن ونزل على بيسان واحرقها ثم سار الى الكرك وقد اتاه اخوه الملك العادل من مصر فلم يتمكنها ورجع عنها فاتى السلطان دمشق واعطى اخاه الملك العادل حلب ووجهة اليها واتي بولده الظاهر الى دمشق

وسنة ٥٨٠ كتب الى مصر لتانية العساكر وسار في ربيع الآخر الى الكرك ونازلها مع عسكر مصر فلم يتمكن منها فرجع عنها وسار الى نابلس واحرقها ونهب ما حولها وقتل واسر وسبي . ثم سار الى سبسطية وهي على مرحلة ساعتين عن شمالي نابلس فاستخلص ما بها من اسرى المسلمين وسار الى جنين وعاد الى دمشق .

وسنة ٥٨١ حمل على الموصل وحصرها وتركها بدون ان ينال منها شيئاً وسار الى اخلاط وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم اتى الموصل وتصالح مع صاحبها على شروط منها اعطاء السلطان بلاداً وان تكون السكة والخطبة في بلاد الموصل باسمه ثم اتى حران واقام بها مرابطاً واشتد مرضه حتى آيسوا منه على انه عوفي سر يعاود الى دمشق في محرم سنة ٥٨٦. ثم احضر ابنة الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق ونقل اخاه الملك العادل من حلب واقطعه مصر. وبعد ترتيب هذه الامور جهز عسكره للفتوحات فسار اولاً نحو الكرك وحصرها خيفة على الحجاج من صاحبها وارسل ابنة الافضل الى عكا. ثم سار من الكرك ونزل على طبرية وفتحها عنوة وملكها ولما وقعت طبرية بيده اجتمع ملوك الافرنج من كل انحاء سوريا وجمعوا جنودهم وقواتهم وساروا لمحاربتة فخرج للنائهم ويوم السبت في ٥ ربيع اول اقتتل الجيشان فانكسر الافرنج اعظم كسر بعد وقعة دموية مهولة لم يجر مثالا في فلسطين منذ اتاها الافرنج وهذه الوقعة هي المشهورة في تاريخ الحروب الصليبية بوقعة حطين وفيها تكبد الافرنج اعظم الخسائر وضعفت قوتهم وبعد هذه النصرة فرق السلطان جنوده ففتحوا الناصرة وقبصرية وحيفا وغيرها من البلدان حوالي عكا وارسل فرقة الى نابلس فامتلكت قلعته بالامان وذهب الملك العادل وفتح مجد البابا (اليوم تدعى مجد الباع) ثم فتح يافا عنوة. اما السلطان فسار الى تبين وفتحها ورجل منها الى صيدا فاخلاها صاحبها فوصل اليها السلطان في ٢٠ جمادى الاولى واستلمها ومنها قصد بيروت فحصرها ثمانية ايام وفي نهاية جمادى الاولى استلمها بالامان ومنها سار جنوباً واخذ عسقلان في اواخر جمادى الآخرة وارسل عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبرين (وكانت من المدن العظيمة المحصنة) وغير ذلك. ثم ارتحل الى القدس ونازلها وبها عدد غفير من الافرنج فطلب اهلها الامان فابي السلطان تامينهم في البداية على انه امنهم اخيراً على شروط شرطها عليهم واستلم المدينة واعادها اسلامية واقام بها ابنة كثيرة وكان هذا الفتح في رجب فتم قول من

تفآل وقال

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
 وبعد ان نظم امور القدس رحل الى عكا وارسل وفتح حصن هونين واقام
 الحصار على عكا بشديد وادركه الشتاء فشتى امامها والحرب قائمة واذ لم يبلغ
 منها ارباً لشدة تحصين الافرنج لما ومدافعهم عنها ببسالة وحمية رحل عنها الى
 حصن كوكب ووضع عليه من بفتح وقصد دمشق فدخلها في بداءة ربيع الاول
 سنة ٥١٢ فزينت له المدينة واقامت بها الافراح واستقبله الناس بسرور عظيم
 واحتفال يابق بكريم فاتح مثله وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً. ثم كتب له باله
 بتهيئ العساكر. وابت في دمشق خمسة ايام ورحل منها في انتصاف ربيع الاول
 قاصداً الجهة الشمالية ونزل على بحيرة حمص فاجتمع اليه جنده فرحل بهم قاصداً
 غزو بلاد الافرنج فنزل على حصن الكراد وفتح ثم زحف على انطربوس
 (طربوس) فاخلاها اهلها فدخنها في ٦ جمادى الاولى. ثم سار الى جبلة فلما
 في ٨ جمادى الاولى. ثم زحف الى اللاذقية في ٢٤ جمادى الاولى ونازل قلعتها
 واستلمها بالامان وجعلها لابن اخيه الملك المظفر نقي الدين. ثم فتح فتوحات كثيرة
 بطول شرحها واخيراً نازل المعاملات التابعة لانطاكية فاستلم بعضها وتها دن مع
 صاحب انطاكية الافرنجي ملكاً ثمانية اشهر ورحل الى حلب ودخلها في ثالث شعبان.
 ثم سار منها الى دمشق فدخلها في شهر رمضان فاشير عليه ان يترك العساكر
 ليستريحوا فابي واجاب ان العمر قصير والاجل غير مأمون. هذا وقد كان اخوه
 الملك العادل يضايق الكرك وكانت الافرنج فطالب اهلها الامان فاستشار
 العادل اخاه صلاح الدين بهذا فاجابه اليه فصارت الكرك والشوبك للمسلمين
 وفي منتصف رمضان سار السلطان من دمشق جنوباً فحل على صفد فاستلمها
 ثم سار الى كوكب واستلمها ثم سار الى اورشليم وعيد فيها عيد الاضحى. وفي اواخر
 سنة ٥١٤ ذهب الى عكا فوافاه الافرنج من صور والبحر وحدثت وقائع شديدة
 كان الفوز فيها للصليبيين وكانوا ياخذون عكا منه فخرج منها لمرض اعترأه. ثم

عاد لنجدتها سنة ٥٨٦ وكانت قد تضايقت جداً وأوشكت ان تفتح فاشتغل
بمجارة الافرنج عند ابوابها ودام الحرب كل هذه السنة ودخلت سنة ٥٨٧
والحرب على قدم وساق على انه في ١٠ جادى الاولى تغلب الافرنج على الاسلام
وفي مستهل شعبان ساروا الى حيفا وملكوها ثم ملكوا قيصريه وارسوف ويافا
وقصدوا عسقلان فخربت بامر من السلطان (وكان السلطان مقبياً بالنظرون).
ثم اخرب قوم السلطان حصن الرملة وكنيسة لد. ثم تقدم الافرنج وملكوا الد والرملة
ولما راي السلطان تقدم الافرنج السريع رحل من النظرين الى اورشليم واخذ في
بناء اسوارها وتحصينها بمجد وسرعة وكان الافرنج وعسكره لا ينقطعون عن
المناوشات الى ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ حيث بهادن السلطان والافرنج اثنا
سنتين وثلاثة اشهر من يوم المهادنة اما شروط الهدنة فهي ان يكون بيد الافرنج يافا
وعماها وقيصريه وعماها وارسوف وعماها وحيفا وعماها وعكا وعماها وان تكون عسقلان
خراباً واشترط السلطان بان تكون بلاد الاسماعيلية في عقد الهدنة واشترط
الافرنج ان تكون طرابلس وانطاكية في هدينتهم وان تكون لد ورملة مناصفة بينهم
وبين المسلمين وقر الفرار على هذا وتوقفت الحروب والمغازي فاستقر السلطان
مئة في القدس واقام بها ابنية وجوامع ومدارس. ثم سار عنها في ٥ شوال قاصداً
دمشق وفي ٢٥ شوال دخلها وكانت غيبته عنها اربع سنين فاقام بها
العدل والانصاف وصرف عسكره وامراه وابنى عنده ابنة الملك الافضل. وسنة
٥٨٩ مات في قلعة دمشق بداء الحمى ودُفن في الدار التي مرض بها فاسف
الناس لفقده وبكوه بكاء مرّاً ورثاه اهل الفضل بالبلغ المراثي. وقد كان من
اجود الملوك وافضلهم واحسنهم خلقاً وديعاً كريماً جباراً غازياً عادلاً
وبعد موت السلطان صلاح الدين قُسمت المملكة بين اولاده واخوته
فكانت دمشق نصيب الملك الافضل نور الدين علي. وسنة ٥٩٠ صارت
وحشة بين الملك الافضل واخييه العزيز (صاحب مصر) فجرد العزيز جنوده
واتى وحصر دمشق فاستجار الافضل ببعض اخوته وعمه الملك العادل فاتوا

دمشق واصلحوا بين الاخوين . ولما راق الجول الافضل اقبل على ادمان الخمر
والاشتغال بالملاهي ايلاً ونهاراً فكثير كلام الناس به وبانح الخبر عمه الملك العادل
فارسل وويجته فارتدع وتاب وعكف على التقوى وولج ادارة مملكته لوزيره
ضياء الدين بن الاثير فافسد الامور ولم يحسن السياسة . وسنة ٥٩١ حمل العزيز
على بلاد الشام فاستجار الافضل بعهد العادل فاجاره وحاربا العزيز ووصلا
الى مصر فقصده الافضل الاستيلاء عليها فنعمه العادل وكانب العزيز العادل
سراً وسالته ارسال القاضي الفاضل ليصلح بينه وبين اخيه الافضل فاتي القاضي
واصلح بينهما بالاشترك مع العادل . ولما تم الصلح رجع الافضل الى دمشق وظل
العادل في مصر ليصلح مملكة ابن اخيه لان احوالها كانت قد تضعفت .
وكانت احوال دمشق في تاخر اسوء ادارة وزيرها فيباغ العزيز والعادل ذلك
فاتفقا على اخذ دمشق من الافضل وان يستولي عليها العادل وتكون الخطبة
والسكة بها للعزيز وسارا قاصدين دمشق . فعلم الافضل بتدومها فحصى المدبنة
ولما اقتربا منها كاتب بعض امراءها الملك العادل على ان يسلموه المدبنة وفي ٢٦
رجب سنة ٥٩٢ دخل العادل المدبنة من باب توما والعزيز من باب الفرج فسلبها
الافضل المدبنة رسمياً وخرج منها باهله . وفي ٥ شعبان صارت المدبنة للعزيز
فسلمها العمه الملك العادل فصارت سكتها وخطبتها باسم العزيز . ورحل العزيز
عنها حالاً راجعاً الى مصر وكانت مدة ولاية الافضل عليها اثلث سنين وشهراً واحداً
وسنة ٥٩٤ سار الملك العادل من دمشق وحارب الافرنج ورجع اليها ثم
سار وحارب مارددين وفي اثناء غيابه مات العزيز صاحب مصر واقيم ابنة فسار
اليه الافضل وهناك اشير عليه ان يسترجع دمشق من العادل . فجمع الافضل
جنداً وسار به فيباغ العادل الخبر فرجع مسرعاً الى دمشق ودخلها قبل وصول
الافضل اليها بيومين . ونزل الملك الافضل على دمشق في ٢٣ شعبان فانتشبت
بينهما القتال وبعد وقائع كثيرة يطول شرحها انكسر الافضل وتبعه العادل الى
مصر ودخلها في ربيع الآخر سنة ٥٩٦ وصادف فيها توفيقاً فاستقل بالمملكة

وقد تخلف عنه في دمشق ابنة الملك المعظم شرف الدين عيسى ولما استقل
العادل بمصر تقوى الظاهر صاحب حلب واخذ يفتح البلاد واتحد مع الافضل
وانضم اليها بعض الامراء وساروا الى دمشق وحاصروها ولما اوشكوا بفتحها
وقع الخلاف بينهم وسببه ان الظاهر والافضل اتفقا على ان دمشق عند ما تفتح
ترجع للافضل ثم تسير جنود الافضل وجنود الظاهر وتفتح مصر وتصير للظاهر
ولما كادت دمشق تقع في يدهم قال الظاهر للافضل ان دمشق تكون لي بحيث
املك مالك الشام كلها ومصر تكون لك فقال الافضل ما على هذا اتفقا. فقال
الظاهر ولا بد من صبر ورثه فوقع الخلاف بينهما فرحل الظاهر عن دمشق
قاصداً حلب ورحل الافضل الى حمص وهكذا انتهى الحصار . وسنة ٥٩٢
زلزلت سوريا زلزلاً عظيماً فاندك به كثير من مدنها وقتل عدد وافر من اهلها .
وبعد رفع الحصار عن دمشق اتاهما العادل واصلى امورها وسار نحو حلب
واصطخ مع الظاهر وغيره وجهل الخطبة والسكة باسمه فانتظمت له مالكة اخيه
صلاح الدين بكايتهما فرجع واستقر في دمشق الى سنة ٦١٠ وفيها حمل الصليبيون
على القدس فخرج العادل لمحاربتهم وفي اثناء المحاربة عادت الزلازل على سوريا
وامتدت الى مصر والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها . اما
العادل فداوم محاربة الافرنج على انه لم ينجح فاصطخ معهم وسلمهم يافا وتزل لهم
عن نصف لد والرماة . وبعد المصالحة قصد مصر وكان الافرنج يفتحون بها .
وسنة ٦١٢ عاد الى دمشق ثم رحل عنها لمحاربة الافرنج وتم اदन معهم . سنة ٦١٤
اقل راجعاً اليها فاتاه رسول الخليفة بخفاة وعلم فاخذها باحتمال عظيم ووصل
الى العادل ايضاً تقليد بالبلاد التي كانت تحت حكمه فخطب بالعدل شاهنشاه
ملك الملوك امير المؤمنين . وبعد ذلك اخذ الملك العادل ببناء قلعة دمشق
وكانت قد تهدمت بالزلازل والحروب والزم كل واحد من الملوك اهل بيته
بعمارة برج من ابراجها واسرع في البناء حتى تمت بوقت قصير . وبقيت دمشق
للعدل طوراً يقيم فيها وطوراً يرحل عنها اما للحرب او للاقامة في مصر الى ان

وفدت سنة ٦١٥ فأتى لمحاربة الافرنج عند عكا فنزل بمرج الصفر ثم رحل الى
عالقين عند عقبة افيق فاشتد عليه مرض اعتراه فأت هناك فأتى ابنة الملك
المعظم عيسى وكان بنا بلس فنقل جثته الى دمشق ودفنها بها وكانت وفاته في
سابع جمادى الآخرة وعمره ٧٥ سنة ومك ملكه في دمشق ٢٣ سنة وفي مصر ١٩
سنة وكان كثير الاولاد غنياً جداً

ويوم دفن الملك العادل بدمشق استولى ابنة الملك المعظم عيسى على
جميع ما كان لابيه من الاموال والخيول والسلاح وحالف له جميع الناس بالولاية
ولبت في دمشق يدبر امورها. هذا وقد كانت حروب الافرنج في مصر على قدم
وساق فاستولوا على دمياط وغيرها فخاف الملك المعظم ان تمت فتوحاتهم في
فلسطين ايضاً ويستولوا على اورشليم ويتخذونها حصناً لهم فامر في سنة ٦١٦ بهدم
اسوارها وكانت بغاية المتانة فدكها ما موروه باوفر سرعة ورحل كثيرون من اهليها
الى دمشق وغيرها وكان اخو الملك المعظم الملك الكامل بمصر يتامل الافرنج
فلما اخذوا منه دمياط ابتهى مدينة عند ملتقى البحرين بمصر وسماها المنصورة (وفي
هذه السنة ظهر جنكيز خان التتري واشتهر امره واخذ بالفتوحات)

وبعد ان دكت اسوار اورشليم سار الملك المعظم عيسى من دمشق الى بلاد
الساحل ونازل قيصرية ففتحها وهدمها ثم سار الى عنابك ونازلها ايضاً (وهي على
ساعة ونصف من حيفا جنوباً) ثم رحل عنها ونزل على الغور واقام بحروب
قبايلة الجدوى وافل راجعاً الى دمشق

وسنة ٦١٧ عظم شأن الصليبيين في الديار المصرية وعجز صاحبها الملك
الكامل عن محاربتهم فكاتب اخوته الملوك لينجدوه بمجنودهم فلبوا دعوتهم. وسنة
٦١٨ سار الملك المعظم من دمشق بمجنوده لينجد اخيه وكان قد اجتمع اليه كثير
من الملوك اخوته وامرائه فبلغوا مصر معاً واخذوا بحاربون الافرنج فانته اعمالهم
الاً بالفشل ولما نظر الملك الكامل ذلك طلب مصالحتهم بشرط ان يرد لهم
جميع ما ملكه صلاح الدين منهم وان يتركوا له دمياط في مصر والكرك

والشوبك في سوريا فابوا أولاً ثم التزموا الى القبول . ولما تم الصلح رجع الملك
المعظم الى دمشق فعصاهُ صاحب حماه وامتنع عن ايداء ما عليه من الاموال
فسار المعظم بجنوده الى حماه ونازلها فتمسرت عليه فسار عنها الى المعرة وسلمية
وملكها ولبث في سلمية جاغلاً نصب عينيه منازلة حماه ثانيةً فبلغ الملك الاشرف
ما عملة اخوه المعظم بصاحب حماه فساءه الامر واتفق مع اخيه الكامل ان ينكرا
على اخيهما ما فعله فبعثا اليه بالرحيل وترك ما اخذه فاجاب بالسمع والطاعة
ظاهراً وهو مضمحل بالانتقام . وسنة ٦٢٢ اتفق مع بعض امراء البلاد وسار
ونازل حمص فحلَّ بجبله وبياءه قضى عليه بالرجوع عنها فرجع الى دمشق فاناهُ
اخوه الملك الاشرف الى دمشق طالباً المصالحة دفعاً للقلاقل وحسماً للفتن
فبفظه المعظم عند كاسير وطلب منه شروطاً وكان ظاهراً يعزهُ ويجهله ويكرمه
واخيراً في سنة ٦٢٤ سلم الاشرف لـ اخيه بكل ما طلب منه فاطلق سبيله فمضى
الى بلاده وانكر الاتفاق فاتحد المعظم مع اقوام اقوياء وبات ينتظر الفرص
للاتتقام من اخيه فبلغ الكامل ذلك فاخشي العاقبة فاتحد مع امبراطور الافرنج
على ان ياتي الامبراطور عكا ويشغل المعظم ويعطيه الكامل لقاء هذه الخدمة
مدينة اورشليم فذهب الامبراطور الى عكا وانصل الخبر بالمعظم فارسل لـ اخيه
الاشرف واستعطفه تخفيفاً للعدوات وبينما كانت تجري الامور على هذا النمط
وفد شهر ذي القعدة فتوفي الملك المعظم عيسى في قلعة دمشق وعمره ٤٩ سنة
وملكه تسع سنين واشهر وكان عالماً فاضلاً منضجاً بعيداً عن الكبرياء لا يمنع
احداً عن الدخول عليه واحب العيشة البسيطة وكان يخطب لـ اخيه الكامل
دون ان يذكر اسمه معه

وبوم وفاة المعظم تولى بعد ابنة الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير
مملكته مماوك ابيه الامير عز الدين ايبك فارسل الكامل للناصر يطلب حصن
الشوبك فتمنع الناصر عن اعطائه فاتي الكامل بلاد الشام واستولى على القدس
ونابلس وغيرها من البلدان وهم على انتزاع كل مملكة ابن اخيه فضاق لذلك

صدر الملك الناصر فراسل عمه الأشرف وطلب معونته فاتاه في ١٠ رمضان سنة ٦٢٥ فدخل معاً قلعة دمشق وانفقا وسارا إلى نابلس واسترجعها فاقام بها الناصر وذهب عمه الأشرف إلى غزة ساعياً بمصالحة الناصر والكامل معاً فلما اجتمع بالكامل تعاهداً معاً بان تكون دمشق للأشرف وهو يعرض عنها لصاحبها بعض بلاد من بلاده وأنه من عقبه أفيق جنوباً يكون حد بلاد الكامل وان يصير تغيير ولايات بعض الأمراء . وفي بداية سنة ٦٢٦ رجع الأشرف وأعلم ابن أخيه الناصر بما اتفق عليه مع الكامل فساء الخبير الناصر فسار مسرعاً إلى دمشق فخاصه عمه الأشرف وكان الملك الكامل بمحاربة الأفرنج فقروا عليه فصالحهم وسلمهم اورشليم فاتصل هذا الخبير بالناصر فاخذ يشنع بغير الكامل وجاراه الناس وحزنوا على تسليم اورشليم وتشددوا للقتال . ولما انتهى الكامل من محاربة الأفرنج سار إلى دمشق واشترك في حصارها وضيق عليها وبعد عناء فتحها واقطع الناصر عوضاً عنها واقام الأشرف بها وبقي الأشرف بدمشق حتى مات واقام بها ابنيه وقصوراً جميلة ولم يحدث في أيامه بدمشق ما يستحق الذكر إلا أنه في الملكة الأخيرة من حياته صار وحشة بينه وبين الكامل فصمم على محاربتها وطلب من الناصر داود ان ينضم إليه فيجعله ولي عهد على دمشق فابى الناصر فجعل ولاية العهد لأخيه اسمعيل صاحب بصرى وتوفي في محرم سنة ٦٢٥ وعمره ستون سنة ومك ما كره على دمشق ٨ سنين وشهور وكان كريماً يحب التثرة والانبساط ودُفِنَ في تربته قرب الجامع الأموي ولم يخلف غير ابنة واحدة وبعد موت الأشرف استولى على دمشق أخوه الصالح اسمعيل فعند استقرار الملك له بعث إلى الملوك أهله وإلى كينيسرو صاحب بلاد الروم يدعوم ليوافقوه على محاربة الملك الكامل فوافقوه إلا المظفر صاحب حلب فإنه انتهى للكامل وكذلك الملك الناصر داود انتهى له الكامل لأنه وعده ان يرد إليه ملك دمشق وبعد هذه الأمور سار الكامل لمحاصرة دمشق فوصل إليها في جمادى الأولى ونازلها فاحرق الصالح اسمعيل جي العقيبة (هو حي متسع واقع خارج سور المدينة

من جهة الشمال الغربي) واذا لم يمكنه الثبات سلم المدينة في ١٩ جمادى الاولى
لاخيه فاقطعه اخوه عوضاً عنها بعلبك والبقاع علاوة على بصرى . وبعد ان
لبث الكامل اياماً في قلعة دمشق اصابه مرض واشتد عليه وفي ٢١ رجب سنة
٦٢٥ توفي وعمره ستون سنة وكانت مدة ملكه في دمشق ٢٠ سنة وقبلها كان نائباً
بها ٢٠ سنة ايضاً وكان عالي الهمة عمرت ديار مصر في ايامه اتم عمار وامنت
الطرقات واذا كان يحب العلوم واهل العلم راجت اسواق المعارف في ايامه .
ولما مات حلف العسكر بمصر لابنه الملك العادل ابي بكر بن الملك الكامل
واقاموا على دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل ابي بكر
نائباً عن ابن عمه صاحب مصر . وفي جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ استولى الملك
الصالح ايوب ابن الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الجواد يونس وعوضه
عنها سنجار وغيرها من المدن . ولما استولى الصالح بدمشق سار ليجارب الملك
العادل في مصر واستناب عنه بدمشق ابنة الملك المغيث فتح الدين سنة ٦٢٧
ظع الصالح اسمعيل صاحب بعلبك بدمشق فاتاها ومعه جنود حمص وهجم
عليها وحصر القلعة وتسلمها من صاحبها وقبض عليه . ثم مات الملك العادل
صاحب مصر فقام بعن الصالح ايوب فخافه الصالح اسمعيل ولكي يامن غائلة
اتفق مع الافرنج وسلمهم صفد والشقيف وغيرها ليعينوه على ابن اخيه صاحب
مصر فعظم هذا الامر على المسلمين فاخذوا في التشنيع على الصالح اسمعيل وكان
ذلك سنة ٦٢٨ . وسنة ٦٤١ كانت مراسلات الصلح بين الصالح ايوب والصالح
اسمعيل فانتهت على غير اتفاق ولاجل تقوية الصلات بين الصالح اسمعيل
والافرنج اتفق مع الناصر داود صاحب الكرك وسلم الافرنج طبرية وعسقلان
واورشليم بما فيها من المعابد والزيارات . وسنة ٦٤٢ استنجد الصالح ايوب
بالخوارزمية على عمه الصالح اسمعيل واتوا الى غزة فسارت اليهم عساكر دمشق
مع عسكر حمص والافرنج فجرى القتال بينهم وبين عسكر مصر والخوارزمية
فانكسر الصالح اسمعيل ومن معه فاستولى الصالح ايوب على غزة والسواحل

والقدس ورجع الصالح اسمعيل الى دمشق مكسوراً . وسنة ٦٤٣ زحف عسكر مصر الى دمشق وحاصرها فسلمها صاحبها الملك الصالح اسمعيل وخرج منها الى بعلبك وكان الخوارزمية معاضدين للصالح ايوب لظنهم بانه اذا استولى على دمشق يعطيهم من الاقطاعات ما يرضيهم فخاب املمم اذ لم يعطيهم شيئاً فانهمازوا الى الصالح اسمعيل وانضم اليهم صاحب الكرك وساروا معاً الى دمشق وحاصروها اشد حصار فغلت اسعار الاقوات بها وقاسى اهلها الشدة العظيمة والضيق الشديد بنوع لم يسمع مثله وطال حصار دمشق فانفق الحلبيون واهالي حمص مع الصالح ايوب وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق لمحاربتهم فانكسر الخوارزمية وتشتتوا شتاتاً فضعف امر الصالح اسمعيل فرفع الحصار عن دمشق وسار الى صاحب حلب فقبله واقام عنده فطلبه الصالح ايوب فاجب صاحب حلب تسليمه . ثم سار نائب دمشق ونازل بعلبك واستولى عليها واخذ اولاد الصالح اسمعيل اسرى وارسلهم الى مصر فزينت مصر فرحاً . ثم وجهت العساكر الى بلاد الناصر داود صاحب الكرك والشوبك واعمالها فتغلبوا عليه وملكوا بلاده ولم يبق له غير الكرك فقط وكان ذلك سنة ٦٤٤

وبعد فتوح دمشق وبعلبك استناب الصالح ايوب على دمشق الامير جمال الدين بن مطروح . ثم اتى الصالح ايوب الى دمشق واقام فيها بضعة اشهر وعاد الى مصر . وسنة ٦٤٦ اخذ صاحب حلب حمص فأتى الصالح ايوب الى دمشق لاسترجاع حمص على انه وهو في الطريق اصابه مرض الزمة البناء بدمشق وارسل عسكراً لاسترجاع حمص وما لبث الا وسمع ان الصليبيين يهاصرون دمياط فتصالح مع صاحب حلب ورجع الى مصر ومرضه يشتد عليه وقد عزل نائبة على دمشق واستناب عوضاً عنه جمال الدين بن يغمور . وفي شعبان ٦٤٧ توفي الصالح ايوب بمصر بعد ان ملك عليها تسع سنين وثمانية اشهر وقد اقام بها ابنة كثيرة في محلات عديدة . ثم نوذي باسم ابنه الملك المعظم توران شاه وكان يحصن كيفاً فلما علم بتوليته مكان ابيه سار نحو مصر ووصل

الى دمشق في شهر رمضان وعيد بها ثم رحل عنها الى مصر فبلغها في ذي القعدة
واقام بالامر وكانت عساكر الصليبيين تضايق البلاد المصرية ويدهم دمياط
وغيرها فانشب الحرب بينه وبينهم واستظهر عليهم في محرم سنة ٦٤٨ واسر ملكهم
القديس لويس الفرنسي . وفي ذلك الشهر عينه قتل الملك المظم توران شاه
بيد بعض امراء ابيه الذين عزلهم عن مناصبهم وكان اول من رفع السلاح عليه
بيبرس وهو الذي صار ملكاً فيما بعد كما سيأتي واقاموا بعده شجرة الدر زوجة
ابيه الملك الصالح ايوب وخطبوا لها على المنابر وضربت السكة باسمها وكانت
نقش سكتها (المستعصية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل)
وكانت قد ولدت للملك الصالح ولداسي بخليل ومات صغيراً وارسل المصريون
الى دمشق ليوافقهم على مبايعة شجرة الدر فلم يجيبوا بل كاتب امراء القهرية
الذين بدمشق الملك الناصر يوسف صاحب حلب (وهو من سلالة صلاح
الدين الايوبي) فسار اليهم ودخل دمشق يوم السبت في ٨ ربيع الآخر وملكها
وعزل جمال الدين بن يغمور ورفع منزلة امراء القهرية وكرمهم . ثم ان الامراء
بمصر عزلوا شجرة الدر وولوا عزالد بن ايوب الطلاهي عوضاً عنها ولقبوه بالملك
المعز . ثم تغير رأي الامراء وقالوا لا بد من اقامة شخص من بني ايوب فاعتمدوا
على صاحب اليمن وهو الملك الاشرف موسى بن يوسف المعروف باقسيس بن
الملك الكامل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب فولوه في ٥ جمادى الاولى
وفي شهر رمضان جهز الملك الناصر يوسف جنوداً وانضم اليه بعض
ملوك عائلته لمحاربة الملك الاشرف في مصر واجتمعوا في دمشق . وفي نصف
رمضان ساروا منها فالتقوا بعساكر مصر عند العباسية فانكسر المصريون فتبعهم
الدمشقيون الى مصر فتفوق المصريون هناك وتغلبوا بفوز مجيد اضعفوا به قوة
اعدائهم واستولوا على غزة . وسنة ٦٥١ وقع الصلح بين المصريين والدمشقيين على
ان يكون للمصريين لحد نهر الاردن وما وراءه للملك الناصر ثم انتقض العهد .
وسنة ٦٥٢ صار عهد جديد بان تكون بلاد الشام لحد العريش تابعة لصاحب

دمشق وما وراءها جنوباً للعزايك الذي كان على مصر وهكذا انصرف
المشكل بين الدمشقيين والمصريين

وفي ٢٦ جمادى سنة ٦٥٦ توفي الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى
بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب بظاهر دمشق بقربة البويضة شرقي المدينة
وعمره ٥٢ سنة وكان قد ملك دمشق مدة كما تقدم فخرج الملك الناصر من
المدينة الى البويضة ونقل جسده باحتفال ودفنه بالصاحبة في تربة والد المعظم
وكان الناصر داود عالماً بارعاً في النظم والنثر ومن محاسن شعره قوله

عيون من السم المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون
تصول بيض وهي سود فرنداها ذبول فتور والجفون جنون
اذا ما رأت قلباً خالياً من الهوى نقول له كن مغرماً فيكون

وقد احتمل في مدة حياته مشقات وعذابات كثيرة يطول شرحها. وفي هذه
السنة استولى التتر على بغداد فانقضت دولة العباسيين وقتل آخر خلفائهم
المستنصر بالله وكانت مدة دولتهم ٥٢٤ سنة وعدد خلفائهم ٢٧ خليفة. وقد
حدث في دمشق وبلاد الشام وباء عظيم وطال امره قال ابو الفداء واشتد
الوباء بالشام وخصوصاً في دمشق حتى لم يوجد فيها مغتسل الموتى. وكان
امر التتر يتقوى فحسب لهم الملك الناصر حساباً ان رأى ضعفه لدى قوتهم
فارسل زين الدين محمد الحافظي من اهالي قرية عقربا القريبة من دمشق
بهدايا وتحف الى هولاكو ملك التتر وجماله

ثم ان البحرية المصرية كسروا عسكر الملك الناصر عند غزة والتجأوا الى الملك
المغيث صاحب الكرك فركب عليهم الناصر سنة ٦٥٧ ونزل على بلاد الكرك
فاناه من يستشفع بالمغيث فقال بشرط ان يسلمني البحرية الذين عندك فقبل
المغيث وسلم القوم غير ان بعضهم ومن جملتهم بيبرس فرؤا هارين الى الناصر
فامنهم وهكذا وجد الصلح بين الناصر والمغيث ورجع الناصر الى دمشق ظافراً
وعند عودته بلغه ان التتر وصلوا الى حلب وشنعوا بها

فرحل بجنوده نحو مصر ونزل بنا بلس اياماً ثم خلف بها جيشاً وسار الى مصر فاتى التتر وملكوا بلاد الشام الى غنق على انهم لما اتوا دمشق سلمهم اهلها المدينة بالامان فلم يلحقوا بها ضرراً ووضعوا على قضائها محيي الدين الذي اما الفاتمة فامتنعت عليهم فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وفي شهر جمادى الاولى تسلموها بالامان واعقلوا محافظها ونهبوا ما بها واخربوا اسوارها. وفي ٥ اشعبان سنة ٦٥٨ اخرج التتر من الاعنقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا عنقها بداريا وشاع بين اهالي دمشق خروج عساكر مصر لمقاتلة التتر فسروا بهذا الخبر. وفي ٢٧ رمضان هذه السنة وقعوا بالنصارى ونهبوهم لدقهم الناقوس واخربوا الكنيسة المريمية العظيمة فكانت ايام شدة وويل على المسيحيين. وفي اواخر شهر رمضان تجهزت العساكر المصرية لمحاربة التتر وساروا فوقع القتال في الغور فانكسر التتر شركسة ووقع بهم السيف ففني معظمهم وسار الملك المظفر حتى دخل دمشق ففرح به المسلمون وانشرحت خواطرهم للخلاصهم من شر التتر. وفي حال دخول المظفر دمشق امر بشنق من انتهى الى التتر فشنقوا واخذ في تقرير احوال الشام واناط بنبابة دمشق الامير علم الدين سنجر الحلبى وبعد ذلك سار قاصداً مصر. وكان بيبرس بالاتحاد مع قوم قد دبر على قتل الملك المظفر واخذ يتوقع الفرص فتمكن زعماء بيبرس من قتل المظفر فقتلوه بنواحي غزة في ١٧ ذي القعدة وكانت مكة ماضية ١١ شهراً و١٢ يوماً وحلّف لبيبرس في اليوم الذي قتل فيه المظفر وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحى فقيل له ان القاهر لقب غير مبارك فلقب ذاته بالظاهر

وفي هذه السنة شرع نائب السلطنة بدمشق الامير علم الدين في عمارة القلعة وجمع لها الصناع وكبراء الدواة والناس وعملوا بها حتى النساء

ولما بلغ الامير علم الدين ما اصاب الملك المظفر دعا اهل دمشق اليه وحمام على مبايعته فبايعوه ولقب نفسه بالملك المجاهد وخطب له بالسلطنة و ضربت السكة باسمه

ومن راجع هذا التاريخ يرى بان حوادث كثيرة عظيمة متتابعة قد طرأت على دمشق وغيرها في ملك ولاية الملك الناصر يوسف الذي ملك دمشق منذ سنة ٦٤٨ لان في مدة ملكه خرجت مصر من الدولة الايوبية وقامت فيها دولة المماليك وسقطت بغداد والدولة العباسية وفعل الوباء فعلاً ذريعاً في سوريا وخصوصاً في دمشق وفتح التتر البلاد واعدموا معظم اهلها وقتل النصارى في دمشق ودمرت معابدهم وخرجت دمشق من ايدي الايوبيين هذا فضلاً عما قتل من الملوك وقد اغار التتر على سوريا ثانية وانكسروا امام حمص الى غير ذلك

وسنة ٦٥٩ سار الملك المنصور واخوه الملك الافضل صاحب حمص الى دمشق ونزلا بدورها وصاحبها قد وهن امن فلم يدخل بطاعته وكانا منازعين له وفي ١٢ صفر انت جنود الملك الظاهر بيبرس لمحاربة دمشق فخرج اليهم صاحبها والمنصور والافضل لم يخرجوا معه فانتشب القتال فانهمز صاحب دمشق الملقب بالملك المجاهد ودخل القلعة ولما جن به الليل هرب الى جهة بعابك فتبعه خيالة الظاهر وقبضوا عليه وساقوه اسيراً فدخلت دمشق بملك الظاهر بيبرس واقامت له الخطبة بها وبغيرها كحمص وحماه وحلب وهكذا انتهت دولة الايوبيين بدمشق وصارت الشام ومصر لدولة المماليك واستقر ابدكين البندقداري الصالح بدمشق لتدبير امورها وعاد المنصور الى حماه والاشرف الى حمص واستقرا بهما

ويوم انكسر التتر كان الملك الناصر يوسف واخوه الظاهر وغيرها من الملوك الايوبيين عند هولاكو ملك التتر فقتلهم انتقاماً وورد خبر ذلك الى دمشق فحزن الناس واقاموا العزاء في الجامع الاموي اما الملك الناصر يوسف فهو من نسل صلاح الدين كما تقدم وملك اولاً بحلب ثم امتد ملكه كثيراً وصارت له سوريا الى غزوة وكان شاعراً شجاعاً كثيراً الحلم والحلم ترد بعض حاليك ففقدت امنية الطرقات في آخر مدته لانه لم يرد ان يقتل مذنباً حيث كان يقول الحي افضل من الميت . وبنى في دمشق المدرسة الناصرية قرب الجامع ووقف لها وبنى تربة بالصالحية وكان موته ببلاد العجم وعمره ٣٢ سنة

فصل

في تاريخ دمشق مدة خضوعها للمصريين وفتح تيمور لها الى استيلاء العثمانيين عليها
 ذكرنا سقوط الدولة الايوبية في مصر ودمشق وان بيبرس استولى على
 الامر واخضع دمشق وبعد وقت قصير من استيلائه عليها اتي برجل الى
 مصر وادعي بانّه من نسل الخلفاء العباسيين فعرض بيبرس وجهازه وسارا معاً
 الى دمشق فنزل بيبرس في القلعة ونزل الخليفة على جبل الصالحية وبعد بضعة
 ايام من نزولها سار الخليفة الى بغداد للاستيلاء عليها فصادفه التتر وقتلوه ونهبوا
 ما معه وفرقوا جماعة واما الظاهر بيبرس فبقي في دمشق وعزل قاضيها وولي
 القضاء شمس الدين بن خلكان وسار الى مصر وكان نائب دمشق علاء الدين
 طيبرس فظالم بالرعية فارسل الظاهر بيبرس وقبض عليه واستناب عوضاً عنه
 الامير جمال الدين النجيب الصالح

وسنة ٦٦١ اتى الظاهر بيبرس بلاد الشام وقتل المغيث صاحب الكرك
 واستولى على بلاده ثم خرب كنيسة الناصرة وكانت من اعظم كنائس النصارى
 بفلسطين واغار على عكا وغيرها وغنم الغنائم وافل راجعاً الى مصر . وسنة ٦٦٢
 اتى لمحاربة الافرنج في سوريا وفلسطين ففتح قيصرية وارسوف وغيرها من المدن .
 وسنة ٦٦٤ فتح صمد ودخل دمشق وجمع جيشاً عظيماً وارسله الى بلاد الارمن
 فوصل العسكر الى سيس في ذي القعدة وبعد حصار طويل فتحوها عنوة وغنموا
 مغنمة عظيمة . ومن سنة ٦٦٦ الى ٦٦٨ كان الظاهر مشغولاً في الفتوحات
 والاسفار ففتح يافا وانطاكية وغيرها من مدن الافرنج واخذ يضاف من الاسماعيلية
 واتى دمشق مراراً . وسنة ٦٦٩ اتى من مصر ونازل حصن الاكراد وفتح
 ثم فتح عكا فهناه محبي الدين بن عيد الظاهر بفتحها بقوله

يا ملك الارض بشرا ك فقد نلت الاراده

ان عكا لعربي هي عكا وزياده

ثم اخذ قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية واتى دمشق وما لبث بها اياماً

الأورحل ونازل حصن القرين (قلعة عظيمة في بلاد عكا لها مسالك واحد حرج
 وأثارها الباقية الى عصرنا تشهد بما كان لها من العظمة والمتانة في الايام الماضية
 وقد زرتها في اوائل شهر تموز سنة ١٨٧٧ م) وتسلمته وهدمته ورحل الى مصر.
 سنة ٦٧٠ اتى الى دمشق وعزل نائبها جمال الدين وولى عوضاً عنه في مستهل
 ربيع الأول علاء الدين ايدكين الفخري . ثم سار الى حمص وحصن الأكراد
 ورجع الى دمشق فاغارت التتر على عينتاب وغيرها فاستدعى عسكرياً من مصر
 وسار بهم الى حلب ثم رجع الى مصر فدخلها في ٢٢ جمادى الأولى ثم خرج منها
 في شوال الى بلاد الشام واتى دمشق بعساكره في شهر صفر سنة ٦٧١ وكانت
 قد قويت اخبار التتر فقلق الاهل وناس من الجهات الى دمشق ملتجئين
 وكان في جملتهم علي والد اسمعيل المعروف بابي الفداء المورخ الشهير (ابو الفداء
 هو ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد هذه السنة في دمشق
 في دار ابن الرنجيلي) ثم رحل الملك الظاهر عن دمشق لمحاربة التتر والافرنج
 وبعد ذلك عاد اليها ورحل عنها . وفي محرم سنة ٦٧٥ عاد اليها بعسكر متوافر
 وخرج لمحاربة بلاد الروم في ٥ رمضان وهي بيد التتر وعاد الى دمشق في ٥
 محرم سنة ٦٧٦ وفي ٢٧ منه توفي في دمشق فخط ووضع في القلعة الى ان انتهت
 تربته المبنية بالقرب من الجامع (وهي معروفة الآن وبها مكتب رشدية) فنقل
 اليها وكانت ملكه ١٧ سنة وشهرين وكان ينقش على سكتته بيبرس الصالح
 وفي اوائل شهر ربيع الأول سنة ٦٧٦ اقيم بعد الظاهر بيبرس ابنه الملك
 السعيد علي على مملكة مصر والشام سنة ٦٧٧ اتى دمشق وجرد العسكر منها
 صحبة سيف الدين قلادون الصالحى وجرد ايضاً صاحب حماه فساروا ودخلوا
 الى بلاد سيس وشنوا الغارة عليها وغنموا وعادوا الى جهات دمشق فاتفقوا على
 مخالفة الملك السعيد وخلعوه من المملكة لسوء تصرفه وتدبيره وعبروا على دمشق
 ولم يدخلوها فارسل الملك السعيد وهو في دمشق واستعطفهم فلم ياتفتوا واتوا
 السير فركب الملك السعيد وساق فسبقهم الى مصر وصعد الى قلعة الجبل فحاصره

الخارجون عن طاعته فاخذت عساكره بالافتراق عنه والانضمام الى اعدائه
فراى ضعفه وسلم بانخلاءه بشرط ان يعطى الكرك فاجابوه الى ذلك فخرج في
ربيع الاول سنة ٦٧٨ فارسلوه من وقتها الى الكرك واجلسوا اخاه شلامس
عوضاً عنه وعمره سبع سنين وخطبوا له على المنابر وضربت المسكة باسمه وصار
امير جيوشه الامير سيف الدين قلاذون فهذا الامير وجه بالامير شمس الدين
سنقر الاشقر الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام
وفي ٢٢ رجب سنة ٦٧٨ خلع الصبي (شلامس) عن كرسي السلطنة بمصر
وجلس عوضاً عنه امير جيوشه وسمي السلطان الملك المنصور قلاذون الصالح
فاقام العدل واحسن السياسة ودبر المملكة احسن تدبير
ثم ان الملك السعيد المخلوع الذي تولى الكرك مات بها فنقل جسده
ودفن في دمشق بتربة ابيه

ولما جلس قلاذون طمع نائب السلطنة سنقر في المملكة وعمل على التساط
عليها ففي ٢٤ ذي القعدة حلف له الامراء والعسكر الذين عنده وتلقب بالملك
الكامل شمس الدين سنقر فعلم قلاذون فجهز عسكر مصر وارسله مع علم الدين
سنجر وغيره من القواد فاتوا دمشق فخرج اليهم سلطانها الجديد وانكسر امامهم
فدخلوا المدينة وسلطانها قد هرب وسار وانضم الى التتر وتقدم معهم الى نواحي
حلب. وفي ٢٠ صفر سنة ٦٧٩ عين الامير لاجين نائباً للسلطنة في دمشق والشام
وسنة ٦٨٠ اتى السلطان قلاذون دمشق وقتل جماعة من الظاهرية كان
قد قبض عليهم في بيسان وجرى هذا بينما كان جيش التتر يتقدم نحو دمشق
فالتزم السلطان ان صالح سنقر وصاحب الكرك وسار عن دمشق فاجتمع اليه
العسكر والامراء من كل جانب وجرت مواقع عظيمة مع التتر انكسر بها السلطان
اولاً ثم فاز بنصر مجيد وبدد جيش التتر تبديداً وكتب بنصره الى جميع الاطراف
فكان فرح وزينة عمومية

وفي شعبان سنة ٦٨٢ صار بدمشق سيل عظيم اخذ ما مر به من العمارات

وغيرها واقناع الاشجار واهلك من الخلق والخيل والجمال والمواشي شيئاً لا يحصى وقد جرى كل ذلك والسلطان في دمشق . وسنة ٦٨٢ سار السلطان وفتح حصن مرقب وذهب الى مصر . وسنة ٦٨٨ فتح مدينة طرابلس بعد ان لبثت بايدي الصايبيين ٨٥ اسنة ثم جيز عسكراً لفتح عكا فادركته المنية فمات في ٦ ذي القعدة هذه السنة وله في دمشق مآثر كثيرة

ووقت موت السلطان قلادون جلس على سرير ابنة الملك الاشرف صلاح الدين خليل وسار بجنده سنة ٦٩٠ وحصر عكا ووضع عليها المجانيق الكبيرة والصغيرة وفتحها في ١٧ جمادى الآخرة فخاف الافرنج واخلوا صيدا وبيروت وصور وعثايت وانطربوس فاستلمها السلطان ولعبت بها ايدي الخراب . وكان هذا الفتح من الموفقات الغربية وبوانتهى الافرنج من سوريا وفلسطين ورجعت البلاد للمسلمين وانتظمت الحملات الصليبية وارتاحت اوروبا واسيا من تلك الحروب الدموية التي دامت ٢٠٠ سنة . وبعد هذا الفتح الى الملك الاشرف دمشق واقام بهامك وعاد الى مصر بعد ان خلع نائبة بدمشق واقام مكانه علم الدين سنبلر الشجاعي

وفي اوائل سنة ٦٩١ اتى الملك الاشرف دمشق وذهب منها ونازل قلعة الروم الكائنة على الفرات وفتحها في ١١ رجب وافل راجعاً الى دمشق وصام بها رمضان وعزل نائبة فيها واستناب عوضاً عنه عز الدين ايبك الحموي ورجع الى مصر

وسنة ٦٩٢ تأمر ممالك السلطان قلادون وقتلوا الملك الاشرف صلاح الدين خليل وجلس بعده واحد من الفتاة اسمه بيدرا فقتلوه بعد جلوسه بساعات وجلس بعده السلطان الاعظم الملك الناصر وهو ابن المقتول وكان جلوسه في اواخر شهر محرم . وفي محرم سنة ٦٩٤ خلع السلطان الاعظم فجلس مكانه الامير زين الدين كتبغا المنصوري ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا فخطب له في مصر والشام وضربت السكة باسمه . وبعد جلوسه الى دمشق وطاف

حواليها في اعمالها ثم رجع اليها وعزل نائبيها عز الدين واستناب عوضاً عنه
مملوكه سيف الدين غرلو . وفي محرم سنة ٦٩٦ سار السلطان بعساكره الى
مصر فلقية في الطريق لاجين نائبة في مصر وقصد خلعة فهرب وعاد الى دمشق
فالتقاء نائبيها بالاكرام ودخل القلعة وادتم بجميع العساكر والتاهب لحرب لاجين
فلم يوافقهم عسكر دمشق على قصده ففجاع نفسه واقام في القلعة وارسل يعلم لاجين
بذلك ويطلب منه الامان ومحلاً ياوي اليه فاعطاه لاجين صرخة فذهب اليها
فجلس لاجين على سرير السلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين
المنصوري وسار الى مصر وعند وصوله اليها عزل نائب السلطنة بدمشق وارسل
عوضاً عنه سيف الدين تيق المنصوري

وفي ١١ ربيع الآخر سنة ٦٩٨ قام مهالك الملك المنصور حسام الدين
وقتلوه وكانت مدة ملكه سنتان وثلاثة اشهر واتفق كبراء الدولة بعده على ترجيع
الملك الناصر المخلوع فاتوا به وارجعوا له الملك واستقر له الحال

وسنة ٦٩٩ سارقازان بن ارغون التتاري بمجموع عظيمة من المغل والكرج
والمزند وغيرهم وعبر الفرات ووصل بمجموعه الى حلب ثم الى حماه ثم سار ونزل
على وادي مجمع المروج فانت العساكر الاسلامية مع السلطان ونزلوا بظاهر
حصص ثم ساروا الى جهة الاعلاء فاشتبكت المقاتلات مراراً وفي النهاية انكسر
المسلمون وانهمزوا وتمت بهم الهزيمة الى مصر فقبضهم التتار واستولوا على دمشق
وساقوا باثر المسلمين الى القدس وغزة وبلاد الكرك

وسنة ٧٠٠ رجع التتار يغزون بلاد الشام ونزلوا نواحي حلب فأتى السلطان
الى حماه واتت اليه العساكر في جيشها جيش جرار من دمشق فهطلت امطار
غزيرة غير معهودة فالتزم السلطان ان يرجع ويصرف عساكره وكذلك التتار
افلوا راجعين ولما عاد السلطان الى مصر اصدر امراً سلطانياً بان يتعم اليهود
بعائم صفراء والنصارى بعائم سوداء والسامقة بعائم حمراء فاجري امره
وسنة ٧٠٢ حل جمع من التتار على بلاد الشام واتوا ونزلوا على القرينين

فخرجت اليهم الجنود وهزمتهم ثم عادوا ايضاً بمجيش جرارة تحت قيادة قطلوشاه نائب قزان فنزلوا على حماه وكانت العساكر الاسلامية مجموعة عند دمشق فسارت نواحي مرج الصفر فتقدم التتر وعبروا دمشق وتبعوا عساكر المسلمين الى مرج الصفر فصادف وصول السلطان من مصر بعساكر جرارة فالتقى العسكران وتسعرت نيران الحرب فانكسر التتر وقتل منهم عدد غفير وانهمزم من بقي فتبعهم عسكر المسلمين الى الفرات واهلكوهم

وسنة ٧٠٨ ذهب السلطان الى الكرك فخلعة الجمانشكير وتولى عوضاً عنه في ٢٢ شوال ووافق الجمانشكير امراء مصر والشام ولقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وما لبث الا وابتعد عنه عسكر دمشق ووجهوا للسلطان الاسبق يعترفون به وكان بالكرك فاتي دمشق ودخلها يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ٧٠٩ فاناها عمال الجهات بعساكرهم وقدموا اليه طاعتهم فسار بعسكره نحو مصر ولما وصل الى غزة ارسل الجمانشكير عسكراً لمحاربته ولما وصل عسكر مصر الى غزة مال الى السلطان وفضله على الجمانشكير

ولما علم الجمانشكير خيانه عسكره له خلع نفسه وارسل يطلب الامان من السلطان فامنه واعطاه صهيون ومئة مملوك وسار الى مصر واستولى على عرش المملكة في غرة شوال سنة ٧٠٩

ثم ان التتر رجعوا الى محاربة سوريا فقطعوا الفرات ونزلوا بالرحبة فاتي السلطان دمشق في ٢٢ شوال سنة ٧١٢ ورتب امور العسكر وسار الى الحج وفي ١١ محرم سنة ٧١٢ رجع من حجه الى دمشق واقام بها مدة وعاد الى مصر. وفي نحو سنة ٧١٩ استناب عنه بدمشق سيف الدين تنكز

وكان تنكز محباً للاصلاح والابنية فعمر باب توما ووسع طرقا المدينة وحسنها واقام ابنية كثيرة عمومية وخصوصية في دمشق والقدس ووقف عليها الاوقاف لتبقى عامرة وقد طالبت مدة نيابته وفي ايامه صارت جريفة في دمشق واتسعت دائرتها وذهبت فيها الاموال والنفوس وتدمر بها جانب من المدينة

ثم تكررت فاتهم النصارى بها فوقعوا تحت العذاب وغرموا بالالف الف درهم
 وصاب منهم ١١ رجلاً واسلم كثيرون تخلصاً من البلاء والعذاب
 وكان نفوذ تنكر عند السلطان عظيماً والسلطان يعزه ويكرمه ظاهراً
 وببغضة ويحب الايقاع به باطناً فاكتشف تنكر على بعض ما اكنه له السلطان
 فاستوحش منه وقصد مخالفة التتر ضده فبلغ السلطان هذا الامر فارسل سرّاً
 في ذي القعدة سنة ٧٤١ وامر عاملة في صفد ان يذهب سرّاً الى دمشق بدون
 معرفة تنكر ويقبض عليه فأتى نائب صفد وفعل كما أمر وقبض على تنكر وساقه
 الى مصر. وكان تنكر عظيم السطوة شديد الغضب قتل خلقاً كثيراً ووقف
 الاوقاف الكلية. وقد غضب يوماً على الكلاب في دمشق فقتل كثيراً منها
 وفرق بين ذكورها واناثها ليقطع نسلها وكان يكره صوت الضفادع فاخرجوها
 من الانهر والآجام فقال بعضهم فيه يوم أخذ اسيراً

تنكر تنكر بدمشق نبيها وذلك قد يدل على الذهاب

وقالوا للضفادع الف بشرى بيته فقلت والكلاب

وتولى نيابة السلطنة بعده في دمشق الطنبيغاه الحاجب الصالحى وفي هذه

السنة اي ٧٤١ توفي في مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

وعمره سبعون سنة وقد اتسع ملكه وخطب له في بغداد والعراق والموصل

وديار بكر والروم وضربت السكة هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج

مراراً كثيرة وكان عادلاً رحيماً اطلق مكوساً (ضرائب) كثيرة وكان الامن

والسلام سائدين في زمانه وبنى من المعابد والجوامع شيئاً كثيراً وعهد بالملكة

ولده السلطان الملك المنصور واجلسه في حياته وكانت مدة سلطنة الناصر في

ولاياته الثلاث ٤٢ سنة وسبعة اشهر. وفي صفر سنة ٧٤٢ خلع السلطان

الملك المنصور واقام اخوه الملك الاشرف وعمره ثمان سنين. ثم خلعوا الاشرف

واقاموا مكانه الناصر احمد سنة ٧٤٢ ثم خلعوا الناصر احمد واقاموا مكانه اخاه

الملك الصالح اسمعيل سنة ٧٤٢ وكان نائب دمشق وقتئذ ايد غمش فتوفي

واقيم مكانه الامير طقز تتر

وفي ربيع الآخر سنة ٧٤٦ توفي الملك الصالح اسمعيل وجلس مكانه اخوه
السلطان الملك الكامل شعبان فعزل طقز تتر عن النيابة ووضع يابغاء الناصري
فاتفق يابغاء مع امراء مصر وخلعوا الكامل شعبان وولوا عوضاً عنه عمه
السلطان الملك المظفر امير حاج . وفي جادى الاولى سنة ٧٤٨ ثقل خاطر
السلطان على يابغا فهرب من دمشق بامواله الكثيرة فوقع القبض عليه في
الطريق فات ودفن في قاقون . وفي جادى الآخرة صار ارغون نائب حلب
نائباً على دمشق . وفي رمضان قتل السلطان الملك المظفر امير حاج واجلس
مكانه السلطان الملك الناصر حسن . وفي هذه السنة كان في دمشق غلاء
فاحش حتى بيعت غرارة المحبطة بثلاث مئة درهم . وتبعه في سنة ٧٤٩ وباء عظيم
اغتال الناس اغنياً

ودامت دمشق خاضعة لدولة الاتراك المماليك في مصر الى ان سقطت
وقامت الدولة المجرسية مكانها في مصر ايضاً واول الملوك المجرسة الملك
الظاهر برقوق وهو ابو سعيد برقوق بن انس بن عبد الله الجهاركسي الاصل
جلس على كرسي السلطنة في ٩ رمضان سنة ٧٨٤ فخضعت دمشق له كباقي الممالك
وفي ايام سلطنة الملك الناصر فرج كانت الحروب التيمورية منشبة في
سوريا فان تيمور المغولي كان قد صار عظيماً وفتح مدناً وامصاراً واذاق الناس
اشد المصائب وسفاهم امر كاسات النوائب وكان يطع في اخضاع جميع العالم .
وسنة ٨٠٣ زحف من عين ناب على حلب وفيها الجيوش الجرارة وفتحها
عنوة واخذ يتقدم في الفتوحات بسوريا . وفي اوائل ربيع اول سنة ٨٠٣ قصد
دمشق على انه عند حلولة يجلب فر من رجاله اسم احدها النيوفا الرودار
والثاني عيد القصار واتيا دمشق وحرصوا اهلها على الرحيل منها خيفة بطش
ذلك الفانح الظلوم فمن الناس من قاومها وحاول رجها لادعائه بانها تقطعان
قلوب الرعية ومنهم من سمع مشورتها وفر هارباً . ولما وصل الى مصر خبر ما حل

بجلب جهاز السلطان عساكره وسار بها نحو الشام فاطمات قلوب الناس وهرع
 بعض مهاجري دمشق الى اوطانهم وداوم السلطان السير حتى دخل دمشق
 في اوائل ربيع الاول فاخذ في تحصينها وتقوية اسوارها ووضع فيها الحراس
 ونظم امورها العسكرية اتم تنظيم ووضع جانباً من جيوشه الجزاره خارج اسوارها
 باكل نظام ولبثت تلك العساكر منتظرة قدوم تيمور . وفي ١٠ ربيع الآخر وفد
 تيمور بجيوشه الجزاره ونزل في داريا فاخذت المناوشات تجري بين العسكرين
 وبعد ذلك ارسل تيمور فرقة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الجنود
 الاسلاميه عند اسوار دمشق فانكسرت هذه الفرقة وقتل معظم رجالها فعلم
 تيمور ان لا قدرة له على فتح المدينة بهيدان التزل فعهد الى استعمال الحيلة
 وارسل ابن اخيه الى السلطان الناصر بالمدينة فتظاهر هذا بالبغضاء لخالد
 تيمور والانحياز الى المدافعين فصد قوه وقبأوه اما تيمور فتظاهر بالرحيل عن
 دمشق ونقهر عنها ففرح الدماشقة . ثم وقع الانشقاق بين عساكرهم وتفرق راي
 امراء الجند فالتزم السلطان ومن معه من الجنود ان يرحلوا عن دمشق فرحل
 السلطان نحو مصر ظاناً بان دمشق في امن فعلم تيمور بسفر السلطان فابقن
 بالفوز السريع وعاد الى دمشق وضيق عليها فتشبهت اهلها بالدفاع متكئين على
 الله وعلى نجدة من السلطان وبعد يومين خاب الامل فاجتمع الاعيان والعلماء
 والامراء وتشاوروا في امرهم فقرروا على تسليم المدينة لتيمور فاختراروا رهطاً
 منهم لاجل التسليم من جملتهم قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون المؤرخ الشهير
 فخرج الرهط وعرضوا تسليم المدينة على تيمور فقبل طلبهم . وامن المدينة واستلم
 مفاتيحها ودخل من الباب الصغير (باب الشاغور) واوصى عساكره بعدم
 اذى الاهالي ومضرتهم اما القلعة فكانت متمنعة عليه وفيها بعض الجند تحت
 قيادة قائدهم الباسل شهاب الدين احمد الزردكاش فبني قبالتها ابراجاً اعلى
 منها واخذت عساكره تقتلع الحجارة من اسافلها فوهن عنم من بها فسلموها له في
 ١٦ رجب تحت شروط ودامت محاصرتها ٤٢ يوماً

ولما دخل تيمور المدينة اخذ يطالب اهلها باموالهم فجمعها ونكب الاهالي
نكبة عظيمة واخنارا شقياء القوم لجمع الاموال ثم امر بتعذيب امرائها اشد عذاب
واطلق العنان لجنده ليمهوا ويسلبوا ويفتكوا ويحرقوا فاذا قوا الاهالي من
الشدة ما لا يحتمل . قال صاحب عجائب المقدور في اخبار تيمور . وحين ملأ تيمور
جراب ظمعه من نفائس الاموال ودنه واستندر خلفاءها شيئاً فشيئاً صافياً ورائقاً
حتى صفاها بنظيره امر بتعذيب هولاء الامراء الكبار (قد ذكرهم قبل هذه الجملة)
فعدبهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكوهم بالنار واستخرجوا جنى
الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار ثم اطلق عنان الاذن لعسكره بالنهب
العام والسبي الطام والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق
فهمج اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب
والثريب والتخريب انقراض النجوم واهتموا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على
المسلمين واهل الذمم صولة الذئاب الضواري على ضواحي الغنم . وفعلوا ما لا يليق
فعله ولا يحجل ذكره ونقله واسروا المخدرات وكشفوا غطاء المستترات واستنزلوا
شموس الخدور من افلاك النصور وبدور الجبال من سماء الدلال وعذبوا الكبار
والاصاغر بانواع العذاب وبدأ للخلق ما لم يكن في حساب وصنفوا في استخراج
النفائس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب العجائب وفرقوا
بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما ارضعت وجازوا
كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت وفر المرء عن اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وصار لكل يومئذ شان يغنيه وذل العزيز الكريم وهان الخطير الجسيم وطم البلاء
وعم القضاء وطاشت الحكوم وتبدت الفهوم وتراكت غير الغيوم فاقسم بالله لقد
كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيام واسفرت تلك الساعة عن
اشراط الساعة واستمر هذا البلاء العام نحو من ثلاثة ايام الى ان يقول

ثم انهم (يريد اصحاب تيمور) لما انهموا العيث والعبث وقضوا في حجب فسادهم
التفت واثموا بالفسق والجبدال والرفث ورموا في البيوت النار وفي القلوب

الجمرات وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاهدار وروى في اشواظ الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شوطاً من نار وكان فيهم من روافض الخراسانية فاطلقوا النار في جامع بني امية فتشتتت النار بلهبها وساعدتها الريح بهبوبها فتساقطت في محو الآثار ريجاً وناراً واستمر على ذلك باذن الله ليلاً ونهاراً فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس وانجى بالسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا الهمس واصبحت حصيداً كأنها لم تغن بالامس وذلك بعد ان اظهروا من الاموال واوثقوا منه الاحمال الى ان قال . وبعد ان امست النار تلهب بانحاء المدينة وتملك ابنتها الحسنة الجميلة سارتيه يوم السبت الواقع في ٢ شعبان سنة ٨٠٢ قاصداً الجهة الشمالية التي منها وفد وقد اجلا معه بعض الاعيان واصحاب الفضل واهل الصنائع وكل ما هربن كالنساجين والخياطين والذين يصنعون السيوف البواتر من اشهرت بهم دمشق . اه . ومنذ اجلا تهور عملة السيوف خسرت دمشق هذه الصناعة التي اشهرت بها ولم ترجع اليها ولولا اضطرار الاهلين للمنسوجات ما رجعت صنعها للدينه ايضاً

ومصيبة دمشق هذه هي اعظم المصائب التي دهمتها منذ وجدت بين المدن فان اموالها فقدت بالكلية وعمرانها اضحى خراباً وسكانها لعب بهم السيف والنار والسي والتشيت ولم يبق منهم الا بقية قليلة وهي التي سمعت للمندرين المار ذكرها وهاجرت ربوع دمشق ومن حفظه الله من تلك البلايا والشدائد بعد ان قاسى من العذاب اشكاً ومن الويل امره

وفي اوائل سنة ٨٠٤ نزع تهور عن سوريا بالكلية فاخذت تلك البقايا المتفرقة ترجع الى وطنها وتقيم ما تقدر عليه من الابنية وتوارد الناس الى دمشق من كل جانب فعمر بعض خرابها ورسم ما تهدم من اسوارها وما لبثت الا ورجعت مدينة تذكر بين المدن واكثر من اتي وسكنها اقوام من حماه . وقد رجعت اليها بعض صنائعها على انه لفقدان فطاحل العمال بكل فن وصنعة

كانت مصنوعاتهما دون ما كانت عليه كما ان المدينة قد تاخرت في الحالة
والعمران عما كانت عليه قبل افعال تيورها ولكن لحسن موقعها التجاري
وخصب اراضيها وكثرة مياهها ونوارد الحجاج اليها من جميع الاقطار كل سنة
ذهابا وايابا اخذ عمرانها يتقدم شيئا فشيئا ولم يمض عليها من الزمان مدة الا
رجعت مدينة من اعظم مدن سوريا بعد حلب وبقيت تحت سلطة دولة المماليك
البحراكية يتناوبها نوابهم الى ايام قانصوه الغوري الذي قتل سنة ٩٢١ وملك
بعده ابنه الملك الصالح تومان باي وقتل بعد تملكه بثلاثة اشهر وبه انتهت دولتنا
الأتراك والبحراكية المماليك في سوريا وعدد من وطى عرش المملكة من الدراطين
٤٦ ملكا وخضعت البلاد بعدهم للسلطان سليم العثماني

فصل

في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر

ان السلطان سليم بعد ان تغلب على قانصوه سلطان مصر في مرج دابق
جاء حلب واستولى عليها وصلى بجامعها الكبير فاعطاه الخطيب لقب خادم
الحرمين الشريفين الذي كان يختص بملوك مصر ففخخ السلطان عليه حاشية
وكانت تساوي خمسين الف درهم . ومكث السلطان بحلب مدة وسار الى حماه
وسلم ادارتها الى كوزلجي باشا وجعل حمص سنجقا ثم استولى على دمشق وانصب
فيها العلم السلطاني واقام بها اربعة اشهر فحضر اليه امراء العرب واصحاب
مقاطعات سوريا واوجه جبل لبنان فاكرمهم وفي مدة اقامته في دمشق كان
يكثر التردد الى الجامع الاموي

وسنة ١٥١٦ م رجع السلطان سليم الى الشام بعد ان مهد الاقطار المصرية
والشامية فهصى عليه الامير ناصر الدين بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين
فساوه الامر وارسل يفيض عنه واذ لم يجدهم اتى القبط على بعض الامراء المعنيين
واخذهم معه الى الاستانة ثم ارسل اليه راس ابن الحنش فغلى سبيلهم

وسنة ١٥٨٤ م نهبت خزينة السلطان مراد في جون عكار فامر ابراهيم
 باشا والي مصر ان يتوجه بعساكره لمقاومة آل سيفنا وغيرهم من امراء لبنان
 فخرجت الجنود من دمشق لنجدته وبرز الجميع في مرج عرجوش فهاجم الامراء
 وفروا ثم سار الى عين صوفر فانه عقال الدروز بالتقدم فقبلها وصرف
 العساكر الدمشقية فعادت الى وطنها غائمة. وسنة ١٦٠٠ سار جيش من دمشق
 واستولى على حلب فذهب نصوح باشا والي حلب واستنجد بحسين باشا والي
 كلس وتعاضدا معا واخرجوا العساكر الدمشقية من حلب واقعا بهم
 وسنة ١٦٠٦ م جمع احمد باشا المحافظ والي دمشق جنوده وسار بهم لمحاربة
 الامير يونس الحرفوش والامير احمد الشهابي فاستنجد بالامير فخر الدين المعني
 فانجدها ولما عرف بذلك احمد باشا يئس من الفوز وافل راجعا الى دمشق
 وسنة ١٦٠٧ م كتب يوسف باشا سيفنا الى السلطان احمد ان يجعله سر عساكر
 الشام متعهدا ان يقيم علي باشا جان بولاد الذي كان يتعب الدولة فلباه
 السلطان الى ما طلب فاخذ يوسف باشا يجمع العساكر الى حماه وخرجت عساكر
 دمشق لمعوتته فاتي علي باشا وحارب يوسف باشا ففر يوسف باشا من وجهه
 الى طرابلس وارسل حرمته الى دمشق وتشتت شمل عساكره. ثم بارح يوسف
 باشا طرابلس وات دمشق واخذ يبيش الجيوش في وادي بردى فجمع ١٠
 آلاف مقاتل واما علي باشا فاتحد مع الامير فخر الدين المعني وسارا للحرب
 فاجتعا بجيش يوسف باشا في عراد نواحي حماه. اما علي باشا فاستمال بعضا من
 قواد عساكر الشام فاتوا اليه فانكسر العسكر الدمشقي ونهقر فتمتعة علي باشا الى
 قرية المنق فخاف اهالي دمشق وقفلوا ابواب المدينة فدفع يوسف باشا لقاضي
 دمشق مئة الف غرش فداء عن المدينة وفر منهزما الى عكار فمحق علي باشا
 من هرب عدوه وامر جنوده فاخذوا يتهبون خارج المدينة فخرج اعيان
 دمشق واستعطفوا خاطر علي باشا واعلموه بالمباغ الموضوع له عند القاضي
 ودفعوه له مئة خمسة وعشرين الف غرش جمعوها منهم فكف قومه عن النهب

وسار بهم الى البقاع

وسنة ١٦١٢ ذهب احمد باشا المحافظ من دمشق الى حلب واعرض الى واليها بما يصاد الامير فخر الدين المعني مواعدا الى دمشق في سنة ١٦١٣ واخذ بحرك الفتن في بعض جهات لبنان وقصد محاربة الامير علي الشهابي فاستنجد الامير بالامير فخر الدين فانهجك ولما علم الوزير بذلك اصطلح مع خصمه ورجع بجيوشه الى دمشق . ثم انقدت نيران العدوان بين المحافظ والامير فخر الدين المعني فانهمى احمد باشا المحافظ الى الباب العالي بان الامير فخر الدين تغلب على بلاد حوران وعجلون وغيرها وحاصر دمشق فغضب السلطان سليم فارسل من فوره اربعة عشر باشا مع خمسين الف مقاتل لاهلاك المعنيين وامر ان تكون هذه الجنود تحت قيادة احمد باشا المحافظ ولما بلغت الجنود محل ماموريتها استدعى المحافظ الامير يونس الحرفوش واستماله اليه وسار بجيوشه من دمشق للقتال فاخذت تجري المواقع الحربية بين الامير وعسكر الدولة في محلات كثيرة وكان اشد الحرب عند قلعة الصبيبة وقلعة شقيف ارنون ولما اوشك الامير ان يسقط فر من صيدا الى اوروبا وولج ادارة المحاربة باعوانه وبعض اقاربه فظلت رحي الحرب دائرة وتغلبت جنود الدولة على محلات كثيرة واحرقت دير القمر وغيرها من قرى لبنان . وسنة ١٦١٤ ضعف المعنيون واطاعوا فرجع المحافظ الى دمشق وما لبث بها مدة قصيرة الا وعزل عنها وعين عوضاً عنه جركس باشا . وسنة ١٦١٥ دخل جركس باشا دمشق باحتفال وقدم له المعنيون طاعتهم ثم سار بامر الدولة من دمشق لمحاربة شاه العجم وبعد مدة عاد اليها سالماً . وسنة ١٦١٦ امر بخراب قلعة شقيف ارنون فدكت الى الارض ولم تنزل خراباً الى يومنا هذا . وسنة ١٦١٧ عزل محمد باشا الجركسي وولي عوضاً عنه احمد باشا ثم عزل وولي عوضاً عنه مصطفى باشا . وسنة ١٦١٩ عزل وولي عوضاً عنه سليمان باشا . وسنة ١٦٢١ عزل وولي عوضاً عنه مرتضي باشا وبعد توليته بوقت قصير عزل وولي مكانه مصطفى باشا . وسنة ١٦٢٢

كان رجل من اعيان دمشق اسمه كرد حمزه فاوشى الى مصطفى باشا بالامير
فخر الدين المعني فسار الباشا بنحو عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الامير واجتمع
الجيشان نواحى الجبل فاشتبك القتال بينهما فدارت الدائرة على العسكر
الدمشقي وقتل منه عدد وافر وسقط الوزير اسيراً بيد الامير فاكرمه واعزته ونصاها
ورجع الوزير الى دمشق ولما استقر بها امر يهدم دار كرد حمزه وضبط اهواله
فكان كذلك وبعد وقت قصير عزل مصطفى باشا ووجهت الولاية على محمد باشا
فاتي الى حماه ومعه كرد حمزه ثم اتى القطيفة وقصد دخول دمشق فلم يقبله اهلهما
وما نعهوه الدخول الى مدينتهم وارسل مصطفى باشا لصك فرجع الى حماه
واستكتب مصطفى باشا قضاة دمشق واعيانها واعلمائها محاضرين لبقائه على الولاية
وارسلها الى الباب العالي فلم تقبل بل تقررت الولاية لمحمد باشا فسار محمد باشا
الى دمشق على طريق الزبداني ودخلها من باب وخرج مصطفى باشا من باب
آخر وما لبث محمد باشا في دمشق مدة قصيرة الا توفي بها فتولج الاعمال بعده
موقتاً ابراهيم اغا الدفتر دار . ثم رجع مصطفى باشا الى دمشق وتقررت ولايتها
له . وسنة ١٦٣٤ انعمت الدولة على الامير فخر الدين المعني بولاية سوريا كلها
من حدود حلب الى حدود القدس ولقبته بسلطان البر وربطت عليه اموال
الولاية كلها فدخلت دمشق بحجة اقطاعه فاخذ يدبر الامور ويبيي القلاع
والحصرن في انحاء البلاد . وفي هذه السنة اشتد الغلاء في دمشق فارسل اهلهما
يشكون حالهم للامير ويطلبون تديره فلباهم وارسل لهم حالاً اني حمل
حمل حنطة وفي اليوم الثاني مثلها وجمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها ان
ينقلوا الحنطة الى دمشق ففعلوا فامر ان يكون رطل الخبز بقطعتين فكانت
كذلك فانفرج كرب الناس . ثم اتى بنفسه ونزل بمرجة دمشق غربي المدينة
فخرج جميع الاهالي للملاقاة واخذوا يدعون له بالنصر وطول البقا . ثم انه
اتخذ الفأ من الانكشارية ليكونوا بخدمته وطلب من وجوه البلدة مال جزية
النصارى فاجابوه وسلوه دفترها . ولما قويت شوكة الامير ودانت له البلاد

حدثته نفسه ان يستقل بها ويجعل ذاته سلطاناً مطلقاً عليها فاخذ كجك احمد يوشي بالامير امام رجال الدولة العظام في الاستانة وبين مقاصدك (كان كجك احمد جايياً للاموال الاميرية بوادي التيم تحت يد الامير فوقع خلف بينهما فترك خدمة الامير وسار الى الاستانة فنقدم في المراتب حتى رقي الى درجة الوزارة وصار له كلمة مسموعة) فبلغ السلطان مراداً ذلك وساءه و زاد تهيبه بكتابة وردت عليه من حاب تنبي عن مقاصد الامير وما بناه من القلاع والحصون فوجه حالاً عساكره لمحاربة الامير تحت قيادة كجك احمد فاني كجك احمد دمشق بجيوشه ودخلها في شتاء سنة ٦٢٢ او اخذ بجمع العساكر من حدود بلاد الروم الى حدود بلاد مصر . وسنة ٦٢٤ تمض بالعساكر الى خان سعسع ودعا اليه بعض المناصب وارجمهم الى اقطاعاتهم . اما الامير فجهز جنوده واصطلت نيران الحرب بينهما فدارت دائرتها على عسكر الامير ووقع اسيراً مع اولاده فاخذهم الوزير الى دمشق وارسلهم منها الى الاستانة واطلق الامان في سوريا فراقبت الاحوال مدة . ثم ثارت الفتن فقال الوزير للسلطان ان السبب من دسائس الامير فخر الدين ففتح السلطان على الامير وقتله مع اولاده الا واحداً منهم

وسنة ١٦٥٠ كان على دمشق بشير باشا فجل على الامير ملحم المعني والتقياً بوادي القرن فانكسر ورجع الى دمشق خاسراً . وسنة ١٦٥٤ عزل بشير باشا وتولى عوضاً عنه محمد باشا الكبرلي . وسنة ١٦٦٠ تمنع المعنيون والشهابيون عن اداء الاموال فسار اليهم محمد باشا الكبرلي بجنوده ففروا من وجهه فاخذ المال من الاهالي ورجع الى دمشق . وسنة ١٦٩٢ عصى الامير احمد المعني على الدولة وظفر بعساكر صيدا فامر السلطان وزراء سوريا ومنهم اسمعيل باشا والي دمشق ان يسيروا لمحاربة فساووا وكانوا جموعاً كثيرة فاخفى الامير من وجههم ففحصوا عنه ولم يجدوه فاخذت العساكر تعيث بالبلاد واخيراً انصرف كل الى محله . وسنة ١٧١١ وقع خلاف بين الامير حيدر الشهابي ومحمود باشا اليمني فاستنجد محمود

باشا بنصوح باشا والي دمشق وبشير باشا والي صيدا، فوجهها عساكرها وقبل وصولها
 اشتبك القتال بين الامير ومحمود باشا فانكسر محمود باشا فعلم الوزير ان بذلك
 فافلا راجعين كل الى محله. وسنة ١٧٢٢ قدم عثمان باشا واليا على دمشق (وكان
 قبلاً والياً على صيدا) فاحضر معه بعض الامراء اللبنانيين الذين كانوا عند رهيته
 على مال مند سنة ١٧١٤ فارسل الامير حيدر الشهابي واستفكهم. وسنة ١٧٢٢ كان
 على دمشق سليمان باشا العظم والياً فاخذ قوم الامير ملحم الشهابي يخربون في البقاع
 فحتم منهم الوزير وخرج من دمشق بعسكر جرار لمحاربة الامير وحل في البقاع
 فارسل الامير واستعطف خاطر واعذر عن قومه وتهد له بدفع خمسين
 الف غرش غرامة ووضع عند اخاه مصطفى رهناً فقبل الوزير بذلك وافل
 راجعاً الى دمشق واخذ ببناء خانو المعروف بخان سليمان باشا. وسنة ١٧٤١
 كانت دمشق تحت ولاية اسعد باشا العظم فجهز عسكره وسار لمحاربة الامير ملحم
 فوصل الى البقاع وكان لما بلغ الامير قصد الوزير جهز عساكره ووافاه بسرعة
 واذا علم اسعد باشا بان قوة الامير تفوق قوته افل راجعاً بمجنوده الى دمشق
 فتأثره الامير حتى ابواب دمشق. وسنة ١٧٤٨ ولي اسعد باشا الامير علياً على
 بلاد بعلبك فاغناظ الامير ملحم واخذ ينهب ويخرب في البلاد فجمع اسعد باشا
 جنوده وسار بهم من دمشق واتى وخيم في صحراء بر الياض ففطن الامير لذلك
 وجمع عسكره بسرعة واتى وخيم بهم في المغيشة. ثم انتشبت بينهم نيران الحرب
 فانكسر اسعد باشا الى سهل الجديك فتمبعه الامير فرحل الى دمشق ودخلها
 مكسوراً. وبعد ذلك بمدة قصيرة سار اسعد باشا الى الحج فاغنىم الامير الفرصة
 وداهم بلاد بعلبك وعزل عنها واليها الامير حيدر الحرفوش. ولما رجع اسعد
 باشا من الحج وعلم بما جرى من الامير في غيابهم كتم له السوء واخذ يترصده الفرص
 للايقاع به على انه لم تطل مدته. وسنة ١٧٥٧ كانت دمشق تحت ولاية عبد الله
 باشا الشيبني ومن سنة ١٧٥٨ الى سنة ١٧٦١ كان طاعون عظيم في البلاد
 هلك به خلق كثير. وسنة ١٧٦٢ كانت دمشق تحت ولاية عثمان باشا الكرجي

فهذا لما صار على دمشق صارت منه امور مستنكرة مع اهالي غنق وكان على مصر
علي بك وغنق تلوز بيه فانكر على عثمان باشا ما فعله وجهاز خازن داره محمد بك
المعروف بابي الذهب لمحاربتيه والانتقام منه فسار ابو الذهب بعساكره الكثيرين
سنة ١٧٦٨ قاصداً الحرب واذ بلغ الدولة العلية خبر ذلك عينت لقتال العساكر
المصرية ودفع غائلتها عن البلاد الشامية والي حلب عبد الرحمن باشا ووالي
كلس خليل باشا ووالي طرابلس محمد باشا فلما قدم ابو الذهب بعساكره نزل
قرب داريا الكبرى فخرج للقائه الوزراء الاربعة مع العساكر الشامية وصارت
المعركة في سهل داريا فدارت الدائرة على الوزراء ثم ورد كتاب من ابي الذهب
الى علماء دمشق واعيانها يطلبهم لمواجهته بشأن تسليم المدينة وتوعدهم بجرقها او
اسراهم اذا ابوا ذلك فالتسوا منه المهلة حتى يجتمعوا ويشاوروا اهل المدينة
وباقى اعيانها وعلمائها بهذا الشأن . وفي تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة في ١٤
صفر سنة ١١٨٥ هـ هربت الاعيان وعثمان باشا وولده وروساء العساكر البلدية
ولم يبق في دمشق مقاتل فاستولى على الناس الخوف والهلج وذهبوا الى العلماء
وتوسلوا اليهم ان يواجهوا ابا الذهب ويسلموه دمشق ويدفعوا عنهم غائلته
فتوجهوا لمقابله فلما دخلوا عليه قابلهم بغاية الاكرام فقالوا له ان البلد لمولانا
السلطان مصطفى خان فتسلمها انت واحقق دماء المسلمين وكف عن اموالهم .
فامتهم ورفع القتال عنهم . ثم بعد ايام حارب القلعة وضربها بالفنابل وكان
بها مصطفى اغا البطرجي فضررت الفنابل بالمدينة واهلها ضرراً بليغاً فرجع
الامر اليه فامر برفع الحصار واذ تحقق عنك بان عثمان باشا قد فر من المدينة
بن معه عزم على العود الى مصر . وبعد ان نصب من قبله قاضياً ومفتياً من اهل
البلد رحل عن دمشق قاصداً مصر . وعلى اثر خروجه منها عاد اليها عثمان
باشا والاعيان والعساكر ورئيس اليرلية يوسف اغا بن جبري من جبل الدروز
ومعه ٥٠٠٠ درزي وانزلهم في البلدة بامر عثمان باشا وهكذا انتهت هذه الحادثة
وسنة ١٧٧٠ حضر احمد الجزار الى دمشق وخدم عند واليها عثمان باشا .

وفيهما وقع حرب بين ظاهر العمر الزيداني صاحب عكا واحزابه امراء المتأولة
 في بلاد بشاره والامير يوسف الشهابي فانكسر الامير يوسف مخاف درويش
 باشا والي صيدا وذهب الى دمشق ملتجئاً وما لبث بها مدة قصيرة الا وتوفي واليها
 عثمان باشا فارسلت الدولة عوضاً عنه عثمان المصري الوكيل والياً على دمشق
 ولما بلغها ارسل ودعا خليل باشا والي القدس الى محاربة ظاهر العمر وامر
 الامير يوسف ان يستعد لمساعدة خليل باشا فوقع القتال قرب صيدا فتغلب
 ظاهر العمر وفر خليل باشا الى دمشق بعد ان قتل من عسكره الف وخمس
 مئة مقاتل . وسنة ١٧٧٢ وقع نفور بين عثمان باشا والامير يوسف الشهابي فخرج
 عثمان باشا من دمشق بعساكره ونزل في البقاع بصحراء بر اليباس فلما بلغ
 الامير ذلك جمع عسكراً ونزل به في المغيثة ثم انحدر لقتال الوزير وحدث
 بينهما مواقع لم يتم بها الظفر لاجد منها . ثم استنجد الامير بعلي بن ظاهر العمر
 وبالشيوخ ناصيف النصار كبير بني علي الصغير فانبجده بجيش جرار ونزلوا في قرية
 الفرعون . ولما بلغ عثمان باشا ذلك دخله الهم والرعب ونقل عسكره ففر
 هارباً تلك الليلة الى دمشق تاركاً المدافع والخيام والعلائف فغلبها عدوه . وبعد
 ذلك عزل عثمان باشا وتولى دمشق محمد باشا العظم . وسنة ١٧٨٢ زحف
 الوزير احمد باشا العظم من دمشق بجنوده لمحاربة الجزائر بالانتقاد مع الامير
 سيد احمد الشهابي ونزل قرب قلعة قب اليباس وهناك اصطلت نيران الحرب
 فانكسر بعسكره ونهقر حتى دخل دمشق ثم اصطلى هو والجزار واخرى با قلعة
 قب اليباس لانها اعتبرها اصل الفتن . وسنة ١٧٨٧ وجهت ولاية دمشق على
 احمد باشا الجزائر فسار اليها واستلم زمامها فصار والي دمشق وصيدا سنة ١٧٨٨
 عزل عن ولاية دمشق ووجهت ولايتها الى ابراهيم باشا . ثم ثقل الحال ورجعت
 ولاية دمشق الى الجزائر فكان يضع بها نائبا من قبلك ويستقر في عكا وكان قد
 اخذها من الزيادة

وكان الجزائر ظلوماً عاتياً متقلباً سفاكاً للدماء بلاصاً للعباد قاسياً وقد فاز

بشهرة كلبية وخشية الناس لشهره وجوره مات في عكا سنة ١٢١٩ هجرية ودفن بها
وكان لا يسمع للدولة العثمانية ولا يطيع او امرها وقد فرح الناس لموته كل الفرح
فقال الشيخ مصطفى الرومي مورخاً

هلك الجزائر ولا عيب ومضى بالخزي وبالاثم-

وبهنته الباري عنا ارخ قد كف يد الظلم-

وعند موت الجزائر كان بسجنه اسمعيل باشا فاخرجه الشيخ طاهما الكردي
واجاسه عوضاً عن الجزائر مدعيًا بان الجزائر بايعه بالولاية قبل موته . وكتب
اسماعيل باشا الى اصحاب الولايات والمناصب يبشرهم بولايتهم . اما نائب الجزائر في
دمشق فلم يرد ان يعرف اسمعيل باشا والياً فكتب للامير بشير عمر الشهابي
الملقب بالكبير يطلب منه محافظة الطرقات وان يدهُ برأيه فاجابه الاميراني
فعلت كل شي قبل ورود رسالتك واما اسمعيل باشا فلم اعرفه لان الدولة لم
تنصبه . وبعد برهة اتى ابراهيم باشا والياً على دمشق فسار مع عساكر الامير
بشير وقتل اسمعيل باشا والي عكا ووضع عوضاً عنه سليمان باشا فرجعت
دمشق اىالة على حداثها وكان ذلك سنة ١٢٢٠ هـ الموافقة سنة ١٨٠٥ م

وسنة ١٨١٠ م او سنة ١٢٢٥ هـ كان والي دمشق اسمه يوسف باشا
فعزله الدولة وارسلت فرمان الولاية على دمشق الى سليمان باشا والي عكا فتمنع
يوسف باشا عن تسليم الولاية وقصد حرب سليمان باشا وارجاعه فلم يفز بهرغوبه
لان سليمان باشا ضم الى جنده عساكر الامير بشير الشهابي وبعد موقعة جرت
بنواحي قطنا والمجدية سلم اعيان دمشق لسليمان باشا وهرب يوسف باشا
فدخل الامير بشير مع سليمان باشا الى دمشق واستلم المدينة

وانقلب الوزراء على دمشق حتى صارت ولايتها لدرويش باشا وولاية عكا
لعبد الله باشا الخزندار فجرت وحشة بينهما لان درويش باشا كان يدعي بانه والي
دمشق وصيدا وعبد الله باشا كان يمضي بانه والي جميع سوريا وكانت نتيجة هذه
المباينة انقطاع المواصلات والاستعداد للحرب فطلب عبد الله باشا مساعدة

الامير بشير فدهُ بالجنود اللبنانيين . واما الدولة العلية فاذا كانت ترغب في اذلال عبد الله باشا بعثت باوامرها الى والي حلب ان يساعد درويش باشا والي دمشق على انه سبق فتوح الحرب ورود الاوامر لوالي حلب فسارت جنود عبد الله باشا وجنود لبنان مع الامير بشير وولده الامير خليل وهزموا عساكر دمشق التي خرجت للقائهم ونقدوا نحو قرية المنق فكانت المدافع تطلق عليهم كراتها والرصاص يطر فوقهم فثبت رجال الامير بشير بالترال ونقدوا رغماً عن نيران الاعداء وبعد معاناة المتاعب الكلية تمكنوا من الاقتراب من حيطان قرية المنق وتسلفوا عليها واشعلوا فيها النار والقتال مستمر فلما نظر خيالة عسكر دمشق دخان المنق مرتفعاً وخيالة عسكر عكا تضايقهم والرصاص من مشاتير يهلك رجالهم وخيولهم ولوا منكسرين كما ولت عساكر المشاة من داخل القرية فتبعهم عسكر عكا الى قرب دمشق فالتزم بعضهم ان يلقوا انفسهم في المياه طاباً للنجاة واما الامير فلم يسمح بدخول عسكره الى دمشق خوفاً عليها من النهب فرجع بالعسكر واقام به في سهل المنق . اما قتلى عسكر دمشق فكانوا بينفون على الالف ومئتي نفس على ما قيل وقتلى عسكر عكا وجماعة الامير نحو ٤٠ نفرًا . ولما راى درويش باشا انكسار عساكره تحصن بقلعة دمشق وليث بها ينتظر قدوم النجدة عليه من والي حلب وادنه فلما عرف الامير بشير بان النجدة آتية بسرعة وان الدولة العلية قد صدرت امرها بتولية درويش باشا على دمشق وعكا وانها قد عزلت عبد الله باشا عن ولاية عكا رحل بمجنوده بعد ان ارسل وخطب مصطفى باشا والي حلب خطاباً لطيفاً وقد جرت هذه الحوادث المعروفة بوقعة المنق سنة ١٨٢١ م الموافقة سنة ١٢٣٥ هـ ولم ينزل قوم من الذين عاينوها احياء (١)

(١) انه في كل هذه المدة لم يكن راحة لابناء السبيل في دمشق لان تعديت الجندية كانت كثيرة لعدم خضوعها للنظام واذ كان اصحابها اولو السطوة لا بسالون عما يفعلون دخل في سلكها كثير من الاهالي ثم انقسمت المدينة الى حزبين حزب انكشاري وحزب

وسنة ١٢٤٧ هـ الموافقة ١٨٢١ م ابتدأت الحوادث المهمة والانقلابات العظيمة في سوريا وكانت نتيجتها انتقال البلاد الى حكومة مصر وادخال انوار التمدن اليها وكان في هذه السنة والي على دمشق اسمه سليم باشا كان قبلاً صدراً اعظم واشترك في اهلاك الانكشارية في الاستانة وتنظيم العسكر الجديد فهذا الوالي احدث في دمشق ضريبة طفيفة واجبر الاهالي على دفعها للخزينة وفرضها على المخازن والدكاكين وغيرها وحيث لم يسبق لاهالي دمشق عادة ان يعطوا شيئاً عن ذلك حتى ولا عن دكاكينهم وبساتينهم نادوا على واليهم بالعصيان وقصدوا الايقاع به . والذي زاد جراًتهم هو ان هذا الوالي عندما اتى دمشق اتى بعسكر منظم فظنوا ان قصد الايقاع بالانكشارية فغاف القوم العاقبة فقصدوا ان يفطروا به قبل ان يتعشى بهم (١)

ولما نار الاهالي على سليم باشا اخذوا يضربون الطبول الكبيرة ويطوفون في انحاء المدينة ولما عرف سليم باشا بانة لا بد من الايقاع به دخل القلعة مع قبيقولي وكانت العداوة بينها عظيمة وشديدة حتى انه لم يمض يوم الا وتحدث فيه مشاجرة وفي بعض الاحيان كانت تغلق الحوانيت ويمر الدم بين النافرين واحيانا كانوا يخربون احياء برمتها وكانت التعديات على اهل العرض والذمة كثيرة جداً وكانت المرأة الحسناء لا تجسر ان تخرج من بيتها بدون ان يجرسها حارس قوي وان لم يكن حارس فتلتزم ان تلبس ملابس رثة وتخفي ظهرها ليظنها من براها حينزبوتها وكان كل صاحب مهنة يصحب اسلحته معه الى محل عمله ليكون على استعداد حتى اذا جد شر ينضم الى حزبه وكان اهل الذمة بحالة يرثي لها وكثيراً ما وقعت التعديات عليهم وكانوا يتكيسون باصحاب السطوة من المسلمين لصيانة انفسهم اما الحكومة فكانت بيد رجل يجلس بباب السرايا بسهوة تفكي باشي فكان ينضي ويمضي بحسب امباله فمن شاء ظلم ومن شاء رحم غير مختش لوم لائم وقد قلت بضاعة المعارف لرواج بضاعة السيوف والعصي

(١) لم يكن للدولة العثمانية وقتئذ مكوس على دمشق سوى مال الجهارك على الداخل اليها من خارج ايالة دمشق لاعلى الصادر منها ويبلغ دخل ذلك نحو الف كيس سنوياً وكان لها على النصارى واليهود مال جزية الراس يزيد وينقص بحسب عدد الاشخاص ومال عنب الكنائس واما المسلمون فلا يدفعون شيئاً البتة وتجموع الدخل لم يكن ينصف على ٢٢٠٠ كيس منها تعاضم

فرقة من جنوده والباقون لبثوا خارجها لعدم وجود علف لهم ولدواهم داخل القلعة واشتعلت نيران الحرب ففاز الاهالي على العساكر الذين خارج القلعة وقتلوا اكثرهم والتجأ الباقيون مع احد ضباط الباشا الاشداء المسى قاضي قران الى الجامع المعلق قرب المناخية وكانوا يحاصرون به وسليم باشا يطلق الكرات على المدينة من ابراج القلعة واخيراً تقدم الاهالي واخربوا السوق الجديد واقاموا مناريسهم وشددوا الحصار واخربوا جانباً من سور القلعة الجنوبي ما يلي الغرب والباشا ثبت في الحصار ولكن لما نفذ ما عنده من المؤونة اضطر الى اكل الدواب فنفدت بدون ان يرى نافذة للفرج فاضطر الى التسليم وطلب التامين من اهل البلد فامنوه فخرج من القلعة الى بيت في العسرونية على انه بينما كان مطبئاً هاج عليه الاهالي ثانية مدعين بانه عامل على مكيتهم لم فدافع عن نفسه اشد دفاع واخيراً تقبوا سفن المحل الذي كان فيه والقوا عليه النار فاحرقوا واخذوا جثته وعرضوها للناس فرجة

اما قاضي قران فبعد دفاع عظيم تمكن من النجاة هو ومن معه وفر سالمًا وعند حدوث هذه الحوادث وقع الخوف على النصارى من تعديات جهالة المسلمين . ولكن علي اغا الخزن اكبتي الذي كان من ذوي الباس والسطوة والبعث عن التعصب وهو من اكبر اغوات دمشق اخذ على نفسه صيانة النصارى واليهود من تعديات الاسافل فصانهم وحفظهم بحيث لم يلحق باحد منهم ضرر ولما قتل سليم باشا اجتمع الاهالي واقاموا حكومة مؤقتة واخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ولكن لحسن حظهم بلغ الدولة تقدم ابراهيم باشا في سوريا فصرفت نظرها عنهم واعدت الجيوش التي هيأتها للانتقام منهم لمحاربتهم وارسلت والياً على دمشق اسمه علو باشا فزال الخوف والهلع من قلوب الاهالي

وبينما كان اهالي دمشق مشتغلين مع سليم باشا كان ابراهيم باشا بن محمد علي باشا يجارب عكاً ولما انتهى منها وساق عبد الله باشا اسيراً الى مصر توجه بجنوده مع الامير بشير الشهابي وعساكر لبنان للاستيلاء على دمشق واتوا

وعسكروا في داريا

واما علو باشا والي دمشق فلما عرف بقدم ابراهيم باشا عليه خرج من دمشق بعشرة آلاف مقاتل من الدماشقة والاكراد فالتقاه ابراهيم باشا ووجه عرب الهنادي على خيالة الاكراد واصدر امره لعساكر النظام ان تقابل جموع العساكر الدمشقية وتطلق البنادق عليها في الجو . فلما التقى العسكران واطلق جنود ابراهيم باشا نارا دائمة جزع الدماشقة لذلك وخافوا لانهم لم يهدوا شيئا مثل هذا من ذي قبل اما الهنادي فتبعوا الاكراد وقتلوا كل من لحقوه منهم . وفي المساء عقد الدمشقيون مجلسا كبيرا مؤلفا من وجوه الاهالي فقرروا ان يقرروا على تسليم المدينة لابراهيم باشا فارسلوا اليه رهطا من جانبهم علي آغا عرمان متسلم القلعة وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموه مفاتيح المدينة ورجعوا وفي اليوم الثاني دخل ابراهيم باشا بمجنوده المدينة من بوابة الله ومعه الامير بشير والامير خليل ولم يوقع باحد ضررا

واقام ابراهيم باشا بدمشق الى ٥ صفر ثم سافر نحو حمص واخذ معه بعض اعيان المدينة وترك بها المعلم بطرس كرامة لترتيب شمس الشورى ولما تمكن ابراهيم باشا من فتح سوريا جعل دمشق عاصمتها واقام فيها مجالس القضاء وجعل علي ولايتها شريف باشا المصري وكان من مساعديه بحري بك وقد كان الاجانب يمنعون قبلا عن الدخول الى دمشق ولكن لما تولى البلاد ابراهيم باشا اخذ يتقاطر السياح اليها . وفي ايامه اناها اول قنصل اجنبي وكان انكليزيا ورفع الراية الانكليزية فوق بيته واتخذ ترجانا له المرحوم نعمة الخضيرية وهو اول ترجان للاجانب في دمشق وكان رحمه الله من اصحاب الوجاهة والذكاء والغنى بين المسيحيين وله شهرة في التقوى وحسن الادارة وقد توفي سنة ١٨٢٨ بعد ان اقام بخدمته بامانة وجد . ومن ثم اخذ يتقاطر قناصل الدول والتجار ويانون بالبضائع الافرنجية ويبيعونها بدون ان يصادفوا معارضة . ودامت حكومة ابراهيم باشا في دمشق الى سنة ١٨٤٠ م . وفي تلك

السنة انت مراكب الدول المتحدة واخذت عكا عنوة بعد ان حاربتها ثلث ساعات فقط فالتزم ابرهيم باشا ان يترك سوريا للدولة العلية فخرج منها وسار الى مصر برا عن طريق العريش . ويوم خرج من دمشق قتل علي اغا الخزناكتي وغيره من الاعيان . ولا يلقى بالمؤرخ ان يتغاضى عن ذكر ما اجراه ابرهيم باشا من الاصلاحات في سوريا فانه اجتهد بامر تعميم زراعة توت الحرير ونشط الصنائع وسعى في ترويج التجارة ووجد الامن في الطرقات وقرر حق التملك ومنع الرشوة والمحاباة وكان يرسل ماموريه الى جهات سوريا ليجهروا الاهالي الذين كانوا قد نسوا الاعمال الزراعية حتى يزرعوا اراضيهم وادخل في البلاد زرع الارز والذيل وادخل دودة القرمز الى غير ذلك من المآثر الحسنة

وبعد ان رحل ابرهيم باشا عن سوريا اخذت الدولة العلية ترسل ولايتها الى دمشق كجاري عاداتها فارسلت اولاً علو باشا المار ذكره وكان السنيور وود قنصل دولة انكلترا الفخيمة رقيباً على اعماله وكان حسن التدبير والسياسة وعلى جانب عظيم من الدعة واللطف والاستقامة فحذب القلوب اليه ونفذت كلته وحصل على اعتبار جميع الناس على اختلاف مذاهبيهم . وقد انتفعت البلاد به . وفي تموز سنة ١٨٥٢ اتى دمشق الهواء الاصفر من جهات الحجاز وهو اول هواء اصفر حدث بهذه المدينة فات به نحو ٣٠ الف نفس وكان وقتئذ صوم رمضان تنهد المسلمين . ولم يتخذ الكرتينيات لانها لم تكن معروفة في سوريا

وسنة ١٨٥٤ انتشبت الحرب بين الدولة العلية بالاشتراك مع الدول المتحدة والروسية فاتي الانكليز واخذوا يعينون اقواماً من دمشق للخدمة فانتظم بخند متهم كثيرون اطعمهم بالاجور الزائفة . (في اواخر هذه السنة ولد مؤلف هذا الكتاب في مدينة دمشق) . وفي مدة هذه الحرب التي انتهت في سنة ١٨٥٦ بعهدة باريز راجت الاشغال بدمشق واي رواج وكثر ربح الاهالي والمرجح ان ذلك من المال الذي صرفته دولتنا فرنسا وانكلترا في الممالك العثمانية

وبعد انتهاء الحرب بين الدول وروسيا حدث بين مسيحيي دمشق حادث

مزعج اشغل افكار مسيحي سوريا اجمع وذلك ان البطريرك اكليمندوس الروم الكاثوليكي اعلن وجوب انتقال حساب كنيسة الشرقي الى الحساب الغربي فهذا الانتقال جعل شغباً في الشعب واحداث اموراً مهمة ليس من متعلقات كتابنا هذا البحث فيها ودامت المجادلات والمناقشات الى سنة ١٨٦٠ م حيثما ثارت الفتنة في جبل لبنان بين الدروز والنصارى وامتدت شرارتها الى دمشق وجرى بها ما جرى من الفتك الذريع بالنصارى وهي المعروفة بحادثة ستين ولي في ذلك رسالة وافية سانشرها اذا وفق المولى

وفي اليوم الثامن من الحادثة اتى معمر باشا والياً على دمشق فارسل المنادين ينادون بالامان ومنع التعدي فخذت الفتنة ورجع كل من الثائرين الى محله وبعد ايام حضر فواد باشا مأموراً مفوضاً من قبل الدولة لاصلاح احوال سوريا بعد ان حضرت مراكب الدول العظيمة الى بيروت لصيانة النصارى وقصاص المتعدين فاتي دمشق حالاً وارسل احمد باشا (الذي كان على دمشق مدة الحادثة) الى الاستانة . ثم اعيد الى دمشق حالاً وقتلوه فيها باطلاق الرصاص وقتلوا معه القائد الذي حضر مذبحه نصارى حاصبيا والبكباشي الذي حضر مذبحه نصارى راشيا

وحال وصول فواد باشا الى دمشق دخل القلعة ونظر النصارى المصابين جياً عراة بحالة تفتت الاكباد وحرارة الشمس تفعل بهم نهاراً وبرد الليل ليلاً فاثربه منظرهم الحزن وابكاه فامرهم بمعينات يومية لسد جوعهم وبأكسية لستر اجسامهم واخذ يلاطفهم بكلام عموي وبعدهم بتحصيل حقوقهم ومقاصد المتعدين عليهم

وفي اليوم الثاني اصدر امره المشددة بجمع مسلوبات النصارى فكانت تجمع بسرعة على انه لم يصر جمعها بترتيب اذ لم تقيد بدفاتر فلم يصل منها الا ما قل واما الجواهر والحلى الثمينة فالبعض ممن نهبها حرزوا عليها واخفوها والبعض باعوها لليهود بالبخس الاثمان . ثم سمح للنصارى بهاجرة الشام فرحل كثيرون

منهم الى بيروت وغيرها من الاساكل وافرغ لمن بقي منهم في دمشق ما يلزم من بيوت المسلمين واسكنهم فيها وكان خرجهم من خزينته المحكومة بانصال وقد وردت لهم مساعدات كثيرة من المحسنين في اوروبا واميركا

ثم انتخب فواد باشا مجلساً للفحص عن قاموا بالثورة فحكم المجلس على بعض من اشتركوا في الحادثة بالقتل والنفي فشنق نحو سبعين رجلاً وقتل بالرصاص مئة واحد عشر رجلاً ونفي بعض الاعيان والعلماء والوجوه ونحو اربعة الاف نفس من العوام ومن كان منهم شاباً ادخل بالسلك العسكري

وبعد ان انتهت امور جبل لبنان على الوجه الذي نراه عليه الآن وراقت الاحوال في دمشق وانعم على النصارى بتعويضات عن مسلوباتهم ومحرقاتهم رجع فواد باشا الى الاسنانة وصار صدراً اعظم وانصرف الفرنسيون ومعتدى الدول وبارجهم من بيروت فاخذ المهاجرون من دمشق يرجعون اليها شيئاً فشيئاً على انه قد استوطن منهم كثيرون في بيروت ومصر والاسكندرية ولايزالون هناك. ثم اخذ نصارى دمشق يبنون كنائسهم ودورهم ودكاكينهم ولم تمض بضعة سنين الا اصبحت احياءهم عامرة. وقد ارتفعت اجور البنائين ومن لهم تعلق بالبناء حتى بلغت اجرة العامل خمسين غرشاً يومياً هذا فضلاً عن ارتفاع اثمان مواد البناء فلحق بالانصارى اضرار بليغة بسبب ذلك

وخلف معمر باشا في ولاية دمشق المرحوم شرواني باشا الذي كان في مجلس التحقيقات عقب حادثة دمشق فاحدث تحسينات كثيرة وسنة ١٨٦٤ تشكلت ولايات المملكة العثمانية فصارت دمشق عاصمة ولاية سوريا ووجهت ولايتها الى مخلص باشا ثم لعهد المرحوم راشد باشا ودام على سوريا ست سنين واجرى بها اصلاحات كثيرة وردع اصحاب التعدي من العربان والنصيرية ودخلت في ايام المبادئ الماسونية في دمشق (وكان ماسونياً) وراجت اسواق المعارف والآداب وكثرت المدارس والجماعات في بيروت. وفي اول توليه كانت الاعمال رائجة والارباح كثيرة وقد احبب الناس حباً شديداً ولم يزالوا

يذكرون ايامه ويتأسفون على فواتها
 سنة ١٨٧١ تولى
 دمشق صبي باشا ثم حالت باشا ثم اسعد باشا ثم حمدي باشا ثم ناشد باشا
 ثم ضيا باشا والي اطنه حالاً وفي غيابه احييت وكالة الولاية لدولتو عزت باشا
 مشير العرضي الهايوني الخامس وذلك سنة ١٨٧٧ م وكانت حرب بين الروسية
 والترك فجرد كثيراً من العساكر من سورية وارسلها الى ساحة القتال ثم
 عين عمر فوزي باشا والياً ولم يلبث ان طلب الى الاستانة وفي اوائل سنة ١٨٧٨
 اتى جودت باشا والياً على سوريا وفي تشرين الثاني طلب الى الاستانة فاقيم وزيراً
 للزراعة واتى مكانه مدحت باشا الوالي الحالي فدخل دمشق يوم الثلاثاء في ٢
 ك ١ سنة ١٨٧٨ ففرح الناس بقدمه لما سمعوا عنه من الاستقامة والدراية واملوا
 الاصلاح في ايامه . ومنذ سنة ١٨٦٠ الى الآن اي نهاية سنة ١٨٧٨ حدث
 بدمشق امور مهمة ففي سنة ١٨٦١ و ١٨٦٢ و ١٨٦٣ كانت الامل بهار ائمة
 والمصنوعات جيدة والذهب كثير بايدي الناس وسنة ١٨٦٤ ذهب الجراد
 فاتفك اكثر مزروعاتها ومنذ ذلك الوقت اخذت الاعمال بالتأخر شيئاً فشيئاً
 والاهالي بالضعف المالي ودخل بينهم روح التفرنج فكاد يهلك ثروتهم وفي صيف
 ١٨٦٥ اتاها الهواء الاصفر فمات به نحو عشرة الاف نفس وسنة ١٨٦٧ الموافقة
 سنة ١٢٨٧ كان غلاء شديد وتوقفت الاشغال ودام ذلك الى سنة ١٨٧١ وهبط
 سعر الحنجر فلحق ضرر عظيم باصحابه وسنة ١٨٧٢ انجبت الامطار فصار غلاء آخر
 واشتد ضيق الاهالي وفي اذار هطلت الامطار والثلوج فسدت الطرقات واشتد
 الغلا حتى بيع جفت الحنطة (٢٥ اقة) بمئة غرش ونيف وكان البعض يأكلون
 بقول الارض لفقرهم . وسنة ١٨٧٥ عاودها الهواء الاصفر واستقام شهرين فمات
 به تسعة آلاف ومئتان منهم ٢٥٠ نسمة من النصاري (واول من مات بهذا الوباء
 امرأة الخواجه نقولا السبط وكانت من الفريديات بالتهذيب والجمال) . وفي
 اوخر ايار في تلك السنة هطلت سيول مفعمة فطاف نهر بردى فاقبلع
 الجسور المتينة وعلت المياه فوق سطح المرجة ذراعاً ونصفاً ودخلت دائرة الحكومة

وسوق الخيل والمحاربية حتى دخلت العمارة فاخذ الصيادون بصيدون الاسماك من اسواق المدينة التي دخلتها المياه . وسنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ اخذت الاحوال تداخرا متصلا بسبب الحروب الاهلية وحروب الروس والدولة العلية حيث غاب كثيرون الى ساحة القتال واسباب آخر دعت الى الفقر عدلنا عن ذكرها حبا بالاختصار . وسنة ١٨٧٨ كانت بدايتها كالتي قبلها على انه في اواسطها وقع الصلح بين العثمانيين والروسين فراجت الاشغال قليلا ثم صار غلاما فيبيع جفت المحنطة بخمسة وسبعين غرشا والشعير بخمسة وخمسين وكانت الامطار في اوائها كثيرة والثلوج متصلة حتى ان الناس لم يروا الشمس مدة شهرين ونصف وقد قال الشيوخ بانهم منذ مدة ابرهيم باشا لم يروا في دمشق امطارا كهذه

وفي الربيع اتى الجراد فالتلف المزروعات الصيفية واضر بالاشجار ثم تبعته مرض ابوهدلان فافنى الابقار

اما الراحة فسائدة الآن في دمشق والاهالي عائشون بالمحبة والالفة مع بعضهم اسفون من جرى حادثة سنة ١٨٦٠ التي سوّدت تاريخ مدينتهم

خاتمة مختصرة

خضعت دمشق للسلطين العثمانيين حتى الآن واول من دخلت في ملكه السلطان سليم الاول ابن بايزيد وهو الذي اخذها من ملوك مصر وبعده السلطان سليمان الثاني ثم بقية السلطين

ولا يخفى انه بعد انحطاط قدر انطاكية العظمية نقل البطارقة الانطاكيون كرسيمهم الى دمشق سنة ١٥٢٩ وقد استوى على ذلك الكرسي كثير من البطارقة الدمشقيين والحلبيين وغيرهم وفي ايام ولاية ابرهيم باشا على دمشق دخل اليها مرسلو البروتستانت وقد انشأوا فيها وفي قراها عدة مدارس . وسنة ١٨٧٢ دخل دمشق الرهبان اليسوعيون واخذوا يشتغلون بنشاطهم المعتمد

الباثنا

في اوصاف دمشق

فصل

في ابنية دمشق

ابنية هذه المدينة شاهقة ملتصقة بعضها ببعض لا فتحة بين الدار والاخرى حتى كان المدينة بناء واحد

وهذه الابنية التي نشاهد ما كابران عالية مبنية بحجارة بسيطة من وجه الارض الى ما فوقه بثلاث اواربع اذرع وما فوق ذلك من لبن او لبن وخشب وكلها مازورة بطين احمر او شيد ولا منظر لها من خارج واما من داخل فهي دور فسجية مزخرفة بانواع الزخارف والنقوش وفي صحنها برك مخفوفة بالدهون وغيره من الاشجار مع كثير من النباتات العطرية ذوات الازهار الجميلة والروائح الذكية . ولنساء دمشق غرام زائد بالازهار فيحرصن عليها الحرص الشديد

ولا تدخل داراً من دور دمشق الا تجدي في حجرها فرشاً جميلاً قيمته بحسب اقتدار صاحبه وهو معمول بحسب الطراز الشرقي اي من مقاعد ومساند وسجادات وبسط وما اشبه على انه في السنين المتاخمة فرش بعض الاغنياء بيوتهم بالاثاث الغربي ولكنهم ابقوا في البيت حجرة فرشها شرقي وفي بعض الدور قاعات رفيعة مدهونة باجل الادهان في وسطها برك يجري اليها الماء بانصال وما يزيد دور دمشق حسناً لطف اهلها العجيب وانسهم الغريب فانهم يستقبلون كل من زارهم بالبشاشة والملاطفة والترحاب والدة ويحفلون به ويعزونه ولا يبدون لديه الا المعروف غنياً كان ام فقيراً ولا سيما اذا كان غريباً عن ديارهم وامصارهم واذا تعرف الغريب باحدهم عرفه بكل اصحابه باقصر وقت فصار كواحد من السكان

اما طراز ترتيب الدور داخلاً في هذه الايام فهو غالباً ايوان وعلى كل من جانبيه حجرة وبقية الحجر تقابل بعضها بعضاً وعليها علال لها نوافذ كثيرة يغشاها الباور يسمونها فرنكات وكل دار لا بد لها من صحن وفي بعض الدور اقبية تحت الارض يضعون بها المؤونات

ومن اشهر دور المدينة القديمة دار عبد الله بك العظم واقعة بطرف سوق الزميرية الشمالي وهي كبيرة جداً وتحتوي على اجل الناعات الشرقية وفيها بضع برك واسعة فلما يوجد نظيرها ويقصد هذه الدار اهل السياحة للفرجة . قيل ان بها ثلاث مئة وستين حجرة بين سفلية وعلوية وقد بنيت منذ اكثر من مئة وعشرين سنة

ومن الدور الحديثة في حي الناصري ما بين باب توما وطالع القبة دار حبيب افندي الصباغ بناها المرحوم متري افندي شاموب وتم بناؤها سنة ١٨٦٦ وهي متسعة جداً مرصوفة بالرخام فيها كثير من الاعمدة المرمرية البيضاء وكثير من المقاصير والحجر والقباعات الجميلة المنخرفة وحديقتها تحتوي على اجل الازهار قيل ان نفقتها بلغت ٢٦ الف ليرة . ولما توفي بانيتها اشتراها حبيب افندي صباغ باربعة آلاف ليرة

ودار المرحوم انطون افندي الشامي وهي اجمل واوسع من الاولى تم بناؤها سنة ١٨٦٦ ايضاً وبلغت نفقتها ٢٠ الف ليرة . ولما زار دمشق ولي عهد امبراطور روسيا سنة ١٨٦٩ نزل بها وشهد بانها احسن الدور التي شاهدها بسياحته في المشرق . وموقعها الى الجنوب من الاولى

ودار يوسف افندي عنبر موقعها في حي المتكئة قال من ساح بلاد سوريا ان ليس هذه الدار نظير على الاطلاق حتى انه يعز وجود نظيرها في اوروبا لانه فضلاً عن اتساعها العظيم وانتظام هندستها وسعة بركها وكثرة مياهها وورصف ارضها بالرخام الملون ثرى جدرانها قائمة على كل دوائرها من رخام ملون منقوش باجل النقوش بنوع لم يوجد له مثيل في دمشق وخلافها الى ان قال

وهذه الدار تستحق الفرجة وامعان النظر لما بها من دقة صناعة البناء والنقش وانما بنقوشها الكثيرة اشبه بقلعة بعلبك وقال غيره ان دار الخواجه عنبر لو احنوت على عظم الحجارة مع ما بها من غرائب صنعة النقش لساغ لنا القول ان بعلبك جد يدق بنيت في عصرنا وقال آخر من لم يمكنه التفرج على نقوش بعلبك الجميلة يقدر ان يستغني عنها بالتفرج على دار الخواجه عنبر . وكان الشروع في بنائها سنة ١٨٦٧ واشتغل بها العملة بضع سنين ولم تكمل بعد لان احوال بانيتها قد تاخرت وما بني منها كانت نفقته ٤٢ الف ليرة ومواد البناء والاجور رخيصة ولو شرع في بنائها يوم بنيت دار المرحوم انطون الشامي المار ذكرها لكلفت ٩٠ الف ليرة ومن عرف رخص مواد البناء في دمشق وبخس اجور العملة علم حالة الدار التي كلفت تلك المبالغ العظيمة

ودار شمعايا افندي ودار الخواجه اسلامبولي ودار الخواجه ازبونا ولم يصرف على الواحدة منها اقل من ٢٠ الف ليرة وكل هذه الدور بحسب اليهود وقد بنيت بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٧٣

ودار سعيد افندي قوتلي بجوار الجامع الاموي من جهة الشمال ودار اخيه مراد افندي بزقاق العواميد نزل بها الكرانديق نقولا الروسي وشهد بها ما شهده ولي عهد المانيا بدار الشامي . ودار حسن آغا البارودي ودار سعادة محمد سعيد باشا وكل هذه حديثة العهد انفتحت عليها المبالغ العظيمة ويوجد دور كثيرة معتبرة اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بالاشهر

وكان عدد دور دمشق بالتقرير الرسمي سنة ١٨٧١ م الموافقة سنة ١٢٨٨ هـ نحو ١٤٦٩٦ دارا لكل الطوائف

اسواق دمشق

اسواق دمشق كثيرة العدد وهي على نوعين مجموعة ومتفرقة وكلها تخنوي على ٦٩٠٠ دكان اما الاسواق المجموعة فيطلق عليها اسم المدينة وفيها اصحاب

التجارة وارباب البيع والشراء الاغنياء وتباع بها الاقمشة والبضائع الثمينة وغيرها
وهي اولاً سوق العلية يعملون بها العلب الخشبية وما اشبهها (٢) سوق الدقاين
وبها يدقون الاقمشة الحريرية (٣) سوق البرورية وهي سوق العطارين تباع بها
السكاكر والمربيات والحلويات وهي سوق جميلة مرتبة (٤) سوق الحبالين تباع
فيها المرس والخيطان والحبال (٥) سوق اليعجبية تباع فيها العبي (٦) سوق
الجفمق ويقال لها السوق الطويلة لطولها وهي جزء من الطريق المستقيم القديم
وبها تباع الديما والعبي والاموال المانيفاتورة التي يستعملها الفلاحون (٧) سوق
القطن وبها تباع القطن والغزل عمل البلاد . وكل هذه الاسواق الا سوق
البرورية على خط واحد ممتد من الشرق الى الغرب (٨) سوق باب الجابية
وفيها تباع العطاراة (٩) سوق السلاح ويقال لها سوق التين ايضاً (١٠) سوق
العقادين وكان فيها عقادون فقط واما الآن ففيها صاغة ايضاً (١١) سوق
الصاغة وهي سوق على حدتها متصلة بالعقادين ولها اربعة ابواب ودكاكينها
مفصول بعضها عن بعض بالواح خشبية فقط (١٢) سوق القباقيب وبها يعملون
القباقيب والصناديق والصواني الجميلة المطعمة بالصدف وهذه السوق تمتاز
عن غيرها بكون سقفها معقوداً بالحجارة (١٣) سوق الخراطين (١٤) سوق
القوافين وبها تباع الاحذية العربية (١٥) سوق الحرير وكان يقيم فيها
باعة الحرير واما الآن ففيها عملة الكنادر وباعة المانيفاتورة (١٦) سوق القليجية
(١٧) سوق النورية ويقال لها سوق الغزولية ايضاً (١٨) سوق الخياطين وبها
باعة الاجواخ والمنسوجات وغيرهم (١٩) سوق باب البريد وهي اجمل اسواق
المدينة كلها واحسنها وبها تباع منسوجات هذه البلاد ومنسوجات بلاد الافرنج
الثمينة ولا تخلو من مئات بل من الوف من الناس وفي وسطها قبة شاهقة قائمة على
اعدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية والكوفية ومن جملتها هذان البيتان
عرج ركابك عن دمشق فانها بلد نذل لها الاسود وتخضع
ما بين جايها وباب بريدها قمر يغيب والف بدر يطلع

(٢٠) سوق العسرونية بها تباع الاواني البلورية والخزفية وهي مكشوفة لا سقف لها (٢١) سوق باب القاعة مكشوفة ايضاً (٢٢) السوق الجديدة وهي مشهورة كباب البريد وبها كثيرون من باعة الجواهر ومن يخبطون الملابس الافرنجية وغير ذلك (٢٣) سوق الاروام وهي سوق الدالين (٢٤) سوق النسوان وهي جزء من سوق الاروام (٢٥) سوق القميلة وبياع فيها النحاس المستعمل وغير المستعمل والاثاث المستعمل والاسلحة وغير ذلك (٢٦) سوق السروجية وتعمل بها ادوات الخيل (٢٧) سوق الزرابلية وقد احترقت منذ عشرة سنين الى الآن اربع دفعات (٢٨) سوق الدرويشية وهي ممتدة من راس سوق الاروام الى باب الجابية جنوباً (٢٩) سوق السنانية وبها قوم يعملون العلب وغيرهم تجاس وصباغون (٣٠) سوق الارز وهي سوق صغيرة متصلة بالبنورية

هذه هي الاسواق المتفرقة فكلية جداً لانه لا بد من سوق او اكثر بكل حي كبيراً كان ام صغيراً ومن هذه الاسواق ما هو مجموع او متصل بعضها ببعض ايضاً كسوق علي باشا الجديدة تم بناؤها منذ اربع سنين وفي راسها الغربي قراة خانة وهي الوحيدة في دمشق وسوق الخيل وسوق الجمال وسوق الخضروية تباع فيها الخضر والفواكه بالجملة وسوق الخمير وسوق الخمايرية وبها يعملون الخماير والصناديق البسيطة للفواكه وسوق المناخية والبوابجية وكل هذه متصلة مشهورة وسوق العمارة وهي سوق طويلة مشهورة تباع فيها لوازم القوت وغير هذه الاسواق مما يطول شرحه وفي راس سوق السنانية الجنوبي سوق تجتمع فيها الوف من الاغنام كل يوم باكرًا فياتي الجزارون ويشترون لوازم يومهم ويمتد من راس هذه السوق الجنوبي طريق متسع مستقيم طوله نحو ميلين يخترق الميدان من الشمال الى الجنوب وعلى جانبيه دكاكين وقهاوى وحواصل الخبطة وهذا الطريق مكشوف وكان مختلف العرض وغير مرتب وفي ايام ولاية المرحوم راشد باشا تحسن وصار صالحاً لسير المركبات وزرع على جانبيه اشجار من الازدرخت على بعد متناسب واعدت الاعنناء بهذه المغروسات يبست ولم يبق منها الا بقية قليلة

جدًا وعرض هذا الطريق بنيف على خمسين قدمًا ففي الوسط طريق للعربات والدواب وعلى جانبها رصيفان من حجارة عرض كلٍّ منهما عشر اقدام وهما لسلك الناس وبين كل رصيف والطريق الوسطى قناة صغيرة مكشوفة عميت لجر الماء صيفًا لرش الطريق الوسطى ولسير الماء شتاءً الى البوابع ولو اعنى بتلك الاغراس بعد راشد باشا لاضى الميدان من احسن اقسام المدينة واجملها وكل الاسواق التي يطلق عليها اسم المدينة مستقيمة عريضة جميلة مرتبة لا ترى الشمس في الصيف ولا الامطار في الشتاء لانها مسقوفة الا ما استثنيناها وكل يوم يرى فيها الوف من الرجال والنساء للبيع والشراء وفي ايام الاعياد الشهيرة تغص تلك الاسواق بمجاهير الناس وارض هذه الاسواق كانت من قبل مرصوفة بحجارة على انه لثمادي الايام تغطت بتراب وكثرة رش المياه عليه صيفًا وتواصل دوس الاقدام صار كبلاط لا يصدر عنه الغبار فلذلك ترى البضائع دائمًا نظيفة وقبل سنة ١٨٦٣ كانت اسواق المدينة ضيقة حيث كان لكل دكان مصطبة امامه وفي السنة المذكورة اعنى المرحوم شرواني باشا بتنظيم طرقات دمشق وتحسينها ورصفها بالحجارة على طراز جديد فاقبلت تلك المصاطب من امام الدكاكين فعرضت الاسواق وتحسن منظرها وما بقي قابل الاصلاح اتمه المرحوم راشد باشا

ولما اصلى شرواني باشا الطريق خارج المدينة من جهة مسجد القصب نقش تاريخ ذلك على سبيل بين مسجد القصب وبرج الروس وقد اثبتناه هنا وهي

بني طرق الهدى رشدي البرايا	وزيرا البس الدنيا جالا
قدارك جلقا من بعد ضعف	فناالت من عدالت اعندالا
والف مجلس التحسين نظما	فعم بنفع الشام ارتجالا
وكلف صالح الافعال سعيا	بصالحها فكان الاسم فالالا
فجدد عندما التاريخ حيا	سبيلا قد جرى عذبا زلالا

اما دكاكين المدينة فكلها عقود وعمات هكذا حذرًا من الحريق وطرارها شرقي على انه قد عمل بعضها يوم تصلحت الاسواق بحسب طراز الافرنج. واستففة الاسواق شاهقة وكلها جملونات خشبية (الأسوق القباقيبية) وفي اسواق المدينة كثير من الجمانات والجمامات والجموامع وقليل من القهاوى

كنائس دمشق وادبرتها

لكل طائفة من طوائف النصارى في دمشق كنيسة او اكثر وكلها (الأ كنائس الميدان) تجددت بعد سنة ١٨٦٠ وقد كانت اكثرها قبل الحادثة عامراً مشيداً وما لم يكن موجوداً انشئ بعدها فاطائفة الروم الارثودكس ثلث كنائس ثنتان في المدينة وواحدة في الميدان فالاولى الكنيسة الكبيرة مبنية على اسم مريم العذراء وتُعرف بالكنيسة المريمية وهي قديمة العهد يظن بان اسمها وُضِعَت منذ ايام ارخاد يوس قيصر المار ذكره وقد كانت عظيمة ولما فتح المسلمون دمشق كانت من القسم الذي استولى عليه خالد بن الوليد بالسيف فاخذها المسلمون واهلواها فخربت ولما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك الاموي كان يلاصق الجامع الاموي كنيسة على اسم مار يوحنا فاخذها من النصارى واطافها الى الجامع ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز استدعى النصارى اليه ان يعرضهم معبداً عوضاً عن الماخوذ منهم فعرضهم بالكنيسة المريمية فعمروها عمارة عظيمة وبقيت هكذا الى ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨ هـ اذ اخرجها المسلمون عند ما ثاروا على النصارى وبعد مدة استاذن النصارى واعادوها كما كانت ثم في سنة ١٤٠٠ م اخرجها تيور كغيرها من عمارات المدينة ثم ارجعت وكانت مبنية من حجارة كبيرة على غاية من المتانة (ولها اقبية كبيرة تحت الارض قتل بها سنة ١٨٦٠ عدد وافر من الذين التجأوا اليها) وكانت تقسم الى كنيستين الاولى على اسم السيدة وجها ايقونة جميلة يسمونها المسكوبية والثانية كنيسة مار نقولا وسنة ١٨٦٠ احترقت الكنيسة المريمية وخربت خراباً تاماً سنة ١٨٦١ شرعوا في تجديدها وعلوها كنيسة واحدة

يبلغ طولها نحو ٧٠ ذراعاً وعرضها نحو اربعين وقد اعلموا ببنائها فانتهت من اجل
 كنائس سوريا ومصر . والثانية كنيسة مار يوحنا الدمشقي وهي على بعد
 قليل من الاولى الى جهة الشمال الشرقي وموقعها في الاسية بناها المرحوم المطران
 ايوانيكوس المساميري الدمشقي بامداد روسيا غنيب حادثة سنة ١٨٦٠ على
 اسم مار يوحنا الدمشقي وقد كانت قبلاً داراً لقسلا تواروسيا ولما ارتد بانيتها
 الى الكنيسة الكاثوليكية التي خرج منها استرجعها الروم بامر الباب العالي مهمة
 المرحوم انطون افندي اللاذقاني وغيره وكان ذلك بعد تكرسها بوقت قصير
 وهي كنيسة صغيرة بلاصقتها مدرسة لطائفة الروم الارثوذكس بناها غبطة
 البطريرك ايروثيوس الحالي اما كنيسة الميدان فموقعها في القرشي تم
 بناؤها في اواخر سنة ١٨٦٢ وهي كنيسة صغيرة وفيها مدرسة للذكور
 ولللكاثوليك تلك كنائس واحدة في المدينة وثمان في الميدان اما كنيسة
 المدينة فكبيرة وموقعها في حارة الزيتون بجانب السور الى الجنوب الغربي عن
 الباب الشرقي كانت قديماً معبداً او ملكاً لليهود القرائين الذين انقرضوا من
 دمشق ثم اشتراها الكاثوليك وفي ايام ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي وضع
 اسمها المرحوم البطريرك مكسيموس مظلوم بمساعدة بحري بك وكان بناؤها
 بين سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٤٠ م على اسم السيّد وسنة ١٨٦٠ احترقت ثم جددوها
 فصارت احسن مما كانت وهي كنيسة الروم في الاتساع او اصغر منها قليلاً على
 انها اشد متانة وقوة وقد أنفق على بنائها مال كثير قيل بانها ثلاثون الف ليرة .
 ومن الذين اسعفوا ببنائها الاسعاف الزائد المرحومان متري شلوب وانطون
 الشامي ولها قبة شاهقة جداً وبجانب الكنيسة دار البطريركخانه وسنة ١٨٧٢ انشأ
 غبطة البطريرك غريغوريوس باحدي زوايا دار الكنيسة من الشرق مدرسة
 متقنة البناء لذكور طائفتهم وفي دائرة هذه الكنيسة حديقة واسعة جميلة
 واما كنيسة الميدان فالاولى في محلة باب المصلي على اسم القديس جاورجيوس
 والثانية في القرشي على اسم سيّد النياح وها صغيرتان بناها المرحوم البطريرك

مكسيوس ايضاً بعد بنائه الاولى ببضع سنين
 وللسريان الكاثوليك كنيسة على اسم مار موسى الحبشي واقعة على الطريق
 السلطاني الى الغرب عن الباب الشرقي على بعد قليل منه وهي صغيرة جميلة
 وبناؤها مدرسة وبطركخانة احترقت سنة ١٨٦٠ وتجدد بناؤها بمساعي المرحوم
 المطران يعقوب الريشاني مطران تلك الطائفة
 وكنيسة مارسركيس واقعة بجانب الباب الشرقي بلصق السور مخصصة بطائفة
 الارمن القدم وهي قديمة العهد جداً احترقت سنة ١٨٦٠ ثم تجددت وفي دائرتها
 مدرسة صغيرة لذكور تلك الطائفة وبقرتها بيت يسكنه مرتببت الطائفة
 وكنيسة السريان اليعقوبيين موقعها في حارة حنانيا بالقرب من الباب
 الشرقي وهي كنيسة صغيرة وقد جددت سنة ١٨٦٠ على اسم القديس جاورجيوس
 وكنيسة الارمن الكاثوليك واقعة امام دير الرهبان العازريين من جهة
 الشرق وهي صغيرة جداً وقد انشئت بعد سنة ١٨٦٠ على اسم القديس
 غريغوريوس وكان مكانها فرن وقد اخرب فيه المؤلف في اول يوم من حادثة ٦٠
 والطائفة البروتستانتية كنيسة تان بنت الاولى منها مسز موط الانكليزية سنة
 ١٨٦٨ . وبنيت الثانية سنة ١٨٦٤ بجهة القس يوحنا كروفورد الاميركاني
 والقس رويصن الانكليزي وفي دائرتها مدرسة للذكور . وفي حنانيا كنيسة
 صغيرة على اسم القديس حنانيا يقال بانها في المحل الذي كان به بيت حنانيا
 اما اديرة دمشق فجميعها مخصصة بالطوائف الباباوية وكلها تحتوي على
 كنائس شهيرة حسنة

اولها دير الآباء العازريين موقعة بين داري الشامي وشلموب وهذا الدير
 متسع مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب ويسمى دير اليسوعيين ايضاً وقد
 كان صغيراً ومنذ ٢٥ سنة بوشر بتوسيعه وبنائه بناءً متيناً فتم في سنة ١٨٦٠
 فدهمه الحريق وكان فيه مدرسة للذكور واخرى للاناث وفي دائرته طبيب يعالج
 مجاناً كل من ياتيه من اي طائفة كانت وصيدليته تعطي الادوية مجاناً ايضاً وعند

تجديده بعد سنة ١٨٦٠ زيد اتساعاً من الجهة الجنوبية وتحسنت كنيسته كثيراً فصارت اجمل مما كانت قبلاً وهندستها بحسب طراز كنائس المغرب ومحرابها متجه الى الغرب وهذا الدير يقسم قسمين قسم للراهبات وفيه مدرسة البنات وقسم للرهبان وفيه مدرسة يومية للصبيان. وراهبان هذا الدير وراهباته الاعضاء الزائد في تربية الاولاد ولا سيما الايتام هذا فضلاً عما لهم من الايادي البيضاء في عمل الخير لانهم فضلاً عن فضائلهم التي ظهرت لحد الآن دون ان يقدر المنتقد ان يرى فيهم بمكبرته عيباً تراهم يبذلون الجهد الجهد والكد الاكيد في ايام الاوبئة والامراض الفتالة في خدمة المرضى والمصابين بنوع يحمل على التعجب والتعجب ويجبر المؤرخ ان يذكر ذلك لئلا يضيع ذكر المحسنين وقد ذكرت ما ذكرته شهادة للحق واجابة لدواعي الذمة

ودير الاءاء الفرنسيسكانيين وموقعة الى الشمال من سابقه على بعد قليل وقد تأسس بحسب ما قيل من نحو ٢٢٥ سنة وتجدد عقب سنة ١٨٦٠ بعد ان اصابه بما اصاب غيره فانسعت دائرته وتحسنت كنيسته المعقودة بالحجارة تحسیناً مهماً واضمحى لها قبة شاهقة العلو في راسها صليب نحاسي كبير. وفي هذا الدير دائرة للرهبان ومدرسة بسيطة وقد انفقوا على بنائه ١٢ الف ليرة على ما قيل ودير مار انطونيوس وهو مقابل الذي قبله من جهة الشمال ويخص بالطائفة المارونية وقد احترق سنة ١٨٦٠ وتجدد بعدها وكنيسته متوسطة الاتساع وهي على اسم القديس انطونيوس البادواني وفي هذا الدير راهبان احدهما الاب الشهير الخوري يوسف كرم

وفي الصاحية كنيسة صغيرة تخص طائفة السريان الكاثوليك وهي حديثة ايضاً. وعلى هذا النمط تكون كنائس النصارى في دمشق سبعة عشر كنيسة اما كنائس اليهود فكثيرة جداً حتى يكاد يوجد في بيت كل غني حجرة كبيرة مفرزة للعبادة العمومية واما الكنائس العامة فعشرة اشهرها كنيس سوق الجمعة

جوامع دمشق

الجوامع في دمشق كثيرة العدد ومتفرقة في كل أنحاء المدينة وتبلغ ١٥٣ جامعاً هذا فضلاً عن مقابر الأولياء الشهيرة والمدارس العديدة التي تقام بها الصلاة وإذا قصدنا ذكرها بالتفصيل ضاق عنها هذا الكتاب فنقتصر على ذكر الجوامع الأكثر شهرة واعتباراً وهي

أولاً الجامع الأموي وهو من أكبر جوامع المسلمين وأقدمها وأشهرها وأجملها وأنقنها بناه أمير المؤمنين ابن عبد الملك ابن مروان كما تقدم وذلك بين سنة ٨٩ و٩٦ هـ وجمع إليه أشهر الصنائع من مملكة المتسعة وإتاه باثني عشر ألف صانع من بلاد الروم أيضاً فأنى عظيمًا جميلًا متقنًا بالنقوش الحسنة والفسيفساء البلورية المدهونة بالوان الدهان الجميلة وانفق عليه مالا جزيلًا لا يقل عن مئتين وخمسين ألف ليرة

وكان في مكان هذا الجامع هيكل عظيم في أيام الأراميين على اسم الهيم رامون وكان لذلك الهيكل مذبح جميل أمر آحاز ملك يهوذا بان يعمل مثله في هيكل سليمان في اورشليم. ثم اتخذ اليونانيون معبدًا لألهتهم وكذا الرومانيون وفي أيام ارخادبوس قيصر الروماني تخرب بعضه فبناه بناءً جميلًا وحواله كنيسة مسيحية على اسم مار يوحنا المهدان ولما فتح المسلمون دمشق دخل نصف هذه الكنيسة بجوزتهم والنصف الآخر وهو الغربي بقي للنصارى فكانوا يصلون فيه وكانت كنيسة مار يوحنا هذه من الكنائس الكبيرة العظيمة جدًا التي لا يوجد لها نظير في سوريا إلا بانطاكية وكانت متسعة جميلة متقنة مزينة بأفضل نقوش البناء وغيره ومحاطة بسور عظيم شاهق جدًا وأبوابها جميلة وعلى عنبة بابها الجنوبي كتابة باليونانية بقلم كبير لم تنزل إلى يومنا وترجمتها بالعربية : ملكوتك ابداً المسيح ملكوت ابدي وسلطانك يمتد مدى الأديار ولما قصد الوليد بناء الجامع لزمه القسم الذي بيد النصارى فطلبه منهم

وعرض عليهم مالا لبناء كنيسة غيره فابوا فاخذوه جبراً وهدمته واذا رأوا ذلك طالبوه بالمال فاجب اعطاءه . وفي ايام خلافة عبد العزيز عرضوا عليه الامر فعوضهم بالكنيسة المريمية ونفقة بنائها من خزينته وقد دهم هذا الجامع نكبات كثيرة وتمدم اكثره بالحريق كما ذكرنا ذلك في اوقاته في الباب الاول فليراجع وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو مئة وخمسين خطوة وله من داخله رواق على جهاته الاربع قائم على اعمدة وسواري متقنة وارضة مرصوفة بالرخام الملون وفي صحته بركتنا ماء على كل منها قبة قائمة على اعمدة متينة وحرمة مستطيل على طول الجامع ويمتد من الشرق الى الغرب وسقف الحرم قائم على اعمدة عظيمة شاهقة وفي وسط السقف قبة شاهقة جداً مغطاة بالرصاص وهي اعلى ابنية المدينة كلها سوى مواذن الجامع الثالث وتري من مسافة بعيدة وعلى راسها هلال عال ويسمونها بقبة النسراعلوها وقيل لانها تشبه النسراكون الرواقين في شمالها ويمينها كاجنحة لها وفي وسط الحرم قبة بغاية الجمال والمهابة وتسمى قبة النبي يحيى وهي قائمة على اعمدة متقنة الصنعة وفيه ايضا اربعة محاريب لاصحاب المذاهب الاربعة بنيت سنة ٧٢٨ وبانيها تذكر المار ذكره

وفي الجامع كثير من الحجر المنحضة بالزيارات منها مشهد الامام علي والحسين وعائشة وغير ذلك مما يستغرق التكلم عن مفرداته صحفاً كثيرة وكل يوم يجتمع به عدد غفير من العلماء والمدرسين والائمة والسامعين والقارئين وله خمسة وسبعون مؤذناً يتناوبون الاذان بمواذنه الثالث باجمل الاصوات وفيه كثير من المصاحف منها واحد بخط عثمان يتبرك به الناس ويقسمون عليه . وفي كل ليلة ينار المسجد بالوف من الفناديل حتى تخال الليل نهاراً اما المواذن الثالث فهي اولاً ماذنة عيسى واقعة بشرقي الجامع لامثيل لها في العلو وتعلو عن قبة الجامع نيف ومئة قدم واذا صعدت اليها يمكنك ان ترى دمشق وما حوّلها من القرى الى بعد شاسع وامامها من الغرب ماذنة اقصر منها

قليلاً ويقال لها الغزالية وهما قديمتان جداً كانتا في زمن الرومانيين واليونانيين على ما ذهب اليه بعض المؤرخين قال البصوري كان بكل زاوية منارة وبنى ذلك اليونانيون للرصد فسقطت الشماليتان وبقيت القبليتان اه . واما الثالثة وهي الشمالية ويقال لها ماذنة العروس بناها الوليد فانت بغاية الاتقان والجمال ومع انها اقصر من سابقتيها تفوقهما حسناً وجمالاً وقد تغزل فيها الادباء وذكروا محاسنها باشعارهم من ذلك ما قاله الفتح بن شهيد لقوم قاسوا حجارة ومساجدها بدمشق

قاسوا حجارة بجاني فاجبتهم هذا قياس فاسد وحياتكم

فعروس جامع جلق ما مثاها شتان بين عروسنا وحياتكم

وقد اشتغل هذا الجامع على اربعة مشاهد في كل جهة مسجد برمقة الحسن

ويحفة البهاء اما ابوابه الخارجية فسبعة ففي جهة القبلة باب العبرانية ويسى باب

الساعات وباب الزيادة قال فيه ابن نباتة

ارى الحسن مجموعاً بجامع جاني وفي صدره معنى الملاحه مشروح

فان يتغالى بالجوامع معشر فقولوا لهم باب الزيادة مفتوح

وفي جهة الغرب باب البريد وفي جهة الشرق باب جيرون وهو اكبر الجميع

ومن جهة الشمال اربعة ابواب احدها صغير يفتح تجاه قبر الملك صلاح الدين

والثاني كبير يفتح الى الكلاسة والثالث اكبر منه يسى باب الفراديس والرابع

الى الشرق ويسى باب السلسلة او باب الكمامية . وفي هذا الجامع كثير من

التحف الثمينة والساعات والمزاويل لمعرفة الاوقات وايراداته وافرة لكثرة اوقافه

ثانياً جامع السنانية وموقعة امام باب الجابية بناه سنان باشا عند ما استولى

السلطان سليم العثماني على دمشق وهو حسن وشهير لوقوعه في نصف المدينة

والجامع المعلق موقعة بين العمارة والحمايرية وهو قديم ومتين

وجامع السويقة وهو قديم ايضاً وشهير على انه قد تخرب بعضه في هذه الايام

وجامع المصلى في باب المصلى بالميدان وهو متسع جداً وقديم ويقال بانه

اول جامع بني في الاسلام بناه ابو عبيدة يوم كان محاصراً دمشق

وجامع الشيخ محيي الدين بالصالحية جددهُ السلطان سليم العثماني عندما
 اتى دمشق ويقصدهُ الناس للزيارة كل يوم الجمعة وهو من اشهر جوامع الصالحية
 وجامع تكية السلطان سليم بالمرجة بناهُ السلطان سليم فاتى بغاية الجمال
 وجامع البدرقية في محلة القيرية بالقرب من الجامع الاموي وهو قديم جداً
 وكان في ايام الرومانيين دار الاسقفية ولم تنزل جدرانهُ القديمة باقية الى يومنا
 وتحسب من اثار المدينة واذا امعنت النظر نحو اليه وانت سائر في الطريق
 ترى اعمدة بغاية العظمة والغلاظ واقعة الآن في الجدران وعددها ليس بقليل
 ومنها يمكنك ان تستدل على اهمية هذا المحل القديم وما كان عليه من الفخامة وقد
 ظن قوم بانه كان قبلاً محل دائرة الحكومة لا الاسقفية الا ان المؤرخين يقولون
 ان دائرة الحكومة بدمشق كانت بباب البريد

وبالاختصار ان معابد الاسلام في دمشق كثيرة جداً فنقتصر على ذكر
 عددها لتبيان فضل المدينة

جوامع لاكثرها منارات شاهقة ١٥٢ . مساجد ٧١ . تكات ١٤ . ترب
 اولياء ومحلات زيارات مشهورة ١٩٤ . مدارس ٢٩ . ومجموع ذلك ٤٧١

حمامات دمشق

اجمع الذين ساحوا في جميع انحاء الممالك العثمانية وبعض الديار الشرقية على
 تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الاتقان والنظام والهندسة وغزارة
 المياه واتقان الخدمة والاكرام والاعتناء ونجس الاجرة بالمغتسل وترتيب حمامات
 دمشق واحد فان الحمام ينقسم الى دائرة خارجية في وسطها بركة مستديرة ينسكب
 فيها الماء من اربعة او خمسة انابيب وحولها مصاطب يتخلع عليها المغتسلون
 ثيابهم ويقدم لهم ما يلزمهم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك ودائرة
 للاستحمام تنقسم الى قسمين خارجي وداخلي ولكل منهما اجران ولكل جرن انبوب
 ماء حار وفي بعض الحمامات لكل جرن انبوبان واحد ماء حار وآخر

بارد اما سقف دائرة الاستحمام فهو عقد ذو نوافذ صغيرة مستديرة يغطيها بلور
وسقف الدائرة الخارجية قبة شاهقة

وعدد حمامات دمشق ٥٨ حماماً متفرقة في انحاء المدينة اشهرها حمام
الخياطين وحمام القيشاني وجدرانه مصفحة بالقيشاني وحمام النوفرة وموقعه بالقرب
من الباب الاموي الشرقي وحمام المسك وهوانقن الحمامات واجملها موقعه في حارة
النصاري جدده بعد سنة ١٨٦٠ المرخوم متري شاموب واصلح قناة مائه. وحمام
الخراب وحمام الناصري في الشاغور. وحمام البكري. وحمام القيرية وحمام الشيخ
ارسلان في باب توما. وغير ذلك من الحمامات المنتشرة في جميع الانحاء

قهاوي دمشق

في دمشق ما ينيف على مئة وعشر قهاوي بين كبيرة وصغيرة. وهي منتشرة
بانحاء المدينة ومن اشهرها قهوة السكرية في باب الجابية. وقهوة الفاحين بالقرب
منها. وقهاوي الدرويشية كلها في الدرويشية. وقهوة العصريونية وهي متسعة كبيرة
موقعها براس العصريونية بنيت منذ اربع سنين. وقهوة المناخلية. وقهوة الجنبينة
بسوق الخيل. وقهاوي العمارة بالعمارة. وقهوة الجاويش بالقيرية. وقهوة الرطل
بباب توما. وقهوة باب السلام. وغير ذلك وثن فنجان القهوة بها بغير سكر
خمس بارات فيقصدها الناس لاجل التسلية والاجتماع بعضهم ببعض

وفيها قهاوي يسمونها كازينات وهي في سوق الخيل والمرجة وفي الصوفانية
خارج باب توما وثن فنجان القهوة عشرون بارة في بعض هذه القهاوي وعشر
بارات في البقية فيقدر الغريب من اي رتبة كان ان يصادف شيئاً من اسباب
الراحة واذا قصد الاختلاط بالناس يجد لطفاً ودعة من يجادتهم وهذا من
دلائل اجماع الاهالي على محبة الغرباء

وفي الاربع السنين الاخيرة تبتدت قهاوي كثيرة في المرجة فصار الناس
يجمعون بها ليلاً ونهاراً في الفصول الثلاث وفي بعضها نهاراً في فصل الشتاء

وكان للهواوي اعتبار كلي في الايام السالفة لان جماعة الانكشارية كانوا يجنبون
بها ويصورون عددهم الحربية فوق الوجاق وكانوا يعتبرون تلك الصور كراية
يحمون عنها وكان من قتل قتيلاً وتوصل الى وجاق القهوة سلم

خانات دمشق

خانات دمشق كثيرة وعددها ٢٩ خاناً متفرقة في انحاء المدينة وهي على
نوعين نوع يختص باصحاب التجارة وهو في المدينة (اي مجموع الاسواق) ونوع
للدواب واواية المكارين وبعض الفقراء وهو متفرق بكل الانحاء
واشهر خانات التجار خان اسعد باشا وهو اعظم خانات الشام بناؤه جميل
من حجارة مدماك ابيض ومدماك اسود وفي صحبه بركة كبيرة مستديرة حسنة
المنظر وفوقها قبة عظيمة شاهقة العلو قائمة على سوارى عظيمة متينة ويقسم الى
قسمين سفلي وعلوي وفي كل منهما حوانيت للتجار بعضها كالفاعات ويقصد هذا
الخنان اهل السياحة للتفرج عليه لما به من الجمال وصناعة البناء ومن الغرائب انه
حوى ادق صنعة من عمل الحجارين وقد اظهر بعضهم الاندهاش من انقان بابه
وجماله وعلى جانبي بابه فستقتان حسنتان يشرب منهما النيسن واذا دخلت اليه
تجد عن يمينك ويسارك سليمان حبرين بوصولان الى الطابق العلوي وفي هذا الخنان
حوانيت اكابر التجار وخصوصاً الذين يتجرون الى العراق العربي وبلاد العجم اما
بانيه فهو اسعد باشا العظم وذلك من نحو قرن ونصف تقريباً . وخان العمود
امامه . وخان سليمان باشا في الحبالين ويقال له خان الحماصة لان تجار حمص
ينزلون فيه وهو ثاني خان اسعد باشا في الجمال والاتساع . وخان الزيت . وخان
المرادية . وخان الخياطين او خان الجوخ . وخان الزعفرانية . وخان الشيخ قطنا .
وخان الجوار . وخان المرادية . وخان الجهرك وكان اولاً مركزاً للجهرك وستة
١٨٦٤ نقل الجهرك منه فاشتراه متري افندي شهاب وعمله سوقاً ثم اشتراه
شعابا افندي والآن يُعرف به وفيه بعض كبار الصيارفة وكل هذه الخانات

قديمة جميلة متقنة . ويوجد خانات غير هذه اعرضنا عن ذكرها
 اما النوع الثاني فاشهر خاناته بسوق الخيل والعمارة وباب المصلى والشاغور
 والعلبية ويمكن الغرباء النزول بها ولا يلتزمون ان يدفعوا اجرة الحجرة اكثر
 من ١٥ غرشاً في الشهر

لوكنات دمشق

ليس في دمشق الا لوكنة واحدة للمرحوم ديتري كره موقعها في سوق
 الخيل وهي جميلة مرتبة لا يلتزم المسافران يدفع فيها يوماً اكثر من خمسين غرشاً

فصل

في اقسام دمشق

تقسم دمشق الى قسمين بالنظر الى القدمية قسم داخل السور وقسم خارجة
 فالاول قديم جداً والثاني بني في العصر الاسلامي شيئاً فشيئاً وهو جزء كبير
 من الشاغور والميدان الفوقاني والتحناني والقنوات والبخصة وحارة الجديدة
 والعقبة والعمارة الداخلية والعمارة البرانية ومسجد القصب وكل هذه واقعة الى
 الغرب وبعض الشمال والجنوب من السور واما الى الشرق فلا عمارة على الاطلاق
 واما بالنظر لما هو معروف في دفاتر الحكومة فتقسم دمشق الى ثمانية اثمان وهي اولاً
 ثمن القيمرية ويدخل فيه حارة النصارى وحارة اليهود . ثانياً ثمن الشاغور . ثالثاً
 ثمن الميدان الفوقي . رابعاً ثمن الميدان التحتي . خامساً ثمن القنوات . سادساً ثمن
 العقبة . سابعاً ثمن العمارة . ثامناً ثمن الصالحية . وكل ثمن يقسم الى احياء

ابواب دمشق

نقدم ان قسماً من دمشق خارج الاسوار وقسماً داخلها فالذي خارج الاسوار
 له مخارج كثيرة العدد لا يعتبرونها ابواباً للمدينة واما الذي داخل السور فله
 ثمانية ابواب وهي قديمة العهد جداً فمن الشمال اربعة ابواب وهي باب نوما جدد
 زكي المار ذكره في ايام السلطان محمد بن قلاوون وذلك سنة ٧٦٤ هـ . وباب

السلام جدد سنة ٦٤١ هـ . وباب العمارة وهو باب الفراديس له تاريخ لم يتمكن من قراءته . وباب البوابجية وهو باب الفرج جدد في ايام سيف الدين ابي بكر بن ايوب سنة ٦٠٦ هـ وهذا الباب مشهور جداً وكانوا يتفاءلون به بالخير وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله

قل ما تشا عن جلق وانسب لها ولا حرج
فالخير واليمن بها وبابها باب الفرج

ومن الغرب بابان الاول باب السرايا بقي كما كان قبلاً الى سنة ١٨٦٢ م عندما اصلحت الطرقات في ايام شرواني باشا فهدم. والثاني باب الجابية جدد سنة ٥٦٠ ومن الجنوب باب الشاغور وهو المعروف بالباب الصغير ومن الشرق الباب الشرقي وهو من زمن الرومانيين كان له على كل جانب باب صغير عمل امامه الاسلام ابراجاً ولها باب آخر من الجنوب قريب من الباب الشرقي وهو مسدود في هذا الوقت ويسميه النصارى باب بولس لانهم يقولون بان بولس الرسول دلي من نافذة فوقه يوم ثار عليه الاضطهاد اما المسلمون فيسمونه باب كيسان

حصون دمشق

اشهر حصون دمشق قلعتها وهي قديمة جداً يظن بانها اسست من بداية العصر الاسلامي وهذه القلعة واقعة غربي المدينة ما يلي الشمال وطلوها من الشرق الى الغرب ٢٣٠ خطوة وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٧٠ خطوة وابراجها عالية جداً حتى يكاد يبلغ علواً ارتفاعها نيف وتسعين قدماً وقد كان قبلاً يسكنها الناس ويقيم بها ملوك دمشق ونوابها وكانت تجنوي على القصور والقاعات المتقنة ودامت كذلك الى ايام ابراهيم باشا واما في ايامنا هذه فاضحي كل ذلك خراباً ولم يبق بها الا مخازن المهمات للعساكر الشاهانية وقد داهمها الخراب مراراً واعيد بناؤها كما ذكرنا ذلك في محلاته. ولهذه القلعة بابان كبيران وباب صغير مردوم وهي بغاية المتانة وحوها خندق عميق تجري فيه المياه ويمر نهر بانباس في

وسطها . وسنة ١٨٦٢م انشأت الحكومة قلعتين صغيرتين واحدة في حارة النصارى في محلة طالع القبة والثانية في الميدان الفوقاني قرب الجزمانية وسنة ١٨٧٣م انشأت محلاً آخر في المرجة عن شمال طريق المركبات المؤدي الى بيروت ووضعت به الذخائر القابلة للاحتراق وهذه المحلات وان تكن صغيرة يمكن ان تحسب من الحصون . وفي دمشق أكثر من عشرة منازل للعساكر الشاهمانية يسمونها قشلاً وكأها بالقرب من سراي العسكرية وتسع نحو عشرين الف جندي بهماتهم

فصل

في مياه دمشق ومنتزهاتها

قيل ان دمشق تشرب من سبعة انهر وكثر لغط الناس بذلك وهذا اكيد على ان هذه الانهر تنفرع من واحد في الاصل وهو نهر بردى وبعد ان تسقي البساتين والمدينة يرجع الفائض منها اليه ويسير به ويصب في بحيرة المرج شرقي المدينة على بعد ١٥ ميلاً منها . ومخرج هذا النهر من جنوبي قرية الزبداني ومن هناك يسير في سهل الزبداني المتسع الخصب وبعد ان يقطعها ياخذ بالانحدار في وادي بردى المسمى بوادي البنفسج ووادي الذهب ايضاً ويمر بسوق وادي بردى ومن هناك تفرق منه شعبة صغيرة تسير في قناة قديمة مخفورة في الصخر لتسقي الاراضي المرتفعة والباقي يسير في ذلك الوادي وتنسكب فيه عين كثيرة فتسقى به البساتين والمخدائق التي على ضفتيه ولما يصل الى قرية الفيجة ينضم اليه نبعها المساوي له في الغزارة . ومن هناك يسير النهر الى قرية بسية وبينها وبين الفيجة على بعد عشرة دقائق من بسية عين الخضراء وما ادراك ما عين الخضراء نبع زلاي لجيني يخرج من سفح الجبل ويسير في قناة قديمة وعلى احد جوانبه مرجة صغيرة كستها يد الطبيعة ثوباً سندسياً والنهر من جانبيها الآخر يزيد جلالاً والجبال الشاهقة حولها تعطياها مهابة حتى اضحت سلواناً للغريب وصفوا للغريب وفي كل اسفاري بسوريا لم ار ماءً كماؤها في النقاوة والجودة . وقد اعثنى الاقدمون

وجروا ماءها بقناة بسية ونقروا تاريخ ذلك على صخر هناك على انه لطول الايام
اندرست احرفه ولم يبق منها الا ما قل جدا

ثم يمر بالاشرفية والجديدة والهامة وعند جسر الهامة ينقسم النهر الى قسمين
علوي وسفلي فالعلوي يسمى يزيد (قال التاجي ان نهر يزيد بسفح الجبل
المعروف بقاسيون بدمشق حفره يزيد بن ابي سفيان (اخو معاوية) والسفلي
يظل اسمه بردى وبالقرب من دمر ينقسم من بردى قسم آخر يسمى النهر الديراني
يسير نحو داريا مارا تحت جسر طريق المركبات المؤدية الى بيروت

واذا سرت مع النهر على طريق العربات وقصدت التوجه الى دمشق
يكون بردى عن يمينك ويزيد عن يسارك يبعد عنك قليلا فعند وصولك الى
جسر الخشب الذي يبعد عن دمر نحو ميل واحد ينقسم نهر ثورا ويكون عن
يسارك ايضا وبعد هنيهة يقسم نهر القنوات ثم نهر بانياس وما يبقى يظل اسمه
بردى اما القنوات وبانياس فيدخلان المدينة في اقنية ويشعبان في دورها
ومعابدها وشوارعها وحماماتها وما يزيد منها يضم الى بردى . والنهر الديراني
نقسم منه شعبة عند وصوله الى داريا وتسير باقنية وتسقي جزءا من الميدان واما
يزيد فيدخل الصاحية ويسقي بساينها ودورها وما يبقى منه يسير فيسقي بعض
القرى واما ثورا فيجوز بين بساتين الشام الشمالية ويسقيها ويدخل منه شعبتان
الى المدينة وما يبقى تسقي منه بعض القرى واما بردى فتحين يدخل المدينة ويصل
الى القلعة يقسم منه نهر يسمى عقربا فيدخل مع بردى المدينة ويدبران ارحية
كثيرة بها وبعد ذلك يخرج من باب توما وتصير المياه الزائدة عن المدينة
تنضم اليها ثم يتفرقان على القرى لسقاء البساتين وبعد ذلك تنضم بقايا جميع
النهر الى واحد يصب في بحيرة المرج وبهذا الاعتبار يقال ان الشام تشرب من
سبعة انهر وهي : بردى . يزيد . الديراني . ثورا . قنوات . بانياس . عقربا .

وقد جمع ذلك بعض الفضلاء بقوله

شوقي يزيد ودمع الصب ما بردا وبان ياس من المحبوب حين بدا

ومدعي قنوات والعدول حكى ثورا يلوم النتي في عشق حسدا
على مغنية بالجنتك جاوبها وخلا مات في خلخالها كهدا

منتزهات دمشق

اجمع الباحثون واهل السياحة على ان دمشق كلها نزهة وعدوها جنة الارض
لنضارتها وكثرة مياهها وبساتينها وحدائقها . واجل اوقات ربيعتها واجمل اشهر
ربيعتها اذارها حتى قالوا : دمشق في اذارها جنة في ازهارها . ومع ان طرقات
المدينة مقحطة لارتفاع الجدران وعلوها والتصاق البناء ترى داخل كل دار
نزهة محصورة واذا صعدت على مرتفع او على سطح ترى الاشجار والبساتين تحيط
بالمدينة من كل جانب احتياط الهالة بالقمر واذا خرجت من ابواب المدينة
لا ترى الا حدائق غناء ومياه جارية واشجار انامية وطبورا مغردة وحنولا جميلة
خضراء ونسبا رفيقا حتى لا تسير بعمل الا وتجذ فيه من اسباب الحظ والانبساط
ما يسرك وينشرح به خاطرک ومع ان كل مكان خارج دمشق يحسب روضة
تجد في كل ناحية جنائن وحدائق خصوصية يقصدها القوم رجالا ونساء المنزهة
فن منتزهات دمشق المرجة والصوفانية والطويلة والصالحية التي قيل فيها
الصالحية جنة والصالحون بها اقاموا

وغير ذلك مما يطول شرحه اقتصرنا بالاماع اليه لشهرته

واذ كانت دمشق بهذه الدرجة من النزهة فيا التدرج قوي في اهلها حسب
السرور والانشراح وصاروا لا يمضي عليهم يوم بدون صرف شيء منه بالنزهة ومنها
كانت غمومهم يتركونها خارج ابواب المنتزهات فيضحون كمن لا هم لهم وربما تعجب
الغريب اذا راهم منصبين على الصفو بهذا المقدار وقال بانهم لقوم كسالى يابون
الاشغال وينفرون من الاعمال ولكن ان بحث في احوالهم واطال الاقامة بينهم
يرى ان لا شيء عندهم ما توهم وما يراه منهم من حسب الانشراح انما هو ناجم عن
امر خدمة الجسد المتعب من الشغل فيالنزهة راحة بعد تعب الاشغال

اما التنزه عندهم فله محلات معلومة وايام معدودة وهي سبع ثلاثات وسبعة سبوت وخمسة خمسة وتبتدي في اوائل شهر اذار عندما تاخذ الاشجار تطلق ازهارها ففي الثلاثات يخرجون الي الصوفانية ويحتمعون على شطوط الانهر التي بها ويزورون الشيخ ارسلان وفي السبوت ينتشرون للتنزه في المرجة الوفا نساء ورجالا وكانوا في الايام السالفة لا يشتغلون في السبوت بل ينتهون وفي الاخمسة يتصدون محلا في جبل قاسيون اسمه الاربعين ويقومون به باسباب الانشراح . واذا دخل غريب دمشق في الايام المذكورة من احدي هذه المحلات يظن بان سكان دمشق نحو مليون نسمة كما انه لو جاز في اسواقها يوم الجمعة او يوم وقفة عيد ظن ذلك الظن نفسه

ومن ايام التنزه العمومية وقت النيروز وبتبتدي في ١٢ اذار فيخرج الناس في ايامه باكرًا الى البراري والبساتين ويرجعون بعد الشروق بوقت قصير

فصل

في تربة دمشق ونباتاتها واشجارها وهوائها

تربتها * الاراضي المحيطة بدمشق جميعها سهول حمراء التربة جيدة فيها كثيرة الخصب واصحابها اولو جد واعناء كلي في امر الزراعة وقد برعوا بهذا الفن وفاقوا به جميع السوريين ومع انهم يزرعون الارض الواحدة في السنة مرارا تراها دائما تاتي بمستغلات متنوعة وذلك لكثرة الجهد وجودة التربة وغزارة المياه ومناسبة الفصول محاصيلها * محاصيل دمشق الحنطة والشعير والباقياء والفضة والجلباء والكرسنة والقطاني والذرة الصفراء والبيضاء والفل واللوبيا والباميا والشمر واليانسون والمصفر والقنب والبندورة والباذنجان الاسود والكرنب والقرنبيط والملفوف (يخناء) واللفت والشوندر والبصل والكراث والثوم والفجل والقلناس والرشاد والارضي شوكي والبطاطا والخيار بانواعه والفتاء والكوسا والبطيخ بانواعه والسلق وغير ذلك وكل هذه الاصناف يكبر حجمها جتا وكثرة محصولها تباع باثمان بخسة جدا وينبت بدمشق ايضا انواع الزهور الشرقية وخلافها مع

كثير من العقاقير الطبية

اشجارها * لكثرة اشجار هذه المدينة اصبحت كلها غياضاً مرتبة ذات منظر
بهي الى الغاية وتقسّم اشجارها الى قسمين مثمرة وعقيمة فالثمرة منها المشمش بانواعه
كالحموي والبلدي والسندياني والكلاي . والتمّاج بانواعه والتوت والنخوخ
بانواعه والذراقرن بانواعه والعنابية واللوز والقراصية والجوز والكثيرى بانواعه
والسفرجل والريمان بانواعه والزيتون بانواعه والكرم بانواعه والآس والتين
والزعبوب والليون بانواعه الى غير ذلك من الاشجار المثمرة وكل اثمار هذه
الاشجار كبيرة الحجم وتباع باسعار بخسة لكثرتها

واما العقيمة فهي الحور والصفصاف والغار والدلب والدردار وكل ذلك
كثير الوجود واكثره يزرع على شطوط الماء للانتفاع باخشابه

هواؤها * هوا دمشق جيد حسن في كل الفصول الا الخريف فان
الهواء فيه يتغير ويصير مضرّاً بالصحة واكثره المياه في دمشق تتولد فيها الامراض
العفنية في ذلك الفصل وفي بعض الاحيان تنفش فيها حميات قتالة يموت بها
كثيرون من الناس وما يساعد امتداد هذه الامراض عدم نظافة الطرقات
والمامل بان الوالي الحالي اجهتوا مدحت باشا لا يغفل عن هذا الامر

فصل

المعارف في دمشق

تلاّت هذه المدينة بنور المعارف في الايام الغابرة ونالت قصب السبق في
مضمار الآداب ولا سيما في زمن الدولة الاموية فقد شاد خلفاء تلك الدولة وغيرهم
المدارس والمكاتب وانفقوا عليها الاموال الجزيلة ووقفوا عليها الاوقاف الكثيرة
فانصبّ اهلها على العلم فافلحوا وتبع منهم جم وافر من العلماء الاعلام ممن افتخر
بهم المشرق على انه لكثرة ما طرأ عليها من الحروب والتقلبات السياسية دالت
دولة العلم فيها فاهتت مدارسها وتشتت شمل مكاتبها . ولكن لما ظهرت تباشير
الامن في الايام المتاخرة عزم بعض ذوي الفضل الذين لم تخل دمشق منهم قط

على ارجاع شوكة العلم وتعزيز شأنه واخذوا يبذلون ما بوسعهم لجمع شئيت
المكاتب والمامول انهم يفوزون رغماً على كل مانع يحول دون متصدهم المبرور.
اما عدد المدارس في هذه السنة وتلاميذها فهو كما يأتي مفصلاً

مدارس النصارى

مدارس المذكور تسعة وهي مدرسة الروم الارثوذكس وكلها يومية تدرس
فيها العربية بفروعها والتركية والفرنساوية واليونانية والجغرافيا والحساب
وفيها سبعة معلمين ومئتان وتسعون تلميذاً ونفقتها السنوية نحو اربعين الف غرش
تجمع من ابناء الطائفة ومن ايرادات مخصصة بها ولها نشرة سنوية تبين اعمالها .
والمدرسة الانجيلية وتدرس فيها العربية بفروعها والتركية والانكليزية والحساب
والجبر والهندسة واللوغرثمات والفلسفة الطبيعية وفيها ستة معلمين ومئة
وعشرون تلميذاً ونفقتها من مجمع كنيسة اراندا القسوسية . والمدرسة البطريركية
الكاثوليكية انشأها غبطة البطريرك غريغوريوس وانفق عليها ما ينيف على
الف ليرة وكان افتتاحها في غرة اذار سنة ١٨٧٥ وتدرس فيها العربية والتركية
والفرنساوية وفيها عشرة معلمين ومئتان وخمسون تلميذاً ودخلها السنوي من
التلامذة ثلاثة عشر الف غرش ونفقتها ستة وعشرون الفاً والبطريرك يدفع
الفرق من ماله الخاص . والمدرسة الكاثوليكية السريانية وتدرس بها العربية
والفرنساوية وفيها معلم واحد وخمسون تلميذاً . ومدرسة الارمن القدماء
وتدرس بها الارمنية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون تلميذاً . ومدرسة السريان
اليعقوبيين تدرس بها العربية والسريانية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون
تلميذاً . والمدرسة العازرية وهي مدرسة متقنة تدرس بها العلوم الدينية والعربية
بفروعها والفرنساوية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا وفيها ثمانية معلمين
ومئة وستون تلميذاً . ومدرسة الفرنسيين تدرس فيها العربية البسيطة وفيها
معلم واحد وخمسون تلميذاً . والمدرسة الانكليزية اليهودية وهي مخصصة باليهود
وتدرس بها العربية والعبرانية والتركية وفيها ثلاثة معلمين وخمسة وعشرون تلميذاً

والصاري ثلاث مدارس اخرى في الميدان وهي المدرسة الكاثوليكية وفيها معلم واحد وستون تلميذاً والارثودكسية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً. والانكليزية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً وفي جميع مدارس الذكور ١١٤٥ تلميذاً و ٤١ معلماً

مدارس الاناث سبع وهي : مدرسة الروم وتعلم فيها العربية والفرنساوية والحساب والجغرافيا وفيها اربع معلمات ومئة وخمسون تلميذة. والمدرسة الانكليزية وتعلم العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا وفيها خمس معلمات و ١٣٠ تلميذة بعضهم من اليهود. والمدرسة اليسوعية تعلم بها العربية والفرنساوية وفيها اربع معلمات ومئة واربعون تلميذة والمدرسة العازرية وهي اتقن مدارس الاناث بدمشق وفيها خمس مئة بنت واربع عشرة معلمة. والمدرسة الانكليزية الاسلامية انشئت سنة ١٨٧٨ وفيها معلمة واحدة وخمس وثلاثون تلميذة. ومدرسة الكاثوليك في الميدان وفيها معلمتان وستون تلميذة. والمدرسة الانكليزية في الميدان وفيها معلمتان وخمس وخمسون تلميذة. وفي الجميع ١٠٧٠ تلميذة و ٢٣ معلمة ونفقة هذه المدارس كلها كل سنة ثلاثة آلاف ليرا نصفها من اهل الوطن ونصفها من الاجانب

مدارس المسلمين

مدارس المسلمين في هذه المدينة كثيرة منها ما هو لدرس العلوم الدينية واللغة والفقهاء ومنها ما هو لدرس مبادئ القراءة اما مدارس النوع الاول فعدد طلبتها نحو ٧٠٠ ولا يمكن الجزم في ذلك لان اكثر العلماء يدرسون في بيوتهم او في الجوامع واما مدارس النوع الثاني فقد احصتها الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ فكانت ٧٤ مدرسة للذكور وفيها ١٣٠٠ تلميذ و ٢٨ مدرسة للبنات فيها ٢٤٩ بنتاً. وللحكومة اربعة مدارس رشدية فيها ٢٥٠ تلميذاً ومكتب حربي استعدادي فيه ستون تلميذاً ومدرسة حربية كلية فيها مئة تلميذ. وفي هذه السنة اي سنة ١٨٧٩ اقام حضرة صاحب الدولة والابيهة مدحت باشا جمعية دعاها الجمعية الخيرية واناط بها امر تعميم المعارف بين الامة الاسلامية فانشأت حالا ثمانية مدارس

مرتبة وفي نيتها ان تنشئ مدارس اخرى للذكور والاناث وقد توارد الطلبة عليها
فبلغ عددهم نحو الف ومئة ونفقة هذه المدارس من اهل الاحسان . وقد انشئ
مدرسة للبنات بلغ عدد تلامذتها ١٥٠ قيل وفي نية ابيته انشاء مدارس عالية
عمومية لجميع الطوائف

مدارس اليهود

اليهود اثنا عشرة مدرسة بسيطة فيها ٣٥٠ تلميذاً ويدرسون فيها مبادئ
دينهم باللغة العبرانية والعلم عندهم في درجة دنية مع انهم اغنياء وفي وسعهم ان
ينشئوا مدارس عالية

الجمعيات الادبية

في دمشق جمعيتان ادبيتان فقط وهما جمعية رباط المحبة وهي فرع من
جمعية اتحاد الشبان المسيحيين بلندن تاسست سنة ١٨٧٤ ومقصدها مضادة
روح الكفر والملكات الردية كالسكر ونحوه وتهذيب الشبان المسيحيين وتقويتهم
في المبادئ الدينية المسلم بها من جميع الطوائف النصرانية ومساعدة المرضى
والمحتاجين ولا تتعرض للامور السياسية على الاطلاق وعدد اعضائها ٢٨ من
قانونيين وكراميين ومراسلين . والجمعية التاريخية وقد انشئت سنة ١٨٧٥
وغايتها البحث في العلم والتاريخ ولا تتعرض للمسائل السياسية ولا الدينية وعدد
اعضائها ينيف على السبعين

مكاتب دمشق

قد ذكرنا انفاً انه كان في دمشق مكاتب شهيرة ولقد لعبت بها ايدي
الخراب فلم يبق منها الا القليل ومن اشهر ما بقي منها الى يومنا هذا المكتبة العمرية
بالمدرسة العمرية بالصالحية فيها كتب نفيسة وكما خط واكثرها نادر الوجود .
ومكتبة الشيخ خالد بالفناوات في بيت الشيخ عمر الحضرة وكل كتبها خط . ومكتبة
عبد الله باشا بمدرسة عبد الله باشا وكتبها خط منها تاريخ الشام لابن عساكر في
ثمانين مجلداً . ومكتبة الاشماسية بمدرسة قرب الجامع الاموي وكل كتبها خط

أما مكاتب النصارى فكان فيها من الكتب العربية واليونانية ما لا وجود
له في غيرها ولكن ذهبها المحرق سنة ١٨٦٠ فلم يبق منها شيء . وسنة ١٨٧٦
سعى الدكتور بطرسن الأميركاني بتأسيس مكتبة عمومية توفى المطائفة الانجيلية
فجمع مكتبة صغيرة حوت كتباً مفيدة ولم تنزل العناية مبدولة في توسيعها وتحسينها

فصل

في صنائع دمشق ونجارتها

وُجِدَتْ الصنائع في دمشق منذ زمان طويل واعتنى بها الدماشقة فافلحوا
وحسبت مدینتهم من الطراز الأول بين مدن الصنائع الشرقية حتى صار اسمها
علماً لبعض المصنوعات المتقنة كما سئرى . ثم سقاها الزمان كما سقى غيرها من
مدن المشرق وتناوبتها النكبات فامست وليس لها من صنائعها الكثيرة الا اثر
بعد عين لان قسماً منها هاجرها والتي رحلت في بلاد الافرنج كصناعة الوشي المسى
عندهم دمسقوا الى الآن . وقسم ركب طريق الفارظين كصناعة السيوف الدمشقية
التي فقدت منها منذ تغلب تيمور عليها . وصناعة القيشاني التي فقدت في القرن
الماضي لانحصار عملها في قوم افناهم الزمان ففويت معهم ولم تنزل مصنوعاتهم الى
الآن شاهدة بذكائهم وحسن اتقانهم لها . وصناعة دهان البيوت وقد فقدت ايضاً
في اواخر القرن الماضي واولائل الحاضر ولم تنزل آثارها في بيوت كثيرة من
المدينة وقد مر على بعضها نيف وثلاث مئة سنة ولم تنزل برونقها كما انها عملت امس
وفقدت ايضاً غير ذلك كثيراً من الحرف مما لا يجدي تعداداً الا الاسف
أما النسج الباقي فيكاد يكفي الدماشقة ويغنيهم عن غيرهم اذا سعلوا في اتقانهم
وترويجه . ويقسم الى خمس حرف اولها النسج وهو اهم عندهم لكثرة العاملين فيه
ولانه محور اعمال المدينة ومصدر تجارتها وثانيها الدباغة وثالثها الصباغة والحداة
ورابعها البناء ومتعلقاته وخامسها الخياطة ولكل منها فروع كثيرة
ولا تقدر ان نعين وقت دخول هذه الصنائع الى دمشق على اننا نرجح انها

كانت قبل الإسلام وإن المسلمين أخذوها عن سكان المدينة الأصليين ونسنتج هذا من بعض الأدلة التاريخية منها أن العرب وجدوا فيها كثيراً من الصنائع المقيمة وقت الفتح وكانت مصنوعاتهما في غاية الاتقان أيام الدولة الأموية وهي أول دولة إسلامية قامت في دمشق . ومنها أن كثيراً من صنائع الدماشقة كالصباغة والبناء وإهم فروع النسيج لم يزل منحصرًا في الأمة المسيحية . هذا ولا يمكن إلا أن نقول أن العرب قد حسّنوا أكثر صنائع دمشق وأدخلوا بعضها حديثاً فمن ذلك عمل القيشاني الذي لا يوجد منه ما هو مصنوع منذ أكثر من ست مئة سنة فلا مرء أنه من مخترعات العرب . على أن البعض حاولوا نسبة اختراعه إلى غيرهم وقالوا أن الروم علموا ما يشبهه وهو الفسيفساء البلورية الموجودة في الجامع الأموي وفي كنيسة بيت لحم الكبيرة وفي قبة الحرم الأقصى بالندس الشريف . وذلك مردود لأن بين الفسيفساء والقيشاني بونا عظيماً في الجوهر والصنعة . وما زالت صنائع دمشق تزداد حسناً وانتشاراً إلى أن فتحها تيمور الفانك في ربيع الآخر سنة ٨٠٢ هجرية فأمن أهلها وقبيل ما قدموه له من نفائس الهدايا مما يصنع في مدینتهم ثم نكث إيمانه بعد عهده وأطلق العنان لرجالهم فتمهقوا المدينة وعثوا فيها وانحنوا في أهلها وأضرموا النار في أرجائها . أما الصنائع فكانت مصيبتها مضاعفة لأنه لم يكتف بها لحرقها من الضرر بخراب المدينة بل اختار كل من كان ذا شهرة فيها وأخذ معه لما قام عنها . وقد ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم صاحب كتاب عجائب المقدور إذ يقول "وبعد أن أمست النار تلعب بانحاء المدينة وتمهلك ابنيتهما الحسنة الجميلة سار تيمور عنها يوم السبت في ٢ شعبان سنة ٨٠٣ قاصداً الجهة الشمالية التي منها أتى وقد أجلى معه بعض الأعيان وأصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين والذين يصنعون السيوف البواتر من أشهرت بهم دمشق" . وبما أن تيمور أجلى أصدق العملة اقتصر الصنائع بعدهم على التقليد وكانت صنائهم تنحط جودةً وقيمةً بتوالي الزمان ولكنها بقيت في المرتبة الأولى بالنسبة إلى صنائع سورية

اما صناعة النسيج فحافظوا عليها كل المحافظة لشدة ازومها وكثرة دخلها
وانساع متجرها ولا سيما في الايام السالفة قبل ان انتشرت البضائع الافرنجية في
بلادنا . وبقيت صناعة نسيج الحرير على غاية الاتقان مع انه لم يحصل تحسين في
آلاتها وسبب ذلك انحصارها في الامة المسيحية التي لا املاك لها بل تعيش من
صنائعها ورخص الحرير في الايام السالفة واقتصار الاهالي على استعمال منسوجاتهم
اما الآن فقد نكبت صنائع دمشق اعظم نكبة ولا سيما صناعة النسيج لسبب
غلاء الحرير وكثرة انتشار البضائع الافرنجية مع عدم متانتها . وهذا مما دعا
الحاذق السيد عبد المجيد الاصفر ان يقاد الاجه بالغزل ليتمكن ابناؤه الوطن
من استعماله ولضيق ذات يده انضم الى السيد حسن الخانجي فامدّه وبعد الجهد
نال مراده وراج عمله بين الخاص والعام واقتدى به بعض العمالة وزادوا عماله
انقانا فاضى نسيج الديما صناعة مهمة يتعيش بها الوف . ومنذ نحو عشرين سنة
استنبط رجل من بيت مرتضى شكلاً جديداً منقوشاً نفشاً جميلاً فراج كثيراً ثم تبعه
السيد درويش الروماني وقاد القلاووظ الافرنجي المعرق بمساعدة الخواجه
جرجي ماشطه على ان النساء ايبس لبسهُ لانه غير مشرف بوسام افرنجي فعدل عن
عمله . ومنذ مدة وجيزة رأى الحاذق الخواجه يوسف الخوام انصباب القوم على
لبس البطلون واحتياجهم الى نسيج خفيف يناسب الصيف فغير وزاد في نول
الديما واتى بنسيج احسن من النسيج الافرنجية وارخص فنال ثناء الجميع ولو اهتم
جميع الصناع اهتمامه في اصلاح صنائعهم لفازوا فوزه واغنى البلاد عن النسيج
الافرنجية في برهة قليلة

اما انواع النسيج فقد قل عددها في وقتنا الحاضر عما كان في بداءة هذا
الجيل وما بقي منها فهو ١٦٠٠ نول الاجه و ٦٥٠ قطني و ٢٢٠٠ ديما و ١٥٠
شالات حرير وشالات غزل و ٢٥٠ كفيات حرير وكفيات غزل و ٥٠ زنار
طرابلسي حرير و زنار طرابلسي غزل و ٥ فوط وملاية حرير وغزل وبوشيه الخ
و ٢٠٠ كرشه وهرمزي وسلطانية ومجتمع هذه الانوال ٥٢٥٠ نولاً

وهذه الانوال مع ما يتعلق بها كافية لتشغيل ستة عشر الف نسمة
 اما صناعة دمشق فلم اطول باع في صنعتهم وكذلك الدباغون ويبلغ
 عددهم نحو خمس مئة نسمة واما التجارون فقد نجحوا نجاحاً مهماً في صناعاتهم في
 الايام المتأخرة حتى صاروا الاعمال الاوربية وفاقوها اتقاناً وكذلك البنائون
 والنحاتون والسرجيون واما الحدادون فاعمالهم متأخرة
 وسنة ١٨٦٠ اجتمع بعض الاعيان وعملوا كرخانة تدير آلتها المياه وانفقوا
 عليها ما لا جزيلاً على انه لعدم حسن غزلها توقف حالها مدة فتناقص ثمن اسهمها
 ولكن في الملك المتأخرة صار تشغيها ويازمها كل يوم من القطن نحو ستين رطلاً
 وفي دمشق صنائع كثيرة اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بما ذكر

تجارها

نجمت تجارة دمشق في الازمنة الغابرة اعظم نجاح وازدادت تقدماً بعد سقوط
 تدمر ونحوها تجارة الهند اليها وجمعت بين متجرا اوربا واسيا لحسن مركزها فصبت
 فيها انهر الثروة وتكفل موقعها الحسن مع الصوايح التجارية ان يعيداهما عامرة
 بعد كل بلية تحيق بها ومصيبة تدهمها حتى اصحبت مع كبر سننها وعظم شيخوختها
 كعروس تنجلي بين مدائن سوريا وبما انها باب الحجاز كان كل سنة يتقاطر اليها
 الحجاج اخواجا من بلاد العم وبرا الاناضول والرومي والعراق وغيرها فتروج
 تجارتها على انه منذ اتصاف هذا القرن اخذت تخط انحطاطاً سريعاً لان قوات
 خارجية ضادتها وتغلبت على مركزها التجاري وسلبته واول نكبة دهمتها نسبت
 عن سير سفن البخار في البحار فخرت تجارتها البرية مع الاستانة
 والروم ايلي وبر الاناضول وغيرها وتحوّل ذلك الى الموانئ البحرية وعندما
 فتحت ترعة السويس حلت باية عظمى وطامة كبرى على تجارة دمشق لانها سلبت
 كل ما بقي لها من التجارة البرية وفتحت باباً قريباً للحجاز فامتنع الحجاج عن الاتيان
 اليها فخرت جداول الذهب الغزيرة التي كانوا يسكبونها بها ذهاباً واياباً حيث
 كان ياتيها كل سنة ثمانية آلاف ونيّف ويتجهزون منها للحجاز وفي اياهم يتجهزون

منها الى بلادهم وياخذون البضائع والاقمشة اما هدايا واما للتجارة واذا انفق كل حاج ٥٠ ليرة يكون ما ينفقه الحجاج سنويا اربع مئة الف ليرة ولا يخفى كم كانت تنتفع دمشق من هذه المبالغ وقد كان كثيرون من اهلها من ذوي العيال الكبيرة الذين لا ثروة عندهم يتعيشون من البيع بالامانة للحجاج او من انزال البعض في بيوتهم . وقد كملت في هذه السنة اضرار ترعة السويس بتجارة دمشق لان ما بقي لها من تجارة العراق فتح له طريق على السويس فتحوّل الى موافي سوريا ومع هذه الاضرار التجارية التي دهمت تجارة هذه المدينة لم يزل لها تجارة متسعة بنسوجاتها وغيرها مع داخية المملكة العثمانية وتجارة قليلة مع الممالك الاجنبية اما ما يصدر عنها من المنسوجات الى الاستانة وازير ومصر وبغداد وحلب وارمينيا وجهات سوريا وانحاء المملكة العثمانية فيبلغ مبالغ عظيمة وفضلاً عنه يصدر عنها الى جهات سوريا كثير من العبي وادوات الخيل والحبال والمواد اللازمة للزراعة والمشمش والتمردين وغير ذلك وما يصدر عنها الى اوربا فهو الصوف والخرق والعظام وبزر المشمش ولها تجارة واسعة مع اهل حوران في الخنطة وغيرها ويصدر عنها كل سنة جانب عظيم من الطحين والبرغل الى بيروت اما وارداتها فكثيرة جداً كالانابي والادوات والغزل والمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية والدودة والنيل والارز والسكر والقهوة وغير ذلك مما يطول شرحه

فصل

في اطوار الدماشقة وبعض عوائدهم

الدماشقة قوم اماناء ذوو شهامة وناموس ودعة وموانسة رقيقو الطباع حسنوا المعاشرة سلبوا النية والطوية كرماء يحبون الغرباء ويكرمونهم ويميلون الى السلام ويرغبون في البسط والانشراح ولو لم يكن في دمشق بعض الاشقياء الذين يسودون اسم مدينتهم بما يفعلونه من الجرائم لساغ ان نقول بان كل اهالي دمشق في مقدمة السوريين في حسن الاخلاق

ملايسهم * كان اهالي دمشق في الايام السالفة يلبسون الملابس الضخمة
ويتعممون رجالاً ونساءً بالعمائم الكبيرة جداً وقد اشبهت ملايسهم وقتئذ في اكثر
الاشياء ملابس الاكراد في وقتنا الحاضر ولكنهم منذ ايام ابرهيم باشا المصري
اخذوا يغيرون زيهم حتى صار لطيفاً حسناً يوافق طباعهم . وفي وقتنا الحاضر
يلبس الرجال القنابيز ويتمنطقون فوقها بشالة او زنار حريري او غير ذلك
ومنذ مدة ليست بطويلة اعناد بعضهم على التسرول وبعضهم لبسوا البنطلون
كالافرنج . واليهود والنصارى وبعض المسلمين يلبسون على رؤوسهم الطرايش
الاسلامبولية واكثر المسلمين يتعممون بعمائم صغيرة لطيفة من قاش الاغابالي
وكانوا منذ عشر سنين يلبسون الطيلسانات الطويلة فوق ملايسهم ولكنهم قد
اخذوا يقلعون عن ذلك ويعتاضون عنه بالباطات وكان قبلاً من الامور المعيبة
ان يطلق الرجل شعر راسه واما الآن فتغير الحال

اما النساء فتكاد تكون ملايسهن واحدة وقد اقلعن عن الملابس القديمة
بالتمام حتى لم يعد لها اثر وعضواً عن تلك الربطات (عمائم كبيرة) التي كانت
توضع على الراس اصبحت رؤوسهن مكشوفة او مغطاة بقاش رقيق جداً ومنذ مدة
اخذن يتبعن الازياء الافرنجية فصرت تراهن كل يوم بزى جديد على انهن مع
كل اجتهادهن لا يقدرن ان يرتبن ملايسهن كالنساء الافرنجيات وقد تولد
فيهن بغض الاقضية الوطنية وصرن يحسبن كل قاش غير موسوم بوسام افرنجي
كشيطان رجيم على انه في المدات المتأخرة لشدة الضيق الذي صادفه رجالهن
تغيرت اميالهن قليلاً واعتبرن منسوجات الوطن بعض الاعنبار وصرن يلبسنها .
ولا تخرج امرأة من بيتها بدون ازار ويسبلن غالباً على وجوههن المناديل لكي
لا يراهن احد

الخطبة والاعراس * اختلفت عوائد اهل دمشق في الخطبة والاعراس
فلمسلمين عادة والنصارى اخرى واليهود اخرى
عادة المسلمين . لما كانت عوائد المسلمين لا تسمح للنساء ان يظهن على

الرجال حتى ولو كانوا من افاريين ازم عن ذلك انه اذا قصد رجل ان يتزوج
يجتمع بعض نساء عائلته المتدمات في السن ويذهبن ويفتشن له على عروس
فلما يجدن ما يناسبه ياتين ويخبرنه فيرسل بعض رجال عائلته ليخطبوها له من
اهلها وعندما يقر القرار بين الخاطبين على المهر الذي يكون للعدراء من ٢٥٠
غرشاً الى ٥٠٠ ليرة يكتب الكتاب (العقد) في بيت اهله بحسب الشريعة
ويقدم لمن يحضر من الخاطبين والشهود شربات بسكر صيفاً وشراب القرفة شتاءً
وبعين وقت الزفاف في تلك الجلسة التي تكون غالباً في الليل . ومن ثم يشرع
اهل العروس في تجهيزها . اما جهازها فهو اثاث لبيت رجلها وبعض ملابس
خصوصية لها وقبل الزفاف بيومين ينقل الخالون الجهاز الى بيت العريس على
رؤوسهم وظهورهم ليراه الناس في الاسواق والازقة ويوم الزفاف يذهب نساء
من بيت العريس وياتين بالعروس ثم ارا مصحوبة ببعض نساء عائلتها وفي المساء
تقوم الافراح في بيت العريس وياتي اصحاب العريس واقاربه ويتعشون ويذهبون
به الى بيت آخر ويلبسونه لباس العرس وفي وقت العشاء ياتون به باحتفال
والشبان امامه يضحون ويهزلون ومعهم المشاعل ولما يصلون الى باب الدار تستلم
العريس الماشطة (مديرة العروس) وتسير به الى الحجرة المعدة له وهو مطرق
بنظره الى الارض وهناك تكون عروسه مزينة تنتظره . اما افراح العرس فهي
للنساء وغالباً تكون سبعة ايام . وفي صباح ليلة العرس يقدم العريس الى عروسه
هدية بحسب اقتداره يسمونها صحبة ويخرج الى السوق مالئاً جيبه ملابساً يهديه
من يهنئه ويبارك له

عادة النصارى . كان النصارى في ما سلف كالمسلمين لا تظهر نساؤهم
على رجالهم فكان اختيار العروس عندهم كاختيار المسلمين وهذه عادة مضره جدا
بالنظر الى الامة المسيحية التي لا تطلق عندها وكم ابنة شنيعة المنظر سيئة الطباع
تزوجت بجهال اختها لانهم كانوا يرون الخاطبات الجميلة ويبدلونها وقت
العرس بالشنيعة الى غير ذلك من الاعمال المضره بالراحة واما في هذه الايام

فقد تحسنت الحال نوعاً وصار الخطيب قادراً ان يختار الفتاة التي تناسبه وهي تكون بالخيار ان تقبله او ترفضه

اما هدية الخطبة في هذه الايام فليست مربوطة بشرط او عادة فان منهم من يعطون الخطيب ومنهم من ياخذون منه . اما العرس فكان منذ اربعين سنة سبعة ايام متوالية وكان ياتي المدعوون بهدايا يسمونها حمولة واما في وقتنا الحاضر فقد ألغي ذلك بالتام ثم صار ثلاثة وبعد سنة ١٨٦٠م صار يوماً وليلة وفي هذه السنين المتاخرة صار ليلة واحدة

العرس . يدعى المدعوون قبل العرس بسبعة ايام باوراق ويأتون بيت العريس يوم الاحد مساءً وتأخذ آلات الطرب تعزف الى الساعة الرابعة او الخامسة فيذهبون رجالاً ونساءً لياتون بالعروس والشموع في ايدي الرجال (قد كان لا يسمح للعذارى ان يذهبن لياتين بالعروس على انه منذ اربع سنين سمح لهن بذلك) وحين يصلون الى بيتها يجدون الباب مغلقاً فيطرقونه ولا يفتح لهم بسهولة وهذه عادة قديمة ومعناها ان العروس عزيزة على اهليها وعندما يسمعون ويفتح الباب يدخل الاشبين اولاً (وكيل العريس) ويكرم البواب بدراهم ثم يدخل الناس فيستقبلون احسن استقبال وبعد ان يلبثوا نحو ساعة يبسطوا اشراج وشرب يوزع وكيل العريس شمعاً على الرجال الذين في بيت العروس ثم تغطي العروس بازار ويذهبون بها الى بيت العريس بالاغاني والتراتيل والرجال تتقدم النساء كما اتوا وحينما يدخلون البيت تلبث النساء مع العروس في حجرة واحدة وبعد هنيئة نصير صلاة الاكليل وبعد ذلك يحيط النساء بالعروس ويجلبنها برقص وغناء والشموع بايديهن ثم يذهبن بها الى حجرة المائدة وتكون عليها المآكل الفاخرة من الحلوى والفواكه وما شاكل وبعد ان ياكل جميع الحاضرين يذهب بالعروس الى حجرة معدة لها ولعريسها ثم ياتونها بعريسها وياخذون بالانصراف ولا يبقى من المدعوين الا بعض النساء اللواتي هن اشد قرباً للعريس مع والدة العروس وفي صباح ليلة العرس يقدم

العريس هدية لعروسه بحسب مقدرتيه . وفي يوم البطالة الاول بعد العرس يجتمع الرجال من اهل العروس ويأتون بيت العريس لزيارة عروسهم والتبريك لها وهذه الزيارة يسمونها سلاماً وتُصرف غالباً بالانثاني والبسط . وفي أول بطالة بعد هذه الزيارة يذهب العريس وعروسه واهله معه الى بيت عروسه ليلاً لرد الزيارة فتصير ليلة ذات بسط وحظ وفي نهايتها يضعون ما كلاً ومشرباً ثم ينصرف الجميع .

عادة اليهود . نظراً لما عند اليهود من الحرية الكاملة اضحي امر اختيار العروس على الشاب من اسهل الامور على انه عندما يقصد ان يخطب فتاة يسأل اهلهما عما لها من المال او ما يريدون ان يهبوها فان وافقه خطبها والا فلا ويعطي العريس عروسته علامة الخطبة في الجنيينة غالباً اما اعراسهم فممزوجة من عوائد النصارى والمسلمين ولذلك لانزوم الى سردها عوائد الدماشقة في احزانهم

عندما يحل المصاب في بيت ينعي اهل المتوفى واصحابه فيأتون ويلبسون ملابس سوداً اما النساء فيجملن شعورهن وياخذن في انواع النحيب وبعضهن يبالغن في ذلك حتى يسببن ضرراً لذواتهن واقرب الناس الى الميت يلبسون الاسود حزناً عليه مدة طويلة

فصل

في حكومة دمشق ومتعلقاتها

كانت دمشق قبل سنة ١٨٦٤ مركز الولاية المنسوبة اليها على انه منذ تلك السنة صارت مركزاً للحكومة سوريا وفيها يقيم الوالي ومشير العرضي الهايوني الخامس والى مجالسها تعود المسائل الاستئنافية من انحاء الولاية (الا التجارية فانها تستأنف الى بيروت) وفيها مركز ضابطة سوريا ويقوم بها قناصل الدول اما ولاية سوريا فتقسم الى متصرفيات والمتصرفيات الى قناصميات ومدريات . اما واردات خزينة الولاية فهي بحسب نشرة الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ

٦٧٥٤١٩٢٦ غرشاً ومصرفها ٢٤٩٥٨٩٢٢ فالدخل يزيد عن المخرج كثيراً ولكن لالتزام الخزينة بالقيام بالمصاريف الحجازية وسوء الادارة الناتجة من عدم استقامة بعض المأمورين وقعت الخزينة تحت ديون بأهظة جداً تبلغ نحو ٦٠٠ الف ليرة وهذه الديون تُعرف بالسراكي وقد استدانها من الاهلين ثم تمتعت عن دفعها فلحق الخراب باربابها ومن عرف ولاية سوريا وطاف بلادها ونقص احوال بعض مأموريها يحكم حكماً جازماً بان ايرادات الخزينة لو حُفِظَت لكانت مضاعف ما يصل اليها الآن وهذه حالة تقتضي بالانتباه والتيقظ فان رامت الحكومة اجراء الاصلاحات في بلادها لا يجب ان تهتم للمصاريف اللازمة لذلك لان ضبط الاموال بواسطة الرجال الامناء يوافيها بزيادة دخل تفوق ما نلتزم لزيادته في اجور مأموريها وبزيادة العمران الذي يتبع الاصلاح يزداد الدخل لان سوريا بلاد ذات ثروة طبيعية يستبعد الحصول عليها الا باجراء الاصلاحات اللازمة كاستقامة المحكام وحفظ النظام وما اشبه ذلك

نثریات

كل سنة في نصف شوال يسافر حجاج المسلمين من دمشق الى مكة المشرفة باحتفال عظيم ويرجع اليها في النصف الاخير من شهر صفر باحتفال ايضاً في ايام رمضان ولبالي الاعياد الاسلامية تزين مآذن دمشق بالمصابيح معدل الاغنام التي تذبج بدمشق كل يوم ٢٨٠ رأساً . ومقطوعية المدينة كل يوم من المحنطة ٢٣٠٠ كيلة ومن الشعير ٥٠٠ ومن الذرة ٥٠٠ مدت طريق المركبات بين بيروت والشام سنة ١٨٦٠ وكذلك التلغراف في دمشق خمس مصابن كبيرة واحد عشر معمل نشاء و٣٢ محلاً لطبع الاقمشة واربع مناكن للاقمشة وثمانى عشر مصبغة ملونة وخستخانة عسكرية . وثلاثة مسالخ . ومطبعة حجرية للعسكرية . ومطبعة اعنيادية للحكومة يطبع بها جرنال سوريا وهو الرسمي . ومطبعة حجرية للحكومة * ومياه دمشق فيها خاصة لدفع مرض الجذام فلا يصيب اهل دمشق والغريب الذي ياتيها مصاباً به لا يزيد مرضه

الباب الثالث

فصل

في من مات بدمشق من الصحابة

ابو الدرداء الصحابي الخزرجي * ولاة الامام عمر القضاء بدمشق ومات
بها في خلافة الامام عثمان وقبره معروف بباب الصغير

اوس بن اوس الثقفي * نزل دمشق ومات بها في خلافة عثمان
بلال الحبشي بن رباح * مولى ابي بكر الصديق ومؤذن النبي . صلعم
حضر مع عمر فتح القدس واختلف في محل دفنه فقيل دفن بحلب وقيل بداريا
وقيل بدمشق بباب الصغير

سهل بن ربيع الانصاري الصحابي * سكن دمشق ومات فيها في ابتداء
خلافة معاوية ودفن بمقبرة باب الصغير

شعون الصحابي * شهد فتوح الشام وكان من كتاب دمشق وفي باب
الصغير بارض الشاغور ضريح يُعرف بشعون فيحتمل ان يكون هو
فضالة بن عبيد الصحابي * سكن دمشق وولي قضاها لمعاوية مات
بدمشق ودفن بباب الصغير

آثلة بن الاسقع * شهد فتح دمشق ومصر ثم نزل الشام ومات في خلافة
عبد الملك بن مروان سنة ٨٢ ودفن بباب الصغير وقبره معروف بزار

قال المحافظ بن طولون وقبلي باب الصغير قبة بلال بن حمزة وثلاث
من ازواج النبي (صلعم) وقبر فضة جارية السيدة فاطمة الزهراء وقبر ام الدرداء
هؤلاء كلهن في تربة واحدة ونقل في كتاب الاشارات في الزيارات ان قبر السيدة
زينب بنت الامام علي بن ابي طالب بمقبرة باب الصغير بزار ويقبرك به . وقبر
سكينة بنت الحسين بتربة القنادرية داخل القبة . وقبر السيدة فاطمة ابنة الامام

علي ايضاً بقبرة باب الصغير عليه بناء معروف يقصد للزيارة . والمعروف عند
اهل دمشق ان قبر السيدة زينب ابنة الامام علي في تربة نسبت اليها يقال لها
الآن قبر الست

ابي بن كعب بن قيس الخزرجي * قيل انه دُفن بالمدينة وقيل بدمشق
وهو المشهور . قبره الآن خارج دمشق قرب باب شرقي عليه قبة عظيمة يزار
ويتبرك به

سرحيل بن حسناء * قال الصوري في ظاهر دمشق خارج باب توما
بالقرب من ضريح العارف بالله الشيخ ارسلان ضريح اشهر انه ضريحه وفي ناحية
الغور قبر عليه قبة اشهر ايضاً انه قبره وما يدري ايها الصحيح
ضرار بن الازور الاسدي * مات بدمشق ودُفن خارج باب شرقي
وقبره معروف

خولة بنت الازور * اختم ضرار المذكور حضرت فتوح الشام ماتت في
دمشق ودُفنت خارج باب توما بالقرب منه وقبرها مشهور يقصد للزيارة
اما الجهة الشمالية ففيها قبر ابي الدحداح واما غربي دمشق فلم يدفن فيه
احد من الصحابة

(ذكر من دُفن من الصحابة في قرى دمشق)

قرية المنع غربي دمشق فيها قبر رضية الكلبي الصحابي المشهور
قرية مرانة نواحي داريا دُفن فيها تميم الداري بن اوس بن خارجة
حرملة بن يزيد الصحابي الانصاري * دُفن بالقرب من قرية جوب
سعد بن عباد الخزرجي الصحابي * جاء الشام ومات بها سنة ١٤ في
خلافة عمر ودُفن في قرية الملقاء وقبره معروف يقصد للزيارة
السيدة زينب ام كلثوم ابنة الامام علي * ماتت في الشام ودُفنت في قرية
راوية (هي قبر الست) وفي نهاية العشر الاول من محرم كل سنة يخرج الشيعة
لزيارتها ويندبون اهل بيت النبي صلعم

مدرك الفزاري * قدم مع ابي عبيدة بن الجراح في فتوح الشام وتوفي
بقرية راوية المذكورة ودُفن بينها وبين حجيرة من غوطة دمشق
ابو مرشد كنان بن ربوع * دُفن في طريق عقربا قبلي فديا قال
الواقدي مات سنة اثنتي عشرة

فصل

في ذكر من مات واشتهر بصلاحه بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين
ابو البيان بن محفوظ القرشي * من ابناء الطائفة البيانية المنسوبة اليه
بدمشق كان اماما عابدا ورعا يعرف اللغة والنحو والفقه اخذه عن شيخ البطايع
وكان معاصرا للشيخ ارسلان واليهالة وله تاليف كثيرة وتعاليق وطرق واذكار
واشعار ربانية وزهدية وكان هو والشيخ ارسلان مجاورين في المسجد الذي عند
الباب الشرقي مات سنة ٥٥٥ هـ ودُفن بباب الصغير وقبره معروف بزار
ويتبرك به

ابن عساكر بن حسين بن هبة الله * هو الفخر المحافظ الكبير ابو القاسم فخر
الشافعية وامام اهل الحديث الف تاريخ الشام في ثمانين مجلدا وله تاليف غير
التاريخ بلغت ثمانية وعشرين مصنفا توفي سنة ٥٧١ هـ ودُفن بباب الصغير
شرقي المحجة التي فيها معاوية

ابن قيم الجوزية الحنبلي * هو محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي النحوي المفسر المذنب في علوم كثيرة وله مصنفات عديدة في فنون
كثيرة مات سنة ٧٥١ هـ ودُفن بقبرة باب الصغير تجاه المدرسة الصابونية وبني
على قبره قبة

ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين * هو زين الدين بن رجب الامام
الاصولي المحدث الفقيه والواعظ الشهير كان اماما في الفنون وله مصنفات كثيرة
منها شرح البخاري وشرح الاربعين النووية وطبقات الحنابلة والقواعد ورياض
الانس وغيرها مات بدمشق ودُفن بباب الصغير عند قبر معاوية

ابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق * كان اماماً ورعاً عارفاً بالصحابة
ورجال الحديث مات بدمشق ودفن بباب الصغير غربي معاوية وقبره على الطريق
احمد ابو العباس المغربي * شيخ المالكية بدمشق كان اماماً بارعاً مات
بدمشق ودفن بباب الصغير بين بلال الحبشي والشيخ حماد

اسماعيل بن علي المفتي المعروف بابن الحائك * العالم الاصولي انتهت اليه
الرئاسة والافتاء مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي اوس الثقفني
بدر الدين بن جمال الدين بن مالك * المشهور العالم العلامة النحوي
اللغوي الصوفي المحقق الشافعي مات بدمشق سنة ٦٨٦ ودفن بباب الصغير
الحافظ الذهبي * شمس الدين صاحب التاريخ المشهور اخذ الفقه عن
الكمال الزمكاني وابن قاضي شعبة مات سنة ٧٤٨ ودفن بباب الصغير وتاريخ
وفاته لفظة الذهبي

الشيخ عمر بن حسن الخرقني * من تابعي اصحاب الامام احمد ومن تلمذ مذهب
المعتبرين ومن المعول عليهم بالفقه كان زاهداً عالماً فاضلاً بالليل رحل من بغداد
وسكن بدمشق فرأى يوماً منكرًا فأنكره ونهى عنه فقتل لاجل ذلك ودفن
بباب الصغير منابل الجراح

عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع المفتي * هوناج الدين المصري الدمشقي
العالم العلامة المعروف بابن فركاج تفقه وبرع في مذهب الشافعي وهو شاب
وكتب في الفتاوى وكانت تاتي من الاقطار وتصانيفه كثيرة مات بدمشق سنة
٦٩٠ ودفن بباب الصغير

عبد الله بن عمر العجاوني الكنفي النحوي * فاق اهل عصره في علم النحوي
ولد في عجلون ورحل الى دمشق واشتغل في العلوم ودرس وافاد وانتفع به الجسم
الغفير مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي بلال الحبشي

محمد علاء الدين بن علي الحصني الاثري الحصكفي الفقيه الواعظ
المحدث المفتي الكنفي له تاليف في الفقه وغيره منها الدر المختار في شرح تدوير

الابصار وشرح الملتقى الذي شاع ذكره في الامصار وشرح المنار في الاصول
والنظر في النحو واخصر الفتاوي الصوفية وله تعليق على تفسير البيضاوي وله
مؤلفات آخر غير ذلك توفي سنة ١٠٨٨ ودفن بقبرة باب الصغير

كعب الاحبار (ض ٤) * من اكابر المحدثين روي عنه اشياء كثيرة وعولوا
عليه وحصل له اعظم اعتبار عند المسلمين قال الهروي مات في دمشق ودفن
بباب الصغير

محمد اليتيم * العارف بالله الشافعي الصوفي مات سنة ١٠٠٥ ودفن
بباب الصغير بقرب نصر المندسي

محمد بن محمد بن سلطان الحنفي * شرح الكاثر ومات بدمشق سنة ٩٠٥
ودفن بباب الصغير بتربة القلندرية

نصر المقدسي ابن ابراهيم النابلسي * شيخ الشافعية بالشام مات سنة ٤٩٠
ودفن بباب الصغير بجانب ابي الدرداء (١)

سيدنا ارسلان * ويقال له الشيخ ارسلان هو ابن يعقوب بن عبد الرحمن
الجبيري مات سنة ٥٤٠ ودفن بمسجد خالد بن الوليد وقبره معروف بقصد
الناس للزيارة ويتركون به وعند الشيخ ارسلان مقبرة كبيرة دفن بها بعض من
اهل الفضل والصلاح

نقي الدين بن الصلاح * هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري
كان مفتياً في مذهب الشافعية اماماً في التفسير والحديث والفقهاء متبحراً
في الاصول مات في دمشق سنة ٥٤٢ ودفن بمقبرة الصوفية بطرفها الغربي على
الطريق

(١) يقال ان بباب الصغير قبور جملة من اهل البيت وغيرهم كقبر سهل بن حنظلة
وقبر ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق وقبر علي بن عبد الله بن عباس وقبر زوجته ام
الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسين بن فاطمة الزهراء وقبر خديجة بنت زيد
العابد بن هولاء في تربة واحدة وقبر سكينه بنت الحسن وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي
طالب وبها قبور كثيرة لم تعرف لما قيل بان مقبرة باب الصغير حُرثت وزُرعت نحو مئة سنة

ابن عساكر * هو الفخر شيخ الشافعية بالشام كان زاهداً عابداً منقطعاً
للعلم والعبادة مات بدمشق سنة ٦٢٠ ودفن بمقابر الصوفية مقابل قبر ابن
صلاح

ابراهيم بن عبد الرزاق * الحنفي المحدث الفقيه شارح القدوري مات
بدمشق سنة ٨٠٩ ودفن بمقابر الصوفية

ابراهيم بن سليمان الحموي * من علماء الحنفية شرح الجامع الكبير في ست
مجلدات وشرح المنظومة في جلد بن ولم يُعرف تاريخ موته قال العدوي مات
بدمشق ودفن بمقابر الصوفية

مسعود بن محمد النيسابوري * الامام البارع الشافعي انفرد برئاسة
الشافعية وكان فصيحاً بليغاً مات سنة ٥٧٨ ودفن بمقبرة الصوفية

احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام * المعروف بابن تيمية الحنبلي ولد سنة
٦٦١ وبرز وافتى ودرس وصنف التصانيف البديعة الكثيرة سرد الامام
صلاح الدين الصفدي اسماها في ثلاث اوراق كبار وجرت له من كثرة الى ان
توفي مسجوناً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ ودفن بمقبرة الصوفية

يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ المزني كان اماماً عالماً
علامة ولد سنة ٦٥٠ وله تصانيف جميلة منها تهذيب الكمال في اساء الرجال
في ثلاثة عشر مجلداً واطراف الكتب السنية في خمسة مجلدات وله امال وفوائد
وشعر حسن توفي سنة ٤٤٣ ودفن بمقبرة الصوفية غربي قبر ابي تيمية

عماد الدين بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي كان عالماً بالاصول
والمحدث وصنف التصانيف البديعة مات سنة ٧٧٤ ودفن بمقبرة الصوفية
عند شيخو ابي تيمية

ابو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسمعيل المقدسي ثم الدمشقي
الامام العلامة الفقيه الشافعي المقرئ النحوي المحدث كتب الكثير من العلوم
وصنف فيها وانقن الفقه ودرس وافتى وبرز في العربية وكان كثير التواضع

مات سنة ٦٦٥ ودفن بباب الفراديس على يسار الداخل من الباب الى مرج الدحلاح

الحسن بن محمد البوريني الشافعي * كان فريداً وقتو في الفنون صنف التصانيف البديعة منها حاشية على الممثل وشرح ديوان ابن الفارض وتحريرات على تفسير البيضاوي وله تاريخ عظيم وله رحلة حلبية ورحلة طرابلسية وله رسائل كثيرة وجمع ديواناً من شعره وكان عالماً محققاً ذكي الطبع متين الحفظ مات سنة ١٠٢٤ ودفن بقبرة باب الفراديس

ابراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي الحنفي العالم المحقق والماهر المدقق شيخ مشايخ الشام له تعليقات منها حاشية على شرح النظر للفاكي وتحريرات على مواطن من التفسير وكان ينظم الشعر الحسن مات سنة ١٠٩٨ ودفن بقبرة الفراديس

ابوب بن احمد بن ايوب الحنفي الخلوقي الصالحى * له تحريرات ورسائل لا يمكن حصرها واكبر ما روي له رسالته التي ساهما ذخيرة الفتح ودونها عقيلة التغريد وخميلة التوحيد و ذخيرة الانوار وسيرة الافكار جمع بين علم الشريعة والحقيقة ولد سنة ٩٩٤ ومات سنة ١٠٧١ ودفن بباب الفراديس

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون * هو قاضي النضاة شرف الدين التيمي الدمشقي كان امام الشافعية في عصره واليه المنتهى في الفتاوى والاحكام (وكان من اكبر تلامذته الفخر بن عساكر) مات سنة ٥٨٥ ودفن بمدرسته المعروفة به قرب قلعة دمشق وقبره يزار

الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي بن محمد بن احمد بن عبد الله امام الصوفية ورب طريقهم ولد بهرسية سنة ٥٦٠ وكان مسكنه في دمشق وظهوره فيها وبها نشر علومه توفي في دمشق سنة ٦٢٨ ودفن بسفح قاسيون وقد اعنى سلاطين آل عثمان باظهار قبره وبنى عليه المرحوم السلطان سليم خان المدرسة العظيمة وبجوارها الجامع المعجور ورتب له الاوقاف الحسان وقد الف بمناقب

الشيخ محيي الدين ومواهبه الامام السيوطي مؤلفاً جليلاً سماه تنبيه الغبي على تنزيه
العربي والنف فيه ايضاً الشيخ عبد الغني النابلسي مؤلفاً حسناً سماه السر المخفي في
ضريح ابن العربي والنف فيه ايضاً كتاباً جليلاً سماه الرد المتين على منتقص
المعارف محيي الدين. والقوم لا ينقطعون عن زيارة الشيخ محيي الدين ويعتبرونه من
اعظم الابرار وفي كل يوم جمعة ترى مئات من الناس حول ضريحه للصلاة والزيارة
ولك محمود * المدعو سعد الدين ولد بمليطه سنة ٦١٨ وتوفي بدمشق

سنة ٦٥٠ ودفن عند والده بسفح قاسيون

العلامة تاج الدين السبكي * صاحب الطبقات جمع الجوامع
والتصانيف المفيدة وتولى قضاء الشام وخطابة الجامع الاموي مات بالطاعون
سنة ٧٧١ ودفن بقاسيون بتربة السباكين المشهورة بهم

الشيخ ابو عمر الدمشقي الصالحى * هو محمد بن احمد بن قدامة المقدسي
الزاهد جمع بين المعارف الالهية والعلوم الشرعية وكان كثير الصلاة ويجمع
المخطب ويحمله للارامل والايام وكان مسموع الكلمة عند رجال الدولة وبنى
المدرسة المعروفة به بالصالحية مع مصنعها مات سنة ٦٠٧ ودفن بالتربة المعروفة
به بسفح قاسيون

الامير الكبير ركن الدين * قال الذهبي كان عفيفاً ديناً كثير الصدقات
مات سنة ٦٢١ ودفن بجبل قاسيون

قاضي النضاة بن خلكان * احمد بن محمد بن خلكان صاحب التاريخ
المشهور المسمى بوفيات الاعيان كان اماماً عالماً فقيهاً نحوياً مات سنة ٦٨٠
ودفن بسفح قاسيون مقابل الرباط الناصري والعمادية

عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود * العالم الرباني الفادري صنف عدة
مؤلفات منها نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحيوان والاحجار
ومنها تسلية الواجم في الطاعون الهاجم . مات سنة ٨٥٦ وقبره مشهور بزمار
* القاضي محمود ابو عبد الله بن مالك صاحب الالفية * هو جمال الدين محمد

بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي النحوي المالكي حين كان بالغرب والشافعي حين انتقل الى الشرق ولد سنة ٦٠٠ كان اماماً في القراءة وصنّف فيها قصيدة دالية وكان في اللغة اليه المنتهى واما النحو والصرف فبلغ فيهما الغاية القصوى اقام في دمشق يصنّف ويشغل بالجامع والتربة العدالةية وقدم القاهرة ثم رحل الى دمشق وكان ينظم الشعر مات سنة ٦٧٢ ودفن بسفح قاسيون وكان ذا وقار ودين وصلاح

ابراهيم بن احمد الموصللي * من ائمة الحنفية شرح القدوري ومات سنة ٦٧٥
علي بن خليل الحنفي * الاديب الفقيه عرف بابن قاضي عساكر مات

سنة ٦٥١ ودفن بسفح قاسيون ومن نفيس شعره قوله

تطلبت في الدنيا خالياً فلم اجد وما احدٌ غيري لذلك واجدٌ
فكم مضمراً بغضاً بريك محبة وفي الزند نار وهو في اللبس باردٌ

الشيخ عبد الرحمن العيني * نسبة الى راس العين ولد بصاحبة دمشق سنة ٨٢٧ وتصانيفه كثيرة جاللة شرح الكنتز والبخاري والفية العراقي والشمسية والدرر للقونوي والوشاح في المعاني والفية ابن مالك والتهذيب للسعد والجزرجية واخصر التلخيص وشرحه ونظم اللغة التركية في قصيدة سماها الدرّة المضية مات سنة ٨٩٢ ودفن بتربة الجامع الجديد بصاحبة دمشق

الشيخ ابو مسعود الولي مات سنة ٦٠٥ ودفن بسفح جبل قاسيون

العلامة جمال الدين محمد بن احمد الشريشي صاحب التصانيف مات سنة ٧٦٩ ودفن بسفح قاسيون * ولده بدر الدين محمد بن محمد امام اهل اللغة في عصره مفتي الشام المعروف بابن الشريشي شارح المقامات وغيرها من الكتب البديعة مات سنة ٧٧٠ ودفن بجانب والده عند جامع الافرم

ملخص ترجمات بعض مشاهير علماء القرن الثاني عشر واولئ هذا

القرن اعني به القرن الثالث عشر

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي مدرس

الحديث تحت قبة النسر في الجامع الاموي ولد في ١٢ شعبان سنة ١١٤٠ وتوفي في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٢١ ودفن بمقبرة باب الصغير . الشيخ عبد الرحمن الكزبري والد المتقدم ذكره هو محمد بن زيد الدين الدمشقي الشافعي ولد في صدور سنة ١١٠٠ وتوفي يوم الجمعة في ١٧ محرم سنة ١١٨٥

الملا علي بن محمد بن سالم التركاني امين الفتوى بدمشق ولد سنة ١١٠٢ وتوفي سنة ١١٨٢ ودفن بمقبرة الحقلية عند داره بميدان الحمصا

الشيخ احمد بن عبد الله بن احمد البجلي الاصل الدمشقي المولد كان زاهدا صوفيا فقيها حسابيا فرضيا محدثا ولد سنة ١١٠٨ ومات يوم السبت في ٦ محرم سنة ١١٨٩ ودفن بباب الصغير وله من المؤلفات الرائقة الروض الندي في شرح كافي المبتدي والآخر الحرير بشرح مختصر التحرير ومنية الرايض اشرح عدة كل فارض

٥ الشيخ العلامة المحتق دلي افندي الداغستاني هو علي افندي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني ولد سنة ١١٢٥ واتى دمشق سنة ١١٥٠ ونزل بجامع من جوانمها وقد وجهت عليه وظيفة في الحديث تحت انقبة سنة ١١٧٢ هـ بعد وفاة مدرستها احمد افندي المنبني ووظيفة التدريس في الفقه في المدرسة السلمانية ووظيفة التدريس في تفسير ابي السعود عند مقام سيدنا يحيى سنة ١١٨٥ وغير ذلك وتوفي في ١٢ ذي الحجة سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من قبة البلخي فوق الافرم وله كتابات منها ما كتبه على خلاصة الحساب وحاشية في الاسطرلاب وشرح حديث الرحمة وغير ذلك . اهـ

٦ الشيخ دلي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالح الشهير بالسليبي ولد سنة ١١١٢ توفي في ثاني جمادى الاولى سنة ١٢٠٠ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من الداودية وله من التأليف تكملة شرح تفسير البيضاوي للنجاشي عمر الرومي في سورة الاسراء وشرح على شرح غاية الاختصار لابن قاسم وشرح على نظم الاجرومية وغير ذلك

٧ الشيخ مصطفى الرحمني ولد بدمشق في ١٤ محرم سنة ١١٢٥ وكان من علماء عصره وسنة ١١٨٧ جاور في المدينة وتوفي بها سنة ١٢٠٥

٨ الشيخ محمد ابو الفتح العجلوني الاصل دمشقي المولد كان عالماً ولد في رمضان سنة ١١٢٨ وتوفي سنة ١١٩٢ ودفن بباب الصغير وله تصانيف جليلة

٩ السيد عبد الرزاق البهنسي ولد سنة ١١٢٥ وكان شاعراً اديباً بارعاً فقيهاً توفي في ٢ رجب سنة ١١٨٩ ودفن بتربة مرج الدحلاح

الشيخ احمد العطار الحمصي الاصل دمشقي المولد حج اربع مرات ولما اتى بونا بارتى عكاه تجند مع اولاده لمحاربة الفرنسيين وحرض الناس على القتال . توفي في ٩ ربيع الثاني سنة ١٢١٨ ودفن بتربة مرج الدحلاح وكان عالماً ماهراً الشيخ امين الصابجاني ولد بغزة هاشم سنة ١١٢٣ اتعلم الفقه والفلك بالقاهرة فبرع جداً جاء دمشق والف رسالة في الربع المنظر واخرى في العروض وغير ذلك توفي بدمشق في ١٧ شعبان سنة ١١٩٧

الشيخ مصطفى اللقيمي الملقب باسعد الشافعي ولد بدمياط سنة ١١٠٥ وكان عالماً بارعاً سكن دمشق وتوفي فيها سنة ١١٧٨ وقبل موته نظم تاريخاً لقبه وهو

قبرٌ به من اوثقتُه ذنوبُهُ وغدا لسوءِ فعاله متخوفاً

قد ضاع منه عمرُهُ ببطالةٍ والعيش منه بالتكدر ما صفاً

ماذا ثوى قبر اللقيمي ارخول مستنخ للعفو اسعد مصطفى ١١٨٧

وله من المؤلفات الرحلة المسماة بمواخ الانس بالرحلة لوادي القدس ورسائل في الحساب والآداب ودبوان شعر وغير ذلك ودفن بتربة الدحلاح

الشيخ محمد الجاويش ولد في دمشق ونشأ على محبة العلم فلانزم العلماء فصار عالماً درس في الجامع الاموي فافاد توفي سنة ١١٩١ ودفن بتربة باب الصغير

الشيخ محمد العبيد الحموي الاصل ولد في دمشق وكان خطيباً في جامع سنان باشا عاش نيف على خمسين سنة وتوفي سنة ١١٧٤ ودفن بتربة باب الصغير

الشيخ محمد امين بن عمر بن عبد العزيز بن احمد بن عبد الرحيم بن عابد بن

ولد بدمشق سنة ١١٩٨ وتوفي في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ وعمره أربع وخمسون سنة واخذ عن علماءها وتفقه بالشيخ شاکر العمري العقاد واخذ عنه العلوم العربية والعقائدية وعن غيره باقي العلوم وانتفع به خلق كثير لم يزل بعضهم احياء . منهم الشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت والشيخ عبد الغني الميمني شارح التدويري امين العنقيا بدمشق سابقاً والشيخ حنين الرسامة والشيخ عبد القادر شارح العلائي والشيخ محمد افندي الجبالي قاضي بغداد والمدينة المنورة حالاً

وكان له ذوق في حل مشكلات العلوم والاعتماد العظيم في طائفة القوم واخذ الطريقة على الشيخ شاکر المذكور وله التأليف الكثيرة التي تبلغ الخمسين وكان عالماً فقيهاً بضيقة كتابنا عن ذكر مآثره المحمديّة دفن في مقبرة باب الصغير بالترتبة الفوقانية قريباً من الشيخ العلائي

وقد تعلق خاطرنا بسرد تراجم بعض من علماء جيلنا الحالي وافاضله الذين نشأوا بدمشق على انه لسوء الحظ حال مانع وهو عدم حصولنا على اخبار مدققة عنهم فعدنا عما قصدنا ونحن آسفون

هذا وليعلم المطالع بان سلسلة العلماء الاعلام لم تنقطع من دمشق في وقت من الاوقات . وفي كل عصر نجد بها عدداً وافراً منهم حتي انك ترى العلم متسلسلاً في بعض العيال من مددٍ مد يد كعائلة بيت حمزة فانها عائلة علم شريفة ذات نسب شريف وقد ذكر المحبي في تاريخه تراجم بعض من اعضاءها الذين اشتهروا بالعلم والفضل وهم السيد محمد بن السيد كمال الدين واخوه السيد حسين والسيد عبد الرحمن والسيد عبد الكريم والسيد ابراهيم واما في عصرنا فالمشهور من هذه العائلة الشريفة هما الشريف العالم العلامة محمود افندي امين الفتوى واخوه الشريف العلامة اسعد افندي من اعضاء مجلس التمييز وهما من اصحاب الدين والبرورة والاحسان وقد فعلا سنة ١٨٦٠ اعمالاً توجب الثناء عليها

وعائلة بيت العمادي وقد اشتهرت بالفضل وتسلسل فيها العلم وقد ذكر

المحيي بعض تراجم اعلامها . وعائلة بيت النابلسي ومن اشهر رجالها الشيخ عبد الغني النابلسي وقد فحصنا عن ترجمته لتزين بها جيد كتابنا ولسوء الحظ ذهبت انعابنا سدى . وعائلة بيت الفرفور وعائلة بيت القاري وعائلة بيت المحي وعائلة بيت العمري وعائلة بيت الكزبري وغير ذلك مما يطول شرحه
 اما مشاهير علماء دمشق في وقتنا فكثيرون . منهم الشيخ مسلم الكزبري والعالمان محمود افندي واسعد افندي حمزة المار ذكرهما والعالم العلامة الشيخ سليم العطار والشيخ عبد الغني الميداني وجابي افندي والشيخ سليم سمارة والشيخ الخاني والشيخ مهيد الطنطاوي وبنو المنير وغيرهم مما يطول شرحه وكلم علماء اعلام اصحاب فضل عظيم يحق لدمشق ان تتفاخر بهم

فصل

في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق

القديس حنانيا الرسول . لا يعلم بالتاكيد هل ولد هذا القديس في مدينة دمشق ام لا ولكن المرجح بانه من ابناءها وكان واحداً من السبعين تلميذاً وسكن دمشق في بادئ الديانة المسيحية وبشر بها وهو الذي شفى شاول الذي صار بولس الرسول على ما جاء في الفصل التاسع من سفر اعمال الرسل وبعد ان بشر حنانيا بالانجيل في دمشق مدة مضى الى الاوطرابولي ثم الى اماكن اخرى منذراً ومبشراً وقد احتمل اشد الاضطهادات والعذابات كغيره من الرسل واخيراً قبض عليه في عهد ليكيينوس الوالي الروماني وبعد ان جلد شديداً باعصاب البقر ومزق لحمه بعذابات شديدة مات رجلاً بالحجارة
 القديس يوحنا الدمشقي . ولد هذا القديس في دمشق سنة ٦٧٦ م من عائلة شريفة من ابوين غنيين وكان ابوه من اكابر رجال الدولة الاموية في دمشق وقد اعنى بتربيته وفقهه في العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ (سياتي ذكره) فنبغ يوحنا في العلوم وصار نبهاً للاداب في زمانه ولما توفي ابوه

خلفه في وظيفته عند سلطان دمشق وحصل على الوجاهة والاعتماد. ثم اعرض عن العالم وذهب الى دير مار سابا في فلسطين ودخل في الطريقة الرهبانية ولما تم موجباتها اخذ يشتغل في التأليف والتصنيف فالف كتباً كثيرة في اللاهوت وغيره وقد فاقت تاليفاته اللاهوتية ما سواها وكان يلقب ببهرى الذهب (اسم نهر بردى سابقاً) لفصاحته وحسن كلامه. ثم رُسم كاهناً. وسنة ٧٨٠ توفاه الله وله من العمر ١٠٤ سنين اما بيته عند ما كان في دمشق فمعروف الآن وموقعه عن يسار حمام البكري قرب باب توما وقد امتلكه اليسوعية مؤخراً

القديس قزما المنشي . اختلف المؤرخون في مكان ولادة هذا القديس والسنة التي ولد فيها ولكنهم اجمعوا على انه كان عالماً متضاماً بارعاً في علوم كثيرة وخصوصاً في فني الفصاحة والبدع واشتهر في الانشاء والكتابات الدينية وقد لبس الاسكيم الرهباني والف النسك في براري فلسطين ثم وقع اسيراً في يد جنود المسلمين فساقوه الى دمشق وباعوه بها اسيراً فاشتراه والد القديس يوحنا الدمشقي وعنته من العبودية واقامه راساً على بيته واذ راي ما عنده من غزارة العلم والتقوى ولجّه امر تعليم ابنه يوحنا المذكور آنفاً وولد آخر كان يتيماً في بيته يعتبره كابنه واسمه قزما فظل الى حين وفاته

القديس قزما الباراسقف ما يوما . ولد في اورشليم سنة ٦٧٩ وتيم صغيراً فسافر الى دمشق فقبله والد القديس يوحنا الدمشقي ورباه كابنه ثم تهرب بدير مار سابا وسيم اسقفاً لما يوما وله بعض مؤلفات دينية عاش طويلاً ومات جايلاً

القديس صفرونيوس . بطريرك اورشليم ولد في دمشق سنة ٥٥٨ م ومنذ حداثة مال الى الفضايل والآداب واخذ العلوم من علماء دمشق فبرع جداً واذ كان عظيم التدبير ذهب الى فيافي فلسطين لزيارة نساكها فصبا لمعرفة طريقهم دون ان ينذر على ذاته نذرهم واتخذ له مرشداً منهم اسمه يوحنا موسكوس ولبث عنده مدة ثم سارا معاً لزيارة رهبان القطر المصري واخذنا يفحصان عن احوالهم التي اذهلتها جداً وصنفا كتاباً بها نظراً سهياً ببستان الرهبان ثم ذهبوا

الى الاسكندرية فقبلها بطريركها القديس يوحنا الرحوم بكل اكرام واحترام لما فيها من الديانة والفضيلة واخذ يشتغلان عند الانذارات الروحية ولما هاجم الفرس القطر المصري وعاثوا به فرأى الى رومية خيفة على حياتها ونقربا من البابا يونيفاسيوس ولبثا عند سنتين فتوفي احدهما يوحنا فنقل القديس صفرونيوس جثته الى فلسطين ودفنها في دير القديس ثاوضوسيوس وسكن صفرونيوس هناك بعيشة رهبانية واذ كانت شيعة المونواليتيين الذين يعتقدون بارادة واحدة بالسيد يسوع المسيح قد اخذت تنتشر في بلاد فلسطين اخذ القديس صفرونيوس يقاومها بكل مقدته وسنة ٦٢٢ م سيم بطريركا للكرسي الاورشليمي ولازم مقاومة تلك الشيعة وجمع مجعاً من اساقفة ابرشيته وقرر به شجب تلك الشيعة ثم الف كتابين جمع بهما اقوال الكتب المقدسة وتعاليم اباء الكنيسة الموضحة وجود ارادتين ومشيتين وفعالين في السيد المسيح. وسنة ٦٢٦ حمل العرب على اورشليم بعد ان فتحوا دمشق فسلمها البطريرك صفرونيوس للامام عمر بشرط ان تبقى للمسيحيين حريتهم الدينية وكنائسهم وفي ١١ من شهر اذار توفي في اورشليم وعمر نحو ٨٠ سنة تقريباً وقد عينت له الكنيسة اليوم الحادي عشر من اذار كل سنة تذكراً

٦٦ القديس اندراوس الاقريطشي . ولد في دمشق من ابوين صالحين واختلف في سنة مولد وما عليه الاكثرون هو انه ولد قبل سنة ٦٢٥ م وقد اعنى به والداه ورباه بحسب مبادئ الديانة المسيحية واجتهدا في تعليمه وتدريبه العلوم والآداب فنجح غاية النجاح ولما علم به البطريرك ثاوداوس الاورشليمي اخذاره لخدمة كنيسة ولما انعقد المجمع المسكوني السادس القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ م للاشاة ارنقة المونواليتية . بعث البطريرك ثاوداوس بالقديس اندراوس نائباً عنه لما كان عنده من غزارة المعارف والفضائل حال كونه كان برتبة شماس رسائي فقط وبعد نهاية المجمع رسم القديس اندراوس شماساً انجيلياً وسلمت لعنايته نظارة المكان المختص بتربية الايتام وبعد مدة انتخب رئيس اساقفة

لجزيرة اقر بطش ولما استولى على كرسياها الروحي ازدادت شهره لحسن سياسته
وفصاحته واعنائه وقد الف عدة مؤلفات في مواضع مختلفة منها القانون الكبير
الذي يتلى في الكنيسة نهار الخميس من الجمعية الخامسة من الصوم الكبير وقبل
موتة بمدة من الزمان ترك ابرشيته وانفرد عن العالم في جزيرة ابيريسوس وهناك
حرر اخص مؤلفاته الكثيرة وبعد ان بلغ سن الشيخوخة مات في تلك الجزيرة
والكنيسة تعمل تذكاره في اليوم الرابع من شهر تموز كل سنة

فصل

مشاهير علماء المسيحيين في جيلنا الحاضر

السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم . ولد السيد مكسيموس
مظلوم بمدينة حلب في شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٩ م وكان والده غير مثري يدبر
بضعة احوال نسج الالاجه على انه كان من اصحاب التقوى والاستقامة ولما ولد له
مكسيموس سماه ميخائيل واخذ يجتهد في تربيته

ثم حاول جماعة الاكبروس الحلبي اقناعه بالانتظام في طغمة الاكبروس
لما راوا فيه من التدبير والذكاء واخبروا مطرانهم جرمانوس آدم الذي كان
مقيما في لبنان فاستدعاه وقربه اليه وسامه شامسا ودرسه اللاهوت الادبي وجعله
كاتما لاسراره ثم رسمه خوريا على كنيسة حلب . وما زال يفلح في كل مساعيه حتى
سيم مطرانا في دير المخلص وسي مكسيموس وذلك سنة ١٨١٠ م

وسنة ١٨١١ انشا البطريرك اغابوس مدرسة لطائفته في قرية عين تراز
من قرى جبل لبنان وسلم رياستها لعهد المطران مكسيموس وسنة ١٨١٢ اجمع
اكبروس الكرسي على ارسال المطران مكسيموس لرومية لقضاء بعض المهام
فسافر من مدينة بيروت الى مالطة ثم الى تريبسته واقام بها بضعة اشهر ثم سافر
الى البندقية وفي تشرين اول سنة ١٨١٤ رحل الى رومية وقابل الاب الاقدس
البابا بيوس السابع وسنة ١٨١٥ تنزل عن ابرشية حلب فسامه البابا رئيس
اساقفة ميراليكية واخذ يدرس في رومية اليونانية واللاتينية والاطالية ويقوم

باشغاله بجد واعناء وفي حزيران سنة ١٨١٧م سافر من رومية قاصداً تریاسته فر بتوسكانا ونزل بمدينة ايكورنا الى شهر ايلول ومنها سار فاجناز بولوتيا والبندقية الى تریاسته وبينما كان نيافته مقيماً بتریاسته اتصل به خبر ما وقع من التعدي على طائفته فحلب فاعرض الامر للاب الاقدس ولجميع انتشار الايمان المقدس برومية فارسل اليه الحبر الاعظم منشوراً رسوليّاً باسم جلالة فرنسيس الاول ملك اوستريا ليتوسط امر الروم الكاثوليك لدى الباب العالي فحل المنشور وتحريراً برسم وزارة خارجية النمسا وسار بها الى فيينا فمثل لدى جلالة الملك ووزير خارجيته ونال منها الرعاية والاکرام وبعد ان استقام اربعة اشهر في فيينا ودّع جلالة الملك ورجال بلاطه ورجع الى تریاسته وسنة ١٨٢٠ سافر الى البندقية ومنها الى بادوا وميلان ثم اتى جنوا ومرسيليا وبنى فيها كنيسة لطائفته كرسها على اسم القديس نيقولاوس وانشأ بجانبها داراً للخوارنة (وهي اول كنيسة بناها) وسنة ١٨٢٢ في شهر حزيران رحل من مرسيليا الى رومية ولف فيها كتابة الكتر الثمين في اخبار القديسين في خمسة مجلدات من القطع الكامل وعرب عدة تأليف للقديس الفونسوس ايكوري وطبع على مصر وفيه في رومية كتاب امجاد مريم وكتاب الاستعداد للموت وكتاب الواسطة العظيمة وكتاب الرياضة اليومية وكتاب زيارة القربان المقدس وارسلها الى بلاد المشرق فوزعت مجاناً ولف كتاب قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية هذا عن تاليفات واستخراجات غيرها بقيت محفوظه خطأ ودرس مدة وجوده فيها اللغة الفرنسية فبرع بها

وبعد ان اقام في اوربا ١٨ سنة دعاه البابا غريغوريوس ان يرجع الى سوريا ويجدد مدرسة عين تراز المقدم ذكرها فامثل ورجع فدخل بيروت في شهر تشرين الثاني وصعد الى مدرسة عين تراز واخذ في ترميمها وانشأ فيها مكتبة احضرها معه تحنوي على نحو الفتي مجلد ونيف من نفائس الكتب وبلغ ما انفقته على المدرسة والمكتبة نحو عشرة آلاف ريال عمود

وفي شهر اذار سنة ١٨٢٢ م توفي البطريرك اغناطيوس قطان فانهقد مجمع في
ديراقديس جاورجيوس الغرب لانتخاب خليفة له وفي ٢٤ اذار اصابته القرعة
كبير مكسيموس فسبي بطريركاً على طائفة الروم الكاثوليك في الثالث بطريركيات
الانطاكية والاسكندرية والاورشليمية اما هو فكان يمضي البطريرك الانطاكي
وسائر المشرق وقد صادق على انتخابه البابا اغريغوريوس السادس عشر . سنة
١٨٢٨ حصل على براءة من السلطان محمود تعرب عن معرفته من الدولة
العلية متروبوليت انطاكية والاسكندرية والقدس الشريف وقد اعرض
الامر على الخبر الاعظم فممنحه بموجب مرسوم رسولي ان يمضي اسمه البطريرك
الانطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق

وفي ٢٥ ايلول سنة ١٨٤٠ سافر الى رومية وزار الخبر الاعظم ثم رحل منها
الى مرسييا ودخلها في اول كانون الثاني سنة ١٨٤١ وفي اذار سافر الى
باريز فحصل على كرامة واعتبار ملكها وعائلته ورجال بلاطه وليت مدة
وعرب تاريخ الحروب الصليبية في مجلد بن . ثم رجع الى مرسييا ومنها سافر الى
القسطنطينية عن طريق مالطة واستنقام جهاست سنين ونصف يحامي عن حقوق
طائفته ويناضل عنها اما اثار اعماله في هذه المدة فهي اول تحرير طائفته تحريراً مطناً
بجيت عرفت رسمياً كطائفة قائمة بذاتها دون ادنى تعلق بغيرها . ثانياً نواله من
السلطان عبد المجيد خان براءة لا يوجد نظيرها في القيود السلطانية تعرب
عن معرفته بطريركاً قديماً لطائفة الروم الكاثوليك الملكيين على انطاكية
والاسكندرية واورشليم وسائر الممالك الخروسة . ثالثاً انعم عليه بالنيشان المرصع
الكبير نظير البطارقة القسطنطينيين وبعد ذلك رحل الى سورية

وكان وصوله الى بيروت سنة ١٨٤٨ م . وفي اذار رحل منها برا الى القدس
الشريف فعيد الفصح بها واستمر مناظراً بناء الدار والكنيسة التي ضمنها الى شهر
تشرين الثاني . ثم سافر الى دمشق مركز ابرشيتيه العام . وفي اذار سنة ١٨٤٩
رحل الى اورشليم وعقد مجتمعاً من عموم مطارنته قرر به بعض امور لخبر طائفته .

ثم رجع الى بيروت وسافر الى الاسكندرية ومنها الى حلب . ثم سافر الى انطاكية والاسكندرية وبيروت ورجع الى دمشق وكان يطوف القرى وقدرتم اثني عشر مطرانا لبرشيات كرسية منهم نيافة المطران غريغوريوس عطا مطران حمص وحما وتوابعها حالاً

وكان مع كل اسفاره وتاليفاته الكثيرة وترجاته الوافرة والرسائل الفاتحة الحصر التي حررها لا يفتر عن الوعظ والتبشير والاشتغال في امور طائفته داخلاً وخارجاً حتى اتمضها من الانحطاط وجعلها في مقدمة الطوائف المسيحية . وشيد لها كنيسة وفي مكة وجوده بدمشق كانت المناقشات والمجادلات الدينية بانصال بينه وبين العلامة الدكتور ميخائيل مشاقة وقد طال امرها واخذت اهمية كبيرة

وبعد ذلك رحل الى القطر المصري واشتغل بها فيه النفع اربعيته وفي ٢٤ آب غربي سنة ١٨٥٥ توفاه الله في مدينة الاسكندرية فنقل جسده الى مصر ودفن في كنيسة التي بناها باحتفال عظيم وقيل انه لم يترك شيئاً من المال الا ما قل جداً لانه انفق كل شيء في تشييد الكنائس ونفع طائفته وقد انشأ بها بطريركيته طغمة اكليروس خاص علماني حافظ على البتولية التامة بدون ندورات

الشماس انطون الخلع . ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر ودخل طغمة الاكليروس الكاثوليكي ودرس وتفقه في العلوم العربية والفرنسية وسافر الى مصر واقام بهامك وعرب كتاب الجبالستان الشهير ثم رجع الى دمشق وتمذهب بمذهب الروم الارثوذكس . ترك وظيفته الاكليروسية وتزوج بامراة من طائفة الروم وتوفي نحو سنة ١٨٥١

الارشندريتي غبريل جبارة الواعظ المشهور . ولد في دمشق من ابوين كاثوليكين ودخل الطغمة الاكليروسية وبعد ان لبث مدة كاثوليكياً اعتنق المذهب الارثوذكسي ورتقي الى درجة ارشندريتي وفي نحو سنة ١٨٦٠ شيد

كنيسة في بيروت سماها كنيسة السيدة وصار مأمورًا بطريكيا وقد لازم وظيفة الوعظ والانداز وله كتابات كثيرة في مواضيع مختلفة وكان فصيحًا متكلمًا جسورًا وفي شهر نيسان من هذه السنة اعني سنة ١٨٧٨ ذهب بطلب من جلالة الكراندوق نيقولا الروسي فادر كثة المنية وهو في مدينة ازير ودُفن بها باحتفال عظيم

٤ الخوري يوسف الحداد . ولد في نحو سنة ١٧٨٠ وكان نقيًا فاضلاً يحب العلوم اخذ العربية عن كثيرين من مشايخ المسلمين ودرس اللغة اليونانية والعبرانية وبرع بها وامتاز بعلم المنطق واشتغل بالتدريس في المدرسة البطريركية بدمشق فافاد الجهم الغفير وحصل على اعظم شهرة حتى توارد عليه الطلبة من كل جانب وقد كان رحمه الله واعظًا مفلحًا لازم الوعظ على منبر الكنيسة المريمية سنين عديدة وكان لا يفتر عن الترجمة والمطالعة والتأليف حتى قيل بانه لم يمض عليه يوم بدون ان يترجم به او يكتب شيئًا مفيدًا واشتهر بعلم اللاهوت وقد تزوج ورزق عدة اولاد ذكور واناث وقتل في حادثة سنة ١٨٦٠ وتلاشت موافاته حرقًا في تلك الحادثة ولم يبق منها الا ما ندر جدًا

(العالم العلامة والفرد الفهامة الدكتور ميخائيل مشافة)

هو ميخائيل بن جرجس بن ابراهيم بن جرجس بن يوسف بتركي الذي لقب بمشافة لاحترافه تجارة مشافة الحرير ولد في ٢٠ اذار سنة ١٨٠٠ م موافق ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ بقرية رشميا من اعمال جبل لبنان من عائلة شريفة كاثوليكية وكان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي الكبير ومن المقربين اليه وبعد ان ولد له ميخائيل بمدة قصيرة نقل بيته الى دير القمر واتخذها وطنًا له وكان ميخائيل نبيها ذكيًا فتعلم مبادئ القراءة في وقت قصير وقد كان يميل الى الحساب فتعلم عن ابوه الفواعل الاربع وزاد على ذلك مسك الدفاتر وكان يسمع من يهود دير القمر عن الكسوف والخسوف قبل حدوثها قال للتوصل الى معرفة ذلك فعزت عليه الوساطة على انه لم يضعف امله وكان

يظن بان علم الفلك من العلوم التي تنبئ عن المحوادث الارضية قبل حدوثها
وسنة ١٨١٤ حضر بطرس عنموري خال العلامة ميخائيل مشاقفة من
دمياط الى دير القمر وكان عالماً في العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية فطالب
اليوان يدرسه علم الفلك فاجابه واخذ يدرسه الهيئة والرياضيات فحصل
جانبا من هذه العلوم بوقت قصير

وسنة ١٨١٧ ذهب الى دمياط وصار كاتباً في محل عمه في تلك المدينة
وما لبث الا امتد لاشغال تجارية خصوصية ففجج بها وصار له ثروة صغيرة وسنة
١٨١٨ قرأ كتاب سياحة المعلم فولانه المترجم الى العربية فتبليت افكاره من
من جهة الدين جداً على انه استمر محافظاً على ما استلمه من اهل وفي هذه السنة
حضر عرساً بدمياط وكانت الموسيقى تصدح فسأله احد الحاضرين عن لحن
وقبل ان يجيب بانه يجهل فن الموسيقى تعرض رجل عكاوي من الحاضرين
وقال للسائل (هذا جلي لساه بعيله لا يفهمشي) فتاثر من هذا الكلام وذهب في
اليوم التالي الى احسن الموسيقين واخذ يدرس هذا الفن عليه وفي مدة شهرين
عرف اصوله وصار يضرب على اكثر الآلات حتى انه صار من علماء الموسيقى
والف فيها رسالة لم ينسج على منوالها. وسنة ١٨٢٠ ترك دمياط لسبب الطاعون
ورجع الى دير القمر وكان يطالع الجبر والمقابلة لذاته

وبعد بضع سنين اقامة الامير بشير مدبراً عند امراء حاصبيا فاكرموا
مشواه وانزلوه بمنزلة عظيمة واعطوه اراضي متسعة في الحولة عند نهر اللدان
واعطوه قرية في قضاء القنيطرة

وسنة ١٨٢٨ اصابه مرض بجا صيبا فذهب الى دير القمر للداواة وبعد
خمسة اشهر شفي فجد في طلب صناعة الطب واخذ يطالع كتبها لذاته بجدي
واجتهاد حتى عرف اكثرها على انه اُتعم عليه بعض اصطلاحاتها فتلقته عن
خاله بطرس عنموري الذي كان وقتئذ قد رجع الى دير القمر لتبديل الهواء وكان
في دير القمر ايضاً رجل اسمه كرليني ايطالي الجنس كان بارعاً في هذه الصناعة

وقد اتخذهُ امرأه حاصبياً بمساعيدهِ طبيباً لهم فاستعان به في درس هذه الصناعة
 وسنة ١٨٢١م حضر حصار عكا مع عساكر الامير بشير ثم رافق العساكر
 المصرية الى دمشق وسار معها الى حمص وبعد ان لبث بها شهراً ونصف وطب
 المصابين بالريج الاصفر رجع الى دير القمر وكانت حروب ابراهيم باشا في سوريا
 على قدم وساق فلحق بالعلامة ميخائيل مشافة اضرار كثيرة مالية حتى التزم ان
 يطيب بالاجرة بعد ان كان بطبيب مجاناً . ورحل الى دمشق واقام بها فراجع
 صناعة الطب على كلوت بك ثم نصبتهُ الحكومة رئيساً لاطباء دمشق . وقرأ
 الايساغوجي على العلامة الخوري يوسف السداد وشرحه على العلامة الشريف
 محمود افندي حمزة مفتي دمشق حالاً وبعد رحيل ابراهيم باشا المصري من
 سوريا اتى السنيور وود قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق مفوضاً بنظارة الحكومة
 بسوريا فاتخذ العلامة ميخائيل مشافة ترجماناً له

وسنة ١٨٤٥م توجه الى مصر ولازم كلوت بك وواظب على المحضور
 الى مدرسة قصر العيني لمشاهدة العمليات الجراحية والتشريحية . واخذ دابوما
 ونال لقب دكتور . وبعد ان اقام في القطر المصري ثمانية اشهر رجع الى دمشق .
 وعند ما وصل اليها تحركت في افكاره حركة دينية فكان تارة يظن بان ما
 ذهب اليه فولتر الكافر وزعماءه صحيحاً وطوراً يتردد عن ذلك ويقول ان
 كثيرين من فحول العلماء اقرؤا بصحة الديانة المسيحية وناضلوا عنها واخيراً
 وقف على كتاب البيئة الجلية على صحة الديانة المسيحية فطالعه بامعان فاقنعه
 ادلته وقادته للاعتقاد بصحة الدين المسيحي فاخذ يراجع الكتب المقدسة مع كتب
 جدلية بين البروتستانت والكاثوليك وكانت بينه وبين البطريرك مكسيموس
 مظلوم مجادلات دينية كثيرة وكل ذلك مبين في كتاب الدكتور مشافة المعنون
 بالدليل الى طاعة الانجيل وفي رسالة اخرى له اسمها تهرئة المتهموم
 وسنة ١٨٤٨ ترك الكنيسة الكاثوليكية واتبع الكنيسة الانجيلية فصار من
 اكابر علمائها والمناضلين عنها وقد حامى عن تعاليمها بتأليفه الكثيرة

وسنة ١٨٥٩ تعين العلامة ميخائيل مشاقفة فيس قنصل للولايات المتحدة
الاميركانية في دمشق وفي حادثة سنة ١٨٦٠ اثخنه الثائرون بالجراح (وتنصبل
ذلك في كتابه المسمى بالجواب على اقتراح الاحباب) واخيراً وصل بمساعدة
الامير عبد القادر الجزائري الى بيت السيد محمد السوطري وظلّ به اميناً يطيب
جراحه الى ما بعد الحادثة بعشرين يوماً. سنة ١٨٧٠ اصابة فالح بجانبه الايمن
فانقطع عن اشغال وظيفته وتنزل عنها فوجهت لولده النقيب نصيف بك
وقد رزقه الله ابنة واربعة بنين افاضل وهم نصيف بك وسليم افندي
والدكتور ابراهيم والدكتور اسكندر

والعلامة ميخائيل مشاقفة شهرة فائقة عند اهالي الشرق والغرب وله اعظم
اعتبار في اعين الجميع ولا ينقطع القوم من كل الاجناس والمذاهب عن زيارته
وهو طويل القامة كبير الجسم ذو ذكاء واطف ودعة وسلامة واتضاع يترحم
بكل زائريه ويوانسهم ويكلم كل واحد بحسب طباعه ومشربه وحرفته وما اعناد
عليه وله خبرة عظيمة في اهالي البلاد ومعرفة في ترجحات اكثر العيال. ولا يزوره
زائر من اي رتبة كان الا ويصادف منه ما يسره فيخرج حامداً شاكرًا اما علومه
فكثيرة منها الحساب والجبر والهندسة والانساب والمساحة والهيئة والكيمياء
والطب والجراحة والفلسفة والمنطق واللاهوت والتاريخ وغير ذلك

اما تآليفه فاربعة عشر مؤلفاً والمطبوع منها كتاب الدليل الى طاعة الانجيل
واجوبة الانجيليين ضد اباطيل التقليد بين وجواب لصديق من طائفة الروم
بمحص لا قناعه بصحة المذهب الانجيلي سنة ١٨٥٢ وكشف النقاب عن وجه
المسيح الكذاب والبراهين الانجيلية ضد الاباطيل الباباوية وتبرئة المتهم ورد على
منشور البابا بيوس التاسع. والبرهان على ضعف الانسان جواباً لصديق له
تابع تعاليم فولتير. والتي لم تطبع هي. رسالة في ترجمة البطريرك مكسيموس
مظلوم ورد على ابن الحموية لاجل طبعه في المذهب الانجيلي والرسالة الشهادية
في الالحان الموسيقية العربية والتحفة المشاقفة مطول في علم الحساب والمعين على

حساب الايام والاشهر والسنين مذيل بمجداول لمدة مئة سنة شمسي مطابنة
ايام الشهور الغربية والرومية والقبضية واليهودية والاسلامية ومواقع كسوفات
الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها من الدرجات بدايته سنة ١٨٧٠ وترجمة
عائلة مشافة وهو كتاب جميل جداً يحنوي على ترجمة العائلة المشار اليها وعلى
حوادث سوريا منذ ايام الجزار الى سنة ١٨٧٣ واسمها الجواب على اقتراح الاحباب
وله رسائل وكتابات في مواضع مختلفة غير هذه اعرضنا عن ذكرها

١ ترجمة السلطان نور الدين الشهيد

السلطان نور الدين الشهيد بن زكي الملك العادل العالم الحنفي ولد سنة
احد عشر وخمس مئة وغزا وفتح حصوناً كثيرة واظهر العدل وقصد دمشق
مرتين وفي الثالثة ملكها وحصن سورها وبنى بها المدارس والمشاهد ونشر العلم
ووقف بها اوقافاً كثيرة قال في الاشارات وهو اول من بنى دار الحديث على
وجه الارض ووقف كتباً كثيرة . اهـ . وقد جمع مع الشجاعة كثرة العبادة . وكان
عالماً فقيهاً متواضعاً يحب اهل العلم والدين ويبرهم ويجهلهم ومنع شرب الخمر
وبيعها في جميع بلادهم قضى ليلة ونهاره في عدل بنشره وجهاد مجهزه ومظلمة
يزيلها واحساناً يوليها ولم يلبس قط ما حرمة الشرع واذا اراد ان يصرف من
بيت المال احضر القضاة والفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له فاخذ ما افترقه
مجاهد وترك ما عداه ومن جملة عداؤه ازال المكس وكان يسمع شكوى المظلوم
ويتولى كشف الظالم بنفسه وكان لا يجيد عن ميزان الشرع وبنى المدارس والجوامع
والمارستانات ومن اعظمها مارستان دمشق ووقف خلال القرية المعروفة بداريا
الكبرى للفقراء والايام والمساكين . وتوفي في دمشق سنة ٥٦٩ ودفن بقلعتها ثم
نقل الى تربته داخل المدرسة التي بناها للحنفية وهي المعروفة الى يومنا

٢ السلطان صلاح الدين الايوبي

هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابوالمظفر يوسف بن نجم الدين

ايوب ولد في تكريت سنة ٥٢٣ هـ وقدم به ابيه الى دمشق وهو رضيع فنشأ في حجره . ثم اتصل ابيه بخدمة نور الدين حتى استعمل على بعابك ولما شب صلاح الدين يوسف ارسله نور الدين مع امراء جيشه للحرب في مصر فظاهر من الشجاعة والاقلام ما رفع مقامه في اعين الناس ورجع الى دمشق واستقر بها مدة ثم غزا الصليبيون مصر وكانت بيد الفاطميين وكادوا يستولون عليها فكتب العاضد الفاطمي الى نور الدين يستنجده (وفي رواية ان الفاطميين تردوا وعانوا فافتى العلماء بقتالهم فارسل نور الدين وابادهم) فلباه وارسل الجنود النوريين الى مصر تحت قيادة شيركوه عم صلاح الدين وطلب من صلاح الدين المسير مع تلك الحملة فابي في بادي الامر وحاول عدم المسير وبعد الاحاح عليه ساس كرهاً ولما بلغت هذه الحملة مصر تشتت الافرنج وبعد حدوث حوادث كثيرة تمكن صلاح الدين من انكال الفاطميين وقطع خطبتهم وصار نائباً لنور الدين في مصر وكان يتظاهر بالطاعة له على ان باطنه ان يستقل بحكومة مصر ولما مات نور الدين اظهر صلاح الدين استقلاله بمصر وكان له بها عدة سنين كما قدمنا وفتح الفتوحات العظيمة وضايق الصليبيين وقصر شوكتهم وصرف ايامه في الحروب والمغازي كما ذكرنا وفي ١٦ صفر سنة ٥٨٨ كان في دمشق فصابته حمى فمات بها في ٢٧ منه وعين نحو ٥٧ سنة وكرمه لم يكن عنده شيء مما مات فجهنه القاضي الفضل وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو ٢٤ سنة وللشامية ١٩ سنة وخلف سبعة عشر ابناً وابنة وكل ما خلفه من المال ٤٧ درهماً وحرام واحد صوري واذا كانت هذه تركة رجل يملك الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن فليست الا برهاناً على كرمه المفرط ولم يخلف داراً ولا عقاراً وقد فرق عند محاصرة عكا اثني عشر الف مطية خلا ما عوّضه على من اصبحت خيلهم ولم يكن له فرس بركبة الا وهو موهوب او موعود به وكان ديناً لا يؤخر صلوة عن وقتها ولا يفضل يوماً على يوم وكان محباً للحدِيث وقرأ مختصراً في الفقه وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكن كثير التغافل عن ذنوب اصحابه طاهر المجلس واللسان

قال العماد الكاتب مات بهوت السلطان الرجال وفات بوفاته الافاضل
وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادهمت الافاق
ونجح الزمان بواحد وسلطان ورزى الاسلام بهيد اركانها . اه . وقد رثاه
الشعراء بما بلغ المرثي ونده به الناس ندباً شديداً ودفنوه بقلعة دمشق وبعد ذلك
بنيت له قبة شمالي الكلاسة التي هي بجانب الجامع الاموي من الشمال وفي يوم
عاشور سنة ٥٩٢ نقل ابنه الملك الافضل عظامه اليها باحتفال عظيم وسنة
١٢٩٤ هـ في ايام ولاية ضيا باشا على دمشق اجتهد ليجد قبر السلطان صلاح
الدين وجمع لذلك مبلغاً من النقود وبنى الابواب الخارجية على شكل جميل جداً

الخاتمة

قد امتدحت دمشق من كثيرين نظماً ونثراً وبضيق ذرعاً هذا المختصر
عن ذكر كل ما قالوه فلذا اكتفينا بوضع هذه القصيدة من نظم الشيخ عبد العتي
النايلسي المشهور رحمه الله قال

ان سامك الخطب الممول فاقلقا	انزل بارض الشام واسكن جلقا
نجد المرام بها وكل مناك بل	وترى بها عزاً ونصح منطقا
بلد سميت بين البلاد محاسناً	ونمت بها واستزادت رونقا
لا ينبغي حث الركاب لغيرها	هام الفواد بحسنها فتعلقا
حسبي وآويناها فضلاً لها	قد جاء في القرآن ذاك محققا
هي صفوة الدنيا وشائع فضلها	بالقدس والحرمين اضحى ملحقا
زاد السرور بها لكل معرج	لا سيما ان كان من اهل التقى
ان تعشقوا وطننا فذي اولى لكم	دون البلاد بان تحب وتعشقا
انس الغريب وسلوة لذوي الهوى	قوم نشئت شملهم وتفرقا
خير الاناس اناسها يرعون اذ	واع الوداد ويحفظون الموثقا
لكن برائق صفوكاسات لم	مزج الغريب شرابه ولم سقي
فتكدرت ما بينهم احوالهم	الا الذي ترك السوى فتروقا
هي جنة للطائعين معدة	يتمتعون ولا يرون بها شفا
ظابت هواء للنفوس وماؤها	غذب زلال سائح لمن استقى
وبها ترى الولدان والمحور التي	وعد الاله بين في دار البقا

جلت محاسنها عن التعداد فلا
 يا حسن واديبها وطيب شبيبها
 وتراسلت اطيارة بين الربى
 لله ايام الجبوع بظلمه
 كيف انجبت ينثر نخوك ماوه
 يا حبذا اشراق مرجتها التي
 عذبت جناولها فطابت موردا
 وتلاعبت فرسانها وتراكضت
 لم انس بالنيروز مخفها الذي
 جمع الانام اكابرا واصاغرا
 والربوة الفجاء يا نساتها
 ايام قطع النهر توصل شملنا
 بالقاسيون قست قلوب احبتي
 جبل كثير الخير كله الاله
 كم من ولي قد نوسد سفهه
 وكذلك الشهداء فيه نخالهم
 ومغارة الدم والمخاريب التي
 ومغارة الجوع التي قالوا بها
 لله سنع النيريين فكم به
 ضحك ازاهرها على اغصانها
 قد دندنت انهارها في جربها
 والصالحية يا لها من منزل
 وبها القصور العاليات تزخرت
 تسبو على اطراف جلق بهجة
 سقيت دمشق الشام صوب غمامة
 كم نزهة للعب فيها قد زهت
 الجامع الاموي الا نزهة
 قد اتقنت صناعه ببيانها
 ولراس يحيى فيه نور مهابه
 والمخائط القبلي زاد جلالة
 وانظر مكان التين فيه مبلطما

نباتها يختار منه وينتقى
 قد فاح عرف الزهر فيه وعبقا
 سحرا فهجيت القلوب الشيقا
 كادت بايام الصبا ان تلتقا
 واليك يركع كل غصن اورقا
 اضحى غني الهم فيها معلقا
 تحكي الصوارم صيقلا وتلقا
 ما بينها تعلو الجياد السبقا
 بسروره قلب الخزين تعلقا
 وحوى الملاح مقرطقا ومهنطقا
 مري علي ورفرفي عند اللقا
 باحبه الفول الخلاء مطلقا
 ولكم سرى فيه الصبا فترفقا
 فجال في ذاك اللسان وانطقا
 بل من نبي حل فيه محققا
 احياء من عدم البلا ورزقا
 للاربعين من الرجال ومن رقا
 كم من نبي مات جوعا فالتقى
 من روضة غناء طابت رونقا
 فاتي النسيم بيلمن وصفقا
 لما شدا ذاك الحمام وشققا
 فيها قبور الصالحين اولو التقي
 مثل النجوم زهت بكل من ارتقى
 وطلاوة فيها السرور تحققا
 اشفى على غيطانها فتدققا
 وسرت على طرف المهوم فاطرقا
 فيها تراه بالعبادة مشرقا
 فاتي المزخرف زانه وتانقا
 ما بين هاتيك السواري اشرقا
 بمقام هود من يزره تحققا
 لزال في الجمعات يجمع صنفا

ونرى دروس العلم فيه دائماً
وعلى كراسيه رقت وعاطفة
من كل من لوملت مستمعاً له
يا ليلة النصف الشريفة فاز بال
هذي قباب النور تشعل في الدجى
من كل شمس نبط اوج كما لها
وثلاث هاتيك المآذن تنجلي
عقدت روادفها بمعقد خصرها
من فوقها اهل الاذان ترسلوا
من كل من لورحت تسبح صوته
والعشرة الابواب لما ان زهت
صفت بها الحلوى افانينا فمن
لم انس ليلات الصيام وانسها
تلفت الارام حول قبابه
وتيل اعطاف الملاح خلاله
قد اوقدت تلك الخدود من الحيا
يا حباك الصحن اشرق وانجلي
فيه الصحاب رواثعاً وغوادياً
من حول الاسواق تشرق في الدجا
فيها ترى ما تشتهي وتلده
هي شامنا اعلى الاله منارها
لم ترض عيني غيرها من منظر
لله ايام تقضت لي بها
حي الحيا تلك البقاع فانها
هي منشاي لا حاجر وطولبع
وطني واول ما وطئت بها الثرى
لذ يا فوادي بما بها من معشر

في كل فن من تداوله رقى
تتلو احاديث النبي المنتقى
شاهدت حال الناس في دار البقا
اسعاد من قد كان فيه موقفا
لا يستطيع لها امر ولا ان يرمقا
بقتل حتى سميت فتعلقا
مثل العرائس قد لبسن اليلغا
فبدا بتعديل الزجاج مهنطقا
بترنم بشجي الفواد الشيقا
لحسبته فوق الاراك مطوقا
فتجت على المشتاق باباً مغلقا
وافي غنيا راح عنها مهلقا
فيه لعبري فهي ليلات اللقا
فتزيد نورا ساطعاً وتالفا
غادرت قلبي في الغرام مهزقا
حجراً اذاب حشا المشوق واحرقا
فغدا به ماء النسيم مرققا
ما بيعة وتجمعاً وتفرقا
مثل النهار بما بها قد علقا
ويوت قهوات شذاها عبقا
وبها ادام الله عيشاً ريقا
ولذا ترى قلبي بها مهلقا
ما زلت نحو ظلالها متشوقا
ارض تكاد بفضلها ان تنطقا
وتحل انسي لا الغوير ولا النقا
لازال عيشي عن حماها مطلقا
ان سامك الخطب المهول فاقلقا

هنا وقف القلم وانتهى ما رأيت لزوماً لسرده فارجو من اصحاب الفضل
معاملتي بالرفق لاني مقر بضعفي وقصوري . وكان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء
ختم سنة ١٨٧٨ وان شاء الله سارده بكتاب آخر دعوته مرآة سورية وفلسطين

تقاريف

ولما تم هذا الكتاب تكرم بتقريظه بعض من اطلع عليه من اهل الفضل والآداب
فادررنا بعض ما جادوا به وهاك ما قالوا حفظهم الله :

قال صاحب الفضيلة العالم العامل السيد الشريف حمزوي زاده اسعد افندي

يم ربا جلقٍ والشمه من امم وول وجهك نحو المفرد العلم
وسرح الطرف في ازهار روضته واذكر ولا تبخسوا للناس من حكم
عمت بوابها الاحياء يعضدهم ما كان مندرسا احياء ذكرهم
فاق الاوائل انفاناً وقد جمعت فيه البلاغه بالايجاز في الكلم
نعمان اعني به ارخت الفها يم ربا جلقٍ والشمه من امم ١٢٩٦

وقال حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة الفاضل الشيخ عبد المجيد

افندي الخاني النقشبند في خادم العلم الشريف

اغصن الروضة الفنا الرطيب له في جلق الفيحاء طيب
ام السحر الحلال اتج منه الى نعمان اسلوب غريب
هو الماثور صدق القول عنه اذا ما شاء يثني او يعيب
توشح دائماً بالفضل حتى ترشح للعلا وهو الاديب
ون خطب الفضائل وهو كفو فلا يسع العلا الا تجيب
واغرب حين اعرب عن كتاب يطيب به التغزل والنسيب
كتاب غور معناه بعيد ولكن نجد مبناه قريب
يورخ فيه ما ذاقتم دمشق من الايام يكره او يطيب
تخطى المنكرات ولم يعول على الاخبار تخطي او تصيب
فجاء مؤلفاً يهوى اليه فيبصر فيه ما يهوى الارب
حلا تقريظه حتى تاتي من التاريخ تاريخ عجيب ١٢٩٦

وقال العالم العامل الشيخ طاهر افندي المغربي ناظر المدارس الابتدائية
احمد من جعل دمشق روضة تنفخ بالطيب ازهارها : وتصدح على غصنها
الربيب اطيارها . بل جنة تجري من تحتها الانهار . كسيت سندساً خضرا من
النبات والاشجار . محاسنها جايبة للقلوب والابصار وعنوان على الفردوس لدى
الصالحية الاخيار . يقول لسان حالها قد راج سوق من سار . وجاء لمشاهدة
عروسي . واجتناء ثماري وغروسي . واصلي اشرف صلوة واسلم اذكي نحية . على
الانبياء الكرام ذوي المحاسن القمرية . خصوصاً على من هولم خنمام . ولعقدتهم نظام .
وبعد فقد سرحت بلبل الفكر في ميدان هذا الكتاب فوجدته قد نظم من اخبار
هذه المدينة التي نزهت كل عماره . درراً سلكتها في اسهل عباره واجرى في قنوات
رياضه ماء زلالا . فاضحى بهجته بتلالا

سفر حوى ما قد حوته جلق
من بهجة ونضارة وبهاء
فاجل جواد الطرف فيه نلق ما
نحو محاسنه لعين الرائي
قد قلت لما ان حلا طبعاً وقد
شاهدت نفعاً فيه للقراء
هذي شقائق قد زها نعانها
لما بدت في الروضة الغناء

وقال جناب الفاضل ابراهيم افندي سر كيس المحترم
ان كنت ترغب في كتاب فوائده
فجميع ذلك ظاهر تفصيلاً
عن جلق بالحق والتبيان
في الروضة الغناء للنعمان

وقال جناب الاديب الاريب المعلم عبده كميل الدين عطاني
راح النفوس نفائس الافكار
وطلى العقول طواع الاسرار
هيئات ان يحلو لنفس اخي النهى
كاس حلا لكن بدون عصار
قصر الجمال على الطبيعة والحجى
لا ما اتى من سلعة المطار
فانم بربرة جلق طرباً وقل
هذا كمال الحسن جل البارى
وادع القصي الى مشاهد مجدها
بالروضة الغناء دون توارى

واثن على النعمان يا ذا منذراً
سفر القناع عن المضي بسفره
وابان حال الحال دون تشيع
هئت يا ذا الفضل فيما نلت من
لك في دمشق فضائل خلدتها
طابت فطاب لك المقال بحقها
من لم يفز بكتابه المعطار
وجلا حقائقه على الابصار
خير المقال بصادق الاخبار
شرف بانشا افضل الاسفار
بكتابك الآتي بكل فخار
فاسلم ودم واهنا مدى الاعصار

وقال جناب الاديب ابراهيم افندي واكد

هذا كتابٌ تزهُةٌ وكجبةٌ
من كل فاكهةٍ بها زوجان
اكرم بها من روضةٍ غناءٍ قد
غرست بذاك الفاضل النعمان

وقال جناب الاديب الملم متري قندلفت مؤرخاً نهاية تاليف الكتاب
هذا كتاب في حوادث جلق اجلاه شهيمٌ جلٌ فيه ثابتي
لما تكامل قال ما ناربخنا فلقد بد الحبال روضة الصيحاء

سنة ١٨٧٨

وقال جناب العالم العلامة الفاضل منير زاده الشيخ محمد صالح افندي
خادم العلم الشريف بدمشق الشام مؤرخاً نهاية طبع الكتاب
هذا كتابٌ مستطابٌ بديعٌ
كانه خزانهٌ للبديع
اجلت فيهِ طرف الطرف اذ
منه توسمت جميل الصنيع
فشمت ما قرء به الناظر
ورق للشهم اللبيب السميع
لا بدع فهو روضة قد حكمت
بفتحها الذكي زهر الربيع
وهو لمن الله شاهد
بانة البارع بين الجميع
وبادر الفوم لتقريظوه
وعندهم حل المحل الرفيع
فقلت لما تم بالطبع ارخ م ان هذا الكتاب بديع

سنة ١٢٩٦ هجرية

فهرس الكتاب

وجه	
٣	في جغرافية الشام
٥	فصل . في موقع دمشق والقابها وعدد سكانها
٩	فصل . في مذاهب المؤرخين في من بنى دمشق
١٠	فصل . في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون
١٧	فصل . في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية
٢٩	نبذة من تاريخ الدولة الاموية
	فصل . في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للمسلمان
٣٦	صلاح الدين الابوي
٤٩	فصل . في تاريخ مدة استيلاء الابويين على دمشق
٦٦	فصل . في تاريخ دمشق بضعها للمصريين وفتح تيمورلها الى استيلاء العثمانيين عليها
٧٧	فصل . في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر
٩٥	فصل . في ابنية دمشق
١١١	فصل . في اقسام دمشق
١١٣	فصل . في مياه دمشق ومنزهاها
١١٦	فصل . في تربة دمشق ونباتاتها واشجارها وهوائها
١١٧	فصل . في المعارف في دمشق
١٢١	فصل . في صنائع دمشق وتجارها
١١٥	فصل . في اطوار الدماشقة وبعض عوائدهم
١٢٩	فصل . في حكومة دمشق ومعلقاتها
١٣٠	ثريات
١٣١	فصل . في من مات بدمشق من الصحابة
١٣٢	فصل . في ذكر من مات واشتهر بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين
١٤٣	فصل . في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق
١٤٦	فصل . في مشاهير علماء المسيحيين في جيلنا الحاضر
١٥٤	تراجم
١٥٦	الخاتمة
١٥٦	تقاريف

قلادون حيثما وردت صوابها قلاوون ومكة المكرمة وجه ٢٧ سطر ٢ صوابها المدينة المنورة

